الجمهوريــة الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العــالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي
كليــة الآداب واللغــات
قسم: اللغة والأدب العربي

المعتقدات الشعبية في علاج العقم عند المرأة
في منطقة وادي سوف

مذكرة معدّة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي
تخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبتين:
* سمية بن خليفة
* وحيـدة بيصــة

إشراف أ. الدكتور:
* أحمــد زغب

لجنـــة المناقشـــة

الاسم واللقب	الجامعـــة	الصفـــة
د/ زينب قـــوني	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	رئيســا
أ.د/ أحمد زغب	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مشرفا و مقررا
د/ يوسف بديدة	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مناقشا

تاريخ المناقشة: 05/06/ 2018 م / 20 رمضان 1439 هـ

الموســـم الجامعـي :1439/1438هـ * 2018/2017 م

شكر وعرفان

ننسج عظيم الشكر بكلمات العرفان التي تفوق فيض المشاعر، وخط المحابر ...

إلى الأستاذ الدكتور أحمد زغب الذي أشرف على هذا العمل

فكان ذلك النور الذي لا يأفل .. والعطاء الذي لا يبخل

كما نتقدم بجميل الشكر إلى كل من أمدّنا بالدعم المادي والمعنوي

الأخ الفاضل /بن خليفة فيصل، الشيخ/شتحونة يوسف، الأستاذة/ عبيد مارية

موظفي دار الثقافة وعلى رأسهم الأستاذ /ضو أحمد

القائمين على مكتبة زاوية سيدي سالم

كما لا ننسى الرّواة على المعلومات التي أثرت هذا البحث

وكانت مادته الأساسية

وأخيرا نسدي عبارات العرفان إلى كل أساتذة

تخصص "الأدب الشعبي"، خاصة أولئك الذين أفادونا بأفكارهم النيّرة،

وكانوا سببا في تحفيزنا على المضي قدما.

سمية /وحيدة

مقدمـــــة

تسعى المجتمعات الإنسانية في كل البقاع إلى تبني عناصر ثقافية بعينها وتستعين بها كي يتحقق التعايش من خلالها مع منطق الظروف المحيطة، وتعتبر الثقافة الشعبية جزءا من الثقافة العامة للمجتمع فهي ذاكرة اللسان والزمان والمكان، وهي المصدر الذي تستقي منه الجماعة قيمها وتصوراتها ومعتقداتها، لذلك لقيت الثقافة الشعبية في ظل تطور الحقول المعرفية والعلوم الإنسانية اهتماما كبيرا، حيث عكفت الدراسات على الحفر في حيثياتها المادية واللامادية للكشف عن طبيعة الأفكار التي يحتويها العقل الجمعي.

والمعتقدات الشعبية في حقيقتها جوهر الثقافة الشعبية لأي مجتمع فهي تشكل ما يعتقد الناس بصحته، حيث توجه العادات الشعبية والإنسانية المختلفة وتكشف عن البعد الثقافي لدى أفراد المجتمع بمختلف طبقاته وفئاته الاجتماعية والثقافية.

والمعتقدات الشعبية كثيرة ومتنوعة، منها ما يتعلق بالحياة والموت، ومنها ما يتعلق بالزواج والطلاق والحمل والولادة، ومنها ما يتعلق بالصحة والمرض.

وتتحكم المعتقدات في أفراد المجتمع لما تملكه من سلطة على العقول، والمرأة وبحكم طبيعتها وجنسها ونظرة أفراد المجتمع إليها، خضعت وبكل تلقائية لممارسة معتقدات عدة جسدتها من خلال الطقوس خاصة في المسائل التي تعزز مكانتها الاجتماعية كالزواج والإنجاب .

وتمسك المرأة بمعتقدات تمثل ترسبات قديمة ترى فيها حلا لمشاكلها، وزيادة الإقبال النسوي على مختلف الممارسات العلاجية الشعبية لعلاج العقم على الرغم من تطور الطب الحديث، وقلة الدراسات والبحوث التي تعالج هذا الموضوع من أبرز دوافع اختيار الموضوع التي جعلتنا ننتقي من موروثنا الشعبي الواسع موضوع " المعتقدات الشعبية في علاج العقم عند المرأة " وتأتي أهمية هذه الدراسة محاولة للكشف

عن وضع المرأة في مجتمع الدراسة من خلال الكشف عن أهم العادات والمعتقدات التي خضعت لها في مختلف مراحلها العمرية، وكذا إبراز أهم الممارسات العلاجية الشعبية التي لجأت إليها بغرض الإنجاب .

وتتلخص الإشكالية الرئيسية للموضوع في كيفية تعامل المجتمع المحلي مع عقم المرأة.

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية :

- ما هي أهم المعتقدات والطقوس التي خضعت لها المرأة عبر مراحلها العمرية ؟
- ما هي أهم الممارسات العلاجية التي لجأت إليها المرأة لعلاج العقم ؟
- ما هي حالات العقم عند المرأة ،وما هي طرق علاجها ؟
- هل لجأت المرأة إلى ممارسة الطقوس السحرية للتخلص من العقم، أم اكتفت بالتردد على المعالجين الشعبيين ؟
- هل كان اهتمام المرأة بعلاج العقم أكثر من الرجل رغبة في تحقيق غريزة الأمومة أم لإرضاء الزوج والأسرة والمجتمع ؟

وقد أملت علينا طبيعة البحث انتهاج خطة قسّمت إلى مقدمة، مدخل، وفصلين، وخاتمة.

ففي المدخل حاولنا دراسة منطقة البحث جغرافيا واجتماعيا وثقافيا، وكان تحديد أهم مصطلحات البحث في مدخل الدراسة من الضرورات التي أملتها منهجية هذا البحث .

وتناولنا في الفصل الأول أهم الطقوس والمعتقدات التي خضعت لها المرأة في مختلف مراحلها العمرية وكان بعنوان "المرأة بين الواقع والمعتقد الشعبي" حيث درسنا إنجاب البنت في المعتقد الشعبي، ثم انتقلنا إلى مرحلة طفولة البنت وما رافقها من معتقدات وطقوس، ثم انطلقنا إلى طقوس البلوغ ،وزواج الفتاة وأخيرا درسنا المرأة والإنجاب من خلال الطقوس المرافقة لاحتفالات الزواج .

وكان من المنطق أن نخصص الفصل الثاني لدراسة "عقم المرأة والطب الشعبي" حيث انطلقنا من المرأة والعقم في بعض الثقافات والمجتمعات الانسانية، ثم انطلقنا إلى أهم الممارسات العلاجية الشعبية منها العلاج الطبيعي، والغيبي، كذلك توقفنا عند حالات العقم عند المرأة وأسبابه، ثم تناولنا المتخصصين في الممارسات العلاجية الشعبية وأهم الطقوس السحرية التي تلجأ إليها المرأة العاقر.

أما الخاتمة فحاولنا أن تكون خلاصة لأهم نتائج الدراسة .

واقتضت طبيعة البحث القيام بالعمل الميداني الذي اعتمدنا خلاله على المقابلة الفردية والجماعية، وأحيانا الملاحظة المباشرة عند حضورنا لبعض الممارسات العلاجية، وحاولنا قدر الإمكان جمع المادة من مصادر متنوعة، فمن حيث التخصص حرصنا على التعاون مع المتخصصين في علاج عقم المرأة حيث طغى الجنس النسوي في هذا المجال، ومن حيث نمط المعيشة حاولنا الأخذ من البدو والحضر، ومن الناحية الجغرافية حاولنا مسح أكبر جزء ممكن حيث انتقلنا إلى وادي ريغ وأجرينا لقاءات شخصية مع إحدى الخبيرات في علاج العقم عند المرأة، ارتأينا مقابلتها عندما ذاع صيتها مؤخرا في الوسط النسوي.

وأملت طبيعة البحث اعتماد المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة بكل عناصرها وحيثياتها .

أما عن المصادر التي اعتمدناها عند الدراسة، فكانت كثيرة ومتنوعة تنتمي إلى حقول معرفية عديدة ،لعل أهمها :

- فراس السواح : دين الإنسان، والأسطورة والمعنى
- محمد الجوهري : الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية
- جيمس فريزر : الغصن الذهبي
- محمد الجوهري : علم الفولكلور

- نضال فخري طه : الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي
- فوزية ذياب :القيم والعادات الاجتماعية
- مصطفى واعراب : المعتقدات السحرية وطقوسها في المغرب

وإن كنا نطمح من خلال هذا البحث أن يكون واحدا من البحوث التي تتطرق إلى هذا الميدان فقد سبقت إليه بعض الدراسات في تخصص الأنثروبولوجيا منها دراسة الباحثة "بن أحمد غزلان" أطروحة ماجستير في أنثروبولوجيا الصحة والبيئة تحت عنوان "الممارسات العلاجية الشعبية لداء العقم بولاية تلمسان "، ودراسة الباحث "الطاهر ابراهمي" في أنثروبولوجيا الطب بعنوان "العقم بين الطب الشعبي والطب الرسمي في المجتمع الجزائري " والتي حاول من خلالها الباحث المقارنة بين الطبين التقليدي والرسمي في علاج العقم من خلال تقديم إحصاءات حول الأشخاص الذين لجأوا لعلاج العقم بالطريقة التقليدية من خلال الجنس والعمر والمستوى التعليمي...في مقابل الطب الرسمي، كما حاول من خلال دراسته أن يبين كيف تمكن الانسان من التشبث بالممارسات العلاجية الشعبية على الرغم من التطور العلمي دون أن يقدم وصفات علاجية شعبية، كذلك تناول موضوع علاج العقم من جانبي الرجل والمرأة .

وحاولنا نحن من خلال هذا البحث تخصيص موضوع العقم من جانب المرأة باعتبارها أكثر لجوءاً لعلاج العقم من الرجل، مع حصر أهم حالات العقم عند المرأة التي توصلنا إليها من خلال الجمع الميداني وأهم الممارسات العلاجية الشعبية المختلفة من طبيعية وغيبية وطقوس سحرية التي تلجأ إليها المرأة في مجتمع البحث.

وأبرز الصعوبات التي اعترضت مسار البحث تتمثل في :

- صعوبة الإلمام بكل جوانب البحث.

- صعوبة فرز وتصنيف المعلومات التي جمعناها من عند الرواة، والتي من خلالها أنجزنا خطة البحث خاصة الفصل الأول، وكذا صعوبة تصنيف حالات العقم وطرق علاجها، وانعدام المراجع التي عالجت ظاهرة علاج عقم المرأة في الطب الشعبي.
- تحفظ بعض المعالجات الشعبيات عن إفادتنا ببعض الممارسات العلاجية باعتبارها أحد أسرار المهنة.

وفي الأخير نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان إلى الأستاذ الكريم الدكتور: أحمد زغب الذي شرفنا بقبوله تأطير هذا البحث ورعايته بالدعم والتوجيه إلى أن وصل البحث مرحلته الأخيرة، كما نتقدم بجزيل الشكر إلى آبائنا وأمّهاتنا من الرواة الذين أمدونا بما احتفظت به ذاكرتهم من خبرات ومعتقدات وعادات شعبية حاولنا توثيقها حتى لا يطالها الاندثار .

مدخل الدراســـــة

أولا : مجتمع وادي سوف

1-1 البيئـــــة الطبيعية

1-2 أصول النظام الاجتماعي

1-3 ثقافـــة السكـــان

ثانيا : تحديد المصطلحات

2-1 المعتقـــــد

2-2 الـطقـــس

2-3 الأسطـــورة

2-4 المعتقد، الطقس، الأسطورة علاقة تكاملية

2-5 الشعبيـــة

2-6 المعتقدات الشعبيـــة

2-7 الرواسب الثقافيـــة

2-8 الـطب الشعبـــي

2-9 الـــــعقم

2-10 المرأة في الثقافة الشعبية

أولا: منطقة وادي سوف

حتى نتمكن من بلورة فكرة متكاملة حول مجتمع الدراسة لابد أن نتعرض إلى جانب البيئة الطبيعية لبعض الجوانب الاجتماعية والثقافية له.

في القرن الماضي ومع ظهور الدراسات الأنثروبولوجية كثر الكلام عن المؤشرات الأساسية في بناء العادات الاجتماعية، ولقد كان للعامل البيئي دورا فعّالا في بنائها؛ بحيث يكاد يتفق جل الباحثين أن للبيئة دورا أساسيا في تكوين العادات الاجتماعية حيث يقول "كروبر":«من الصعوبة بمكان فهم أي ثقافة من الثقافات البدائية دون إشارة إلى العوامل البيئية التي ترتبط بها وتتحد من خلالها»[1].

ومنطقة وادي سوف، كان لموقعها الجغرافي وطبيعتها من مناخ وتربة وكائنات حية ...أثر واضح على الحياة الاجتماعية، ومنها تشكلت عادات المجتمع وتقاليده وأنماط سلوكه وطريقة عيشه.

1-1 البيئـــة الطبيعية:

تقع منطقة "وادي سوف" في الجنوب الشرقي من القطر الجزائري بالعرق الشرقي من الصحراء الكبرى وتمتد أراضيها بين خطي عرض 33 ^{0}–34 ^{0} شمالا وبين خطي طول 6 ^{0}–8 ^{0} شرقا وتبلغ مساحتها 82.800 كلم^{2} [2].

كانت أرض سوف بساطا من الرمال، وهي رمال ذات أربعة ألوان : الأصفر والأبيض والأسود والأحمر، تتولد من جميعها حجارة رقيقة على وجه الأرض، فما يتولد من التراب الأصفر والأبيض كان يستعمل لتنظيف الثياب وغيرها، وما يتولد من الأحمر والأسود اعتقدت فيه العامة من الناس أنه إذا ألقي في نار أبطل السحر من المحل ويدفع عين السوء والسحر إذا تبخر به الإنسان، وهناك من

[1] محمد بن عمارة: العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية– وادي سوف أنموذجا– منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، ط1، 2010، ص9، 10.

[2] ينظر: أندريه روجيه فوازان: مونوغرافيا سوف، تر: أبو بكر مراد، دار المعرفة، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص24 ،25.

المناطق ما يسودها تشكل طبقات حجرية متنوعة منها "اللوس" و"التافزة" التي يصنع منها الجبس بعد صهرها...[1]

وفي وادي سوف أيضا الشطوط كشط "التاجر" و "الغرسة وشط" ملغيغ " ...

أما المناخ فيسود المنطقة المناخ الصحراوي، حار صيفا وبارد وجاف شتاء «فقد ترتفع فيه الحرارة في النهار إلى ما فوق الخمسين درجة، وتنخفض ليلا إلى ما يقرب من درجة الصفر»[2]

وتنمو بالمنطقة أعشاب ونباتات عديدة فمنها: الرعوية كالحلفاء والقريطفة ... ومنها ماهي للتداوي والرعي معا كالبسباس، عنب الذئب، شجرة مريم ... ومنها المسقية من خضر وفواكه كالكابو والدلاع والحنة والحلبة ومنها الأشجار المثمرة أبرزها "النخيل"، أما الحيوانات فنجد الإبل والأغنام والغزال والأرنب .... ومن الزواحف "الورن" و "الشرشمان " الذي يسمى سمك الصحراء[3].

1-2 أصول النظام الاجتماعي :

سكن منطقة سوف قديما العنصر الأمازيغي ولكنه استعرب، أما أغلب سكان الاقليم في أواخر القرن 19م فإنهم ينتمون إلى الجنس العربي القادم من شبه الجزيرة العربية وبالذات إلى قبيلتي طرود وعدوان العربيين، ومنهما تشكلت التركيبة السكانية للمنطقة[4].

والمجتمع السوفي، مجتمع ريفي يغلب عليه الطابع البدوي، عاش الطبيعة الجرداء القاحلة القاسية من أودية وشعاب صعبة المسالك في صحراء مضنية، إلا أن ذلك لم يزد سكان المنطقة إلا صبرا في البحث عن الطرق الكفيلة بإزالة العراقيل التي تصادف طريقهم في التوصل إلى سبل عيش أفضل، فقد كان سكان المنطقة يعيشون على الرعي وتربية المواشي، وقد كانوا يرحلون ويقيمون أين يجدون الماء والكلأ لترعى مواشيهم فيخيمون في ذلك المكان مدة من الزمن حتى يجدوا مكانا أفضل منه ينتقلون إليه، فقد كانت لهم رحلتان في السنة، رحلة في الصيف إلى المناطق التلية لجلب المؤونة

[1] ينظر: إبراهيم محمد الساسي العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ،المعارف للطباعة، (د.ط)، (د .ت)، ص 40- 44 .

[2] المرجع نفسه، ص 52 .

[3] ينظر: إبراهيم مياسي: الصحراء الجزائرية في ضلال وادي سوف، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر ،(د.ط)، 2014، ص 114-116

[4] ينظر: الجباري عثماني: منظومة التسمية في مجتمع وادي سوف، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد04 جانفي 2014، ص189.

والحبوب ورحلة في الشتاء خلال عودتهم إلى المنطقة، ثم بدأ سكان المنطقة ينزعون إلى الاستقرار شيئا فشيئا لذلك بدأ الناس في غرس النخيل والقيام بخدمته حتى ارتبطت حياة السكان بحياة النخلة وأصبحوا لا يستغنون عنها ويحافظون عليها حفاظهم على حياتهم[1]، ولهذا نجد أمثالا من المنطقة تبين فضلها «عليكم بالنخلة إذا ما لقيتوا ثمارها تلقوا جمّارها*»، الشاعر الشعبي كذلك أعطى للنخلة مكانتها، عندما صوّر قصة عشقه لهذه الشجرة المباركة :

جَبَّـارْ مِتْرَادَعْ بِـــدِي يِتْعَلَّـى اِتْبَسَّـمْ ظَهَـرْ الطَّلَعْ مِنْ الجُمَّـــارْ [2]

أما عن شبكة العلاقات الاجتماعية التي تحكم البنى المشكلة للنسيج الاجتماعي للمنطقة، فقد كانت الأسرة الممتدة هي السائدة في المنطقة وكان الأب هو من يرعى شؤون العائلة ويقودها ويخلفه عند غيابه أو بعد موته أكبر أبنائه، وهو الرئيس الذي يتحكم في كل الأمور، فيرشد الإنفاق بنفسه ويجنب النساء التصرف الحر في المواد الغذائية خوفا من الإسراف والتبذير، ولا يجوز لأحد من أفراد العائلة أن يتصرف بحرية في أحد الأمور الهامة إلا بعد إذن الرئيس[3]، وهذا مظهر من مظاهر السلطة الذكورية الذي كان سائدا في المجتمع، حيث يعتبر "الرجل الكبير" في العائلة هو المتصرف الوحيد وإليه يعود في أي أمر، ولا يمكن للمرأة التصرف في أمور الأسرة وإن تعلق الأمر بها، ومن هنا جاءت العبارة « المرا* شاورها وخالف عليها ».

وشهدت منطقة سوف تطوّرا، قضى على العديد من المظاهر التي ذكرت سلفا، إلا ما تمسكت به بعض القرى حيث يمثل ارتباطها بتلك المظاهر شيئا مقدسا من الصعب أن تتخلى عنه .

[1] ثريا التيجاني: دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص18 .

* لب الجريد الأبيض، أي قلب الجبّار (نوع جيد من النخيل) وتسمى عند بعض الفلاحين العروس .

[2] محمد الصالح بن علي: من روائع الشاعر الشعبي علي عناد، إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، الوادي، ط1، 2008، ص87 .

[3] ينظر: علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية، دار هومة للطباعة والنشر، (د.ط)، 2017، ص517، 518.

* يقصد بها المرأة .

1-3 ثقافة السكان:

يتمسك مجتمع الدراسة بجملة من المعتقدات ويمارس عدة عادات وتقاليد لها أهمية في حياته أصبحت تمثل جانبا معينا من ثقافته وتلعب دورا كبيرا في تكوين سلوكه وتفكيره وتصوّره لمحيطه الخارجي[1].

ومعظم معتقدات سكان المنطقة نابعة من الدين الإسلامي، ومن مسلماته العقائدية، وأهمها الإيمان بالله والرسالة المحمدية واليوم الآخر والجنة والنار والملائكة والشياطين والقضاء والقدر[2]...وتمسك أهل المنطقة بالدين الإسلامي تعدّى ذلك إلى النمط العمراني الذي ميّزته القبة وانتشار المساجد والزوايا كذلك يبين مخطط البيت التقليدي مدى تمسّكهم بدينهم، حيث فصلوا بين فضاء الضيوف "السقيفة "والفضاء العائلي بساتر يمنع التكشف عن الحريم[3]، ومع ذلك تأثرت معتقدات المجتمع السوفي بالمذهب الشيعي والطرق الصوفية وربما تأثرت بديانات ما قبل الاسلام[4] حيث نلمس بعض المعتقدات المترسبة من الديانات القديمة منها: الاعتقاد في وجود الجن، والاعتقاد بالسحر، والإيمان بالأرواح الشريرة، الاعتقاد في كرامات الأولياء الصالحين، والاعتقاد في تأثير العين الحاسدة، وتتجسد كل هذه المعتقدات في مختلف أشكال التعبير الشعبي للمنطقة من حكايات، أمثال، أشعار ...[5]

ويمارس سكان سوف جملة من العادات والتقاليد ترتبط بمواسم ومناسبات مختلفة كالزواج والولادة والختان والوفاة، أو مناسبات دينية كالمولد النبوي، و "ليلة القدري " التي تصادف ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، حيث تميزت المنطقة بعادة " طاب ولاّ ما زال "وعيد عاشوراء ... وإلى

[1] ثريا التيجاني: المرجع السابق، ص 41 .

[2] أحمد زغب: لهجة وادي سوف، مطبعة مزوار، الوادي،ط1 ، 2012، ص15 .

[3] ينظر: محمد الصالح بن علي: جماليات العمارة التقليدية في وادي سوف، ج 1، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2013، ص108.

[4] أحمد زغب: لهجة وادي سوف، ص15 .

[5] ينظر: ثريا التيجاني: المرجع السابق، ص 43- 46 .

جانب الأعياد الدينية عرفت المنطقة أعيادا موسمية منها عيد الخريف، وعيد الربيع ويسمى "طاق طيوط* " ويصادف نصف الشهر الأول من الربيع.[1]

وتميز سكان المنطقة أيضا بعادات غذائية تتلاءم وطبيعة المنطقة حيث ارتكز طعامهم على الحليب والتمر خاصة في فصل الصيف، ويضاف إليه في باقي الفصول الطعام المكون من القمح والشعير وبعض الخضر الجافة، أما الأطفال الرضع فيتناولون حليب أمهاتهم مع تدريبهم على تناول مشروب " المريسة " المصنوع بالتمر.

وانعكاس البيئة لم يقتصر على السلوك الغذائي للسكان، وإنما لجأ سكان المنطقة إلى البيئة في ممارساتهم العلاجية فاستخدموا "الحمام الرملي" المعروف بـ "التعريق" لعلاج الروماتيزم والأعشاب الطبية لتسكين الآلام و علاجها[2]، كذلك الحيوانات والحشرات، حيث اعتقد سكان المنطقة قديما أن أكل الطفل "عقرب الخميس "بعد تجفيفها وطحنها وأكلها مع التمر أو الحليب يقيه من لسع العقارب.[3]

إلا أن احتكاك المجتمع السوفي بمدن الشمال، والاحتكاك بمدن الدول المجاورة، بعد رجوع المهاجرين "اللواجي" من تونس عقب الاستقلال، وانتشار الوعي الثقافي، جعله يتخلى عن كثير من عاداته وتقاليده وقيمه التي ينفرد بها عن غيره .

* هذا العيد يتزامن مع ما نجده في مصر ويطلقون عليه " شم النسيم " بمناسبة الانقلاب الربيعي الذي يتساوى فيه الليل والنهار .

[1] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

[2] ينظر: مجموعة من المختصين: وادي سوف – دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2008، ص51 ،52.

[3] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .

ثانيا : تحديد المصطلحات

2-1 المعتقد:

2-1-1 المعتقد لغة:

عَقَدَ: العَقْدُ: نقيض الحل، عَقَدَهُ تَعْقِدُه، عَقْدًا، وتِعْقَاد وعَقَّدَهُ .

وقد انعَقَدَ وتَعَقَّدَ. والمَعَاقد: مواضع العَقْدُ والعَقِيد: المُعَاقِد .

والعُقْدةُ: حجم العَقْد، والجَمع عُقَد .

ويقال جَبَرَ عظمه على عُقْدةٍ إذا لم يستو .

والعِقْدُ: الخيط ينظم فيه الخرز .

وعَقَد التاج فوق رأسه، واعتَقَدَه: عصّبه به .

وعقَّدَ كلامه: أعوصه وعمّاه وكلام مُعَقَّد أي مُغَمَّضْ

وعَقَدَ قلبه على الشيء: لزمه .

وتعقَّدَ الإخاء: استحكم .

والعَقِدُ: المتراكم من الرمل، وجمل عَقِدٌ: قويّ .[1]

قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾[2]، قيل العُقود العهود، وقيل الفرائض التي أُلزموها، قال الزجّاج خاطب الله عزّ وجل المؤمنين بالعقود التي عقدها عليهم والعقود التي يعقدها بعضهم على بعض على وجه ما يوجبه الدين ...يقال عهدت إلى فلان في كذا وكذا فتأويله ألزمته ذلك ...[3]

عَقَدَ الحَبْلَ شدّه، والعَقدُ: الضمان والعهد ... وعَقَّدْتَه تَعقِيدا: أغليته حتى غلظ ... والمعقِّدُ –كمحدِثٍ – السَّاحِر، وكمعظَّم :الغامض من الكلام...[4]وجاء في المنجد: عَقَد الحبل نقيض حله

---

[1] بن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، المجلد الثاني، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 835، 836 .

[2] سورة المائدة: الآية 1 .

[3] الأزهري: تهذيب اللغة، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004 م، ص189،190 .

[4] الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة ،(د.ط) ،2008 ، ص 1118،1119.

...تَعَقَّد الأمر: تصعّب، وتَعَقَّد الإخاء: استحكم ...اعْتَقَد الأمر: صدّقه، عَقَدَ عليه قلبه وضميره، تديّن به .

والعَقِيدَة: ج عَقَائِد: ما عَقَدَ عليه القلب والضمير، ما تديّن به الإنسان واعتقدَه ...المعْتَقَد: الاعتقاد أي ما يعتقده الانسان اعْتَقَد الشيء: اشتد وصلب ... والعَقَدُ: ما تعقَّد وتراكم من الرمل ..العَاقِدَات: الساحرات، المعقِّدُ: الساحر[1].

تبين مختلف المعاجم العربية الاشتراك في الجذر اللغوي والمعنى فهي: الشدة، الصعوبة واللزوم والغموض، وماله صلة بالدين، والسحر ...

2-1-2 المعتقد اصطلاحا:

تعددت المفاهيم الاصطلاحية للمعتقد بتعدد الحقول المعرفية، فيعرفه "إنجلش وانجلش" بأنه: «التقبل الوجداني لقضية أو خبر يحتمل الصدق حسب ما يوجد لدى الفرد من أسباب وحجج والحجج في المعتقدات غالبا ما يصعب فحصها وتشتمل على درجات متفاوتة من اليقين الذاتي أي أنها تختلف في قابليتها للتحقق»[2]

كذلك أعطى "غوستاف لوبون" تعريفا للمعتقد من زاوية مصدره، باعتبار أن مصدره خارج عن إرادة وعقل الانسان على خلاف المعرفة، فيقول: «المعتقد هو إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان على تصديق فكر، أو رأي، أو تأويل، أو مذهب جزافا، فالعقل غريب عن تكوين المعتقد، ولا يأخذ العقل في تبرير المعتقد إلا بعد أن يتم تكوينه»[3] ويواصل لوبون ليقول:« المعتقد كل ما هو من عمل الإيمان، ومتى استعان المرء في تحقيق صحة المعتقد بالتأمل والتجربة لا يظل المعتقد معتقدا بل يصبح معرفة، فالمعتقد والمعرفة أمران نفسيان يختلفان من حيث المصدر اختلافا تاما: إذ المعتقد كناية عن إلهام لا شعوري ناشئ عن علل بعيدة من إرادتنا، والمعرفة عبارة عن اقتباس

[1] المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق، بيروت، ط48، 2014، ص 518 ،519 .

[2] نقلا عن: مصباح الهلي: المعتقدات الخرافية الشائعة في التنشئة الاجتماعية للأبناء، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، 2006/2005، ص 66 .

[3] غوستاف لوبون: الآراء والمعتقدات، تر: عادل زعيتر، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 16 .

شعوري عقلي قائم على الاختبار والتأمل»[1]، نفهم من هذا الطرح أن المعتقد، ينشأ صدفة دون تأمل مسبق أو دراسة، ودون تدخل لإرادة الفرد في تكوينه، ولن نجد تدخلا للعقل إلا لتبريره بعد أن يتكون .

أما "سابير" فيقول أن: «المعتقد ليس تصوّرا دينيا فحسب لكنه تصوّر علمي، فمجموعة المعتقدات تكون المعرفة، بعضها يعتمد على تجربة ذاتية مباشرة لكن كثيرا منها يعتمد على سلطة المجتمع إذ تفترض أن المجتمع يملك تأكيدها وإثباتها، لكن الفرق بين ما هو تصوّر ديني وما هو تصوّر علمي أنهما يعودان في البدء إلى أمر واحد، كالاعتقاد بوجود الله والاعتقاد بوجود الذرة لدى الفرد العادي، فيعودان إلى الأمر نفسه، غير أن الفرق يكمن في أن المعتقد الديني لا يقبل الاختبار، أما المعتقد العلمي فهو قابل للاختبار والتثبت من صحته، أما فلسفة الدين فهي محاولة لعقلنة ما لا يمكن البرهان عليه ويبقى مجرد فلسفة معقولة لا تتحوّل دينا حقيقيا إلاّ إذا منحتها العاطفة الشخصية الحياة»[2]، نفهم من ذلك أن "سابير" يرى أن المعتقد لا يقتصر على الجانب الديني وإنما يشمل الجانب العلمي، فهو لا يجد فرقا بين المعتقد والمعرفة فكلاهما يصدر عن تصوّر الفرد، إلا أن المعتقد الديني حتمي يقبله المجتمع دون اختبار.

وأشارت "موسوعة الأديان السماوية والوضعية" للمعتقدات بمقابلتها مع الأديان السماوية: «المعتقدات هي كل ما لا علاقة له بالأديان السماوية الكتابية ولكنها تشكل في ذهنية الناس تعلّقا بقوى معينة تعتبرها أقوى منها فتعتقد بها، أي تعبدها وتسلم مصيرها إليها، فهي تختلف عن الأديان الوضعية التي صيغت في مذاهب وأفكار معيّنة ودوّنت في كتب، دون أن تكون مستوحاة من السماء، بل هي من وضع البشر»[3]، وهذا يعني أن المعتقد من وضع الإنسان بناء على تصوّره بوجود قوى غيبية يؤمن بها دون أن تصاغ في مذاهب وأفكار مدونة ،وهذا ما جعله يختلف عن الدين الرسمي.

[1] غوستاف لوبون: المرجع السابق، ص17 .

[2] أحمد زغب: الفولكلور –النظرية – المنهج – التطبيق، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2015، ص34 .

[3] سميح دغيم: موسوعة الأديان السماوية والوضعية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص81 .

وأعطى "فراس السوّاح" تعريفا للمعتقد في صورته الدينية بأنه: «هو الذي يعطي الخبرة الدينية شكلها المعقول الذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها فبعد تلك المواجهة الانفعالية مع القدسي في أعماق النفس يتدخل عقل الإنسان من أجل صياغة مفاهيم من شأنها إسقاط التجربة الداخلية في العالم الخارجي، وموضعه القدسي هناك، وهنا يتم فرز موضوعات معينة أو خلق شخصيات وقوى معنوية، تستقطب الإحساس بالمقدس وتجتذب إلى خارج النفس، وبذلك تتكون الصيغ الأولية للمعتقدات»[1]، وأكد "السواح" على صفة الجماعية التي تضمن دوام المعتقد واستمراره وانتقاله عبر الأجيال: «المعتقد شأن جمعي بالضرورة، لأن دوامه واستمراره يتطلب إيمان عدد كبير من الأفراد وإلا اندثر، وهو يوضح العلاقة والصلة بين عالم المقدسات وعالم الانسان الدنيوي المادي، ويرسم صورا ذهنية لعالم المقدّسات والذهنيات والأفكار التي غالبا ما تصاغ في شكل صلوات وتراتيل»[2]

وعلى اختلاف المفاهيم وتعدّدها، يمكننا أن نفهم بأن المعتقد هو تعاقد لا شعوري ومستمر بين أفراد المجتمع الواحد بوجود قوى غيبية مؤثرة في حياتهم وسلوكهم، وصياغتها في أنماط طقسية.

2-2 الطقس :

2-2-1 الطقس لغة :

لم نعثر في المعاجم اللغوية العربية على تعريف لغوي لكلمة "طقس"، وهي في "القطر المحيط" حالة الهواء، ويطلق عند النصارى على شعائر الديانة واحتفالاتها (ج) طقوس.[3]

2-2-2 الطقس اصطلاحا :

اختلفت نظرة دارسي علم الاجتماع والأنثروبولوجيا إلى الطقس، فمنهم من ربط الطقوس بالدين، ومنهم من يرى أنها عادات اجتماعية سائدة في المجتمع لا تكون بالضرورة ذات علاقة بالدين، وهكذا نجد "جلوكمان" عندما ميّز الشعيرة عن الطقس، فعرّف الطقس بأنه: «تنظيم مركب للنشاط الانساني ليست له طبيعة فنية أو ترويحية بارزة، ويتضمن استخدام أساليب السلوك التي تتسم

[1] فراس السواح: دين الإنسان، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، ط 4، 2002، ص47 .

[2] المرجع نفسه، ص49 .

[3] بطرس البستاني: قطر المحيط، ج2، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 1645 .

بقدرتها على التعبير عن العلاقات الاجتماعية»[1]، بينما عرّف الشعيرة "باعتمادها على بعض الغايات والوسائل الروحية والدينية"[2]، كذلك "رادكليف براون" يرى بأن: «الطقوس عبارة عن حدث رمزي يعبر عن قيم اجتماعية مهمة»، فهو يمتنع عن استعمال مصطلحي سحر ودين كما استعملها "فريزر"، ويمتنع أيضا عن استعمال مصطلحي مقدس وشرير كما استعملها "دوركايم"[3] الذي يرى أن «الطقوس هي كيفيات للفعل وهي لا تنشأ إلا وسط فرق مجتمعة»[4]، و«هي عبارة عن مجموعة مشاهد تمثيلية أو فعاليات درامية يتم خلالها إيجاد مشاهد خيالية تجسد الواقع والطبيعة، بمعنى أن الطقس يعد بديلا عن حدث حقيقي»[5]

على الرغم من محاولة العديد من الباحثين اعتبار الطقوس مجموعة حركات سلوكية لا علاقة لها بالدين، يرى غيرهم عكس ذلك فأشار "قاموس الأنثروبولوجيا" إلى أنها «فعاليات وأعمال تقليدية لها في الأغلب علاقة بالدين والسحر، يحدد العرف أسبابها، وأغراضها والطقوس دائما مشتقة من حياة الشعب الذي يمارسها، ويعتقد البدائيون أن أداءها يرضي الآلهة والقوى فوق الطبيعية ،والمعبودات وعدمه يسبب غضبهم ويجلب نقمتهم، وتجرى في الطقوس فعاليات مختلفة كالرقص، وتقريب القرابين ونحر الأضاحي وأداء الصلوات، وترديد التراتيل»[6]، كذلك جاء في قاموس الإثنولوجيا والفولكلور «الطقوس تعبر عن مضمون اعتقادي حتى وإن كانت تبدو لا علاقة لها بالدين»[7]، كذلك يقول "دوكلاس": «الطقوس تحل محل الدين في معظم النظريات والكتابات

[1] شارلوت سيمور شميث: موسوعة علم الانسان، تر: مجموعة من المترجمين، (د.ط)، (د.ت)، ص331 .

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص331 .

[3] دينكل ميتشل: معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1986، ص 176 .

[4] الساسي محمد الضيفاوي: ميثولوجيا آلهة العرب قبل الإسلام، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2014، ص 136 .

[5] يوهان كوتسينغا: ديناميكية اللعب، تر :صديق محمد جوهر، هيئة أبو ظبي للتراث، أبو ظبي، ط1، 2012، ص 75 .

[6] شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، الكويت، ط1، 1981، ص824 .

[7] إيكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، تر: محمد الجوهري وحسن الشامي، الأمل للطباعة والنشر، (د.ط)، 1999، ص263.

الأنثروبولوجية طالما أن المقصود بها هو التصرفات الرمزية المتعلقة بالأشياء والكائنات المقدسة للشعوب البدائية »[1]

أما "صاموئيل هنري هوك" فقد قدّم تعريفا للطقس، بإضافة الكلمات المحكية والتعاويذ السحرية إلى جانب الحركات «الطقس لم يكن يتألف من الأفعال وحدها، لقد كانت الأفعال تترافق مع الكلمات المحكية، مع التراتيل، ومع التعاويذ التي كانت فعاليتها السحرية جزءا جوهريا في الطقس»[2]، فالطقس يتضمن الفعل والحركة، وينجز في الآن نفسه مشاعر الناس ورغباتهم في التواصل مع عوالم من درجات مختلفة، فالإنجاز الطقوسي يتوزع إلى ثلاثة أصناف: إنجاز حركي مثل الرقص والجذب، وقولي مثل الصلاة والتعزيم، وآخر بصري مثل الوشم والطلسمان.[3]

أما "السواح" يعرّف الطقس بأنه: «مجموعة الإجراءات والحركات التي تأتي استجابة للتجربة الدينية الداخلية، وتهدف إلى عقد صلة مع العوالم القدسية».[4]

والطقوس يمكن أن تقسم بناء على تقويم نجمي أو حسب معيار بيولوجي مرتبط بمصير الفرد، في الحالة الأولى يمكن أن يعتمد مثلا نظام دورة طقوس موسمية تتوزع على مختلف فترات السنة وتهم مجمل أفراد الجماعة، وفي الثانية توجد ما يسمى طقوس "دورة الحياة" (ولادة، زواج، موت ..)، في كل من الحالتين يتحدد نظام توالي مختلف الطقوس إذن بالتقويم الذي ينتمي إليه ومقابل هذه الطقوس الدورية هناك طقوس مناسبات تظهر بصورة غير متوقعة تحت ضغط الأحداث، وهذا النوع الأخير لا يجري حسب تعريفه بناء لنظام محدد مسبقا، أما الظروف القادرة على التسبب باعتماد طقوس مناسبات فيمكن أن تكون مرتبطة بالحياة الجماعية (جفاف، وباء، حرب ...) أو الحياة

[1] دينكل ميتشل: المرجع السابق، ص 176 .

[2] صاموئيل هنري هوك: منعطف المخيلة البشرية، تر: صبحي حديدي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1983، ص10 .

[3] ينظر: نور الدين الزاهي: المقدس والمجتمع، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011، ص81 .

[4] فراس السواح: الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، دمشق، ط2، 2001، ص129.

الفردية (عقم، مرض، ولادة توأمين، مصيبة، خلاف...)[1]، هذا يعني أن الطقوس حسب معجم "الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا" تقسم إلى :

- طقوس موسمية (تتوزع على مختلف فترات السنة).
- طقوس دورة الحياة .
- طقوس مناسبات طارئة (فردية أو جماعية) .

وقسّم "السواح" الطقوس إلى:

أ- الطقوس السحرية: تقوم على الإيمان بوجود قوة سارية تتحكم في جميع مظاهر الكون، وهي قوة غفلة غير مشخصة بمعنى أنها لا تصدر عن إله ما، أو أي كائن روحاني ذي شخصية محددة وإرادة مستقلة فاعلة، كما أنها قوة حيادية بمعنى أنها فوق الخير والشر بالمفهوم الأخلاقي المعتاد. ويبدو أن الاعتقاد بوجود هذه القوة السحرية هو أول شكل من أشكال الاعتقاد الديني. وأن الطقوس التي نشأت من أجل التعامل مع القوة السحرية هي أول أنواع الطقوس وتهدف إلى التأثير على القوة الحيادية وتوجيهها لتحقيق غايات معينة.[2]

ب- الطقوس الدينية الروتينية: وتتخذ الصلاة الجماعية والقرابين في المعابد الصدارة في هذه الطقوس.[3]

ج- الطقوس الدورية الكبرى:[4] وتشمل طقوس دورة الحياة طقوس الميلاد، الزواج، طقوس الموت ...، وكذلك الطقوس المتصلة بأيام وفصول معلومة من السنة ويجري تكرار أحداثها بصفة دورية.

2-3 الأسطـــورة:

2-3-1 الأسطورة لغـــة:

[1] ينظر: بيار بونت وميشال إيزار وآخرون: معجم الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2011، ص 633 .

[2] فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ص 129، 130 .

[3] المرجع نفسه، ص 138 .

[4] المرجع نفسه، ص 142 .

بالعودة إلى معاجم اللغة العربية نجدها قد اشتركت في معاني الأسطورة، وهي من مادة "سَطَرَ":

جاء في "لسان العرب" سَطَرَ: السَّطَرُ: الصف من الكتاب والشجر والنخل ونحوها ... والجمع من كل ذلك أسْطُرٌ وأَسْطَار وأَسَاطِير وسُطُور والسَّطْر: الخط والكتابة .

وفي التنزيل جاءت الكلمة بعدة معاني، فهي بمعنى "أحدوثة" و"أحاديث" في قوله تعالى ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾[1]، وحملته معنى ما تكتبه الملائكة ﴿**نٓ وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونِ**﴾[2]...وأَسْطَرَ فلان اليوم إذا اليوم إذا أخطأ ... والأُسْطِير أحاديث لا نظام لها، وسَطَّرَها: ألّفها ويقال سَطَّرَ فلان علينا يُسَيْطِر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، ويقال سَطَّرَ فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمّقها ومنها المُسَيْطِر: المسلّط على الشيء...

وواحد الأسَاطير أسطورة كما قالوا أحدوثة وأحاديث ....والمُسَيطر المُسَلَّط على الشيء ...وقيل المسيطر: الرقيب الحافظ المتعهد للشيء.[3]

واحد الأساطير أُسْطور، وأُسْطُورة، وأُسْطير ...ويقال سَطَّر فلان علينا تسْطِيراً، إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، يقال: هو يسطِر ما لا أصل له: أي يؤلف ...ويقال سَطَرَ يَسْطُر إذا كتب ... ويقال أسْطَرَ فلان اسمي أي تجاوز السَّطْر الذي فيه إسمي.[4]

2-3-2 الأسطورة اصطلاحا :

الأسطورة في اليونانية "MYTHOS" (ميثوس) .... وهي في الإنجليزية MYHT (ميث) ... وعلى ذلك فإن المعنى في اللغتين هو "الشيء المنطوق"... وتقتربان من كلمة "MOUTH" (ماوث) الإنجليزية التي تعني "فم" ... فمعنى الأسطورة إذن الكلام المنطوق أو القول.[5]

---

[1] سورة الفرقان: الآية 5 .

[2] سورة القلم: الآية 1 .

[3] ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثاني، دار لسان العرب، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 143.

[4] الأزهري: تهذيب اللغة، المجلد 9، ص450.

[5] فاروق خورشيد: أديب الأسطورة عند العرب، مطابع السياسة، الكويت، (د.ط)، 2002، ص22.

الأسطورة ...إحدى أبرز المصطلحات التي شغلت بال الدارسين على اختلاف حقولهم ،فاهتم بها الأنثروبولوجيون وعلماء النفس والاجتماع والفلسفة ... منذ القرن 19م حتى أصبحت علما قائما بذاته فتصدّوا لها بالدراسة محاولين الوصول إلى تعريف يرضي جميع الباحثين.

يقرّ دارس الميثولوجيا "ميرسيا إلياد" بصعوبة ذلك، عندما تساءل «هل يمكن إيجاد تعريف واحد شامل لجميع نماذج الأساطير وجميع وظائفها في جميع المجتمعات القديمة والتقليدية؟»[1] وعند الإجابة يعترف "ميرسيا إلياد" بغموض وضبابية المصطلح مرة أخرى، فيقول: «الأسطورة واقعة ثقافية بالغة التعقيد يمكننا أن نباشرها ونفسرها في منظورات متعددة يكمّل بعضها بعضا»[2]، رغم ذلك نحاول التماس بعض التعاريف من زوايا مختلفة لعلّها تبسّط غموض المصطلح .

"مالينو فسكي" يقول: «الأسطورة بنصها وطقوسها تهدف إلى تحقيق نهاية عملية، فهي تروى لترسيخ عادات قبلية معينة أو تدعيم سيطرة عشيرة ما، أو أسرة أو نظام اجتماعي قائم، وما إلى ذلك فهي والحالة هذه عملية في منشئها وغايتها»[3] فهو يرى أن الأسطورة تحقيق غاية عملية، بخلاف "فرويد" ولا علاقة لها بالبواعث النفسية، بخلاف "فرويد" الذي يرى أن «الأسطورة انعكاس لرغبات وأمان مكبوتة تنطلق من عقالها بعيدا عن رقابة العقل الواعي»[4] فالأسطورة وفقا لـ "فرويد" يمكن أن تفسر «باعتبارها حلم شعب، وتعبّر عن تحوّلات الغرائز الجنسية الجماعية من خلال المحرّمات الإلهية...».[5]

وبعيدا عن الطابع العملي والجانب النفسي في تفسير الأسطورة، ركّز دارسو الميثولوجيا على الجانب القدسي والديني في تفسيرها، فـ "ميرسيا إلياد" يرى أن «الأسطورة تروي تاريخا مقدّسا، تروي حدثا جرى في الزمن البدئي، الزمن الخيالي هو زمن البدايات»[6] فهو يركز عن الجانب الحكائي

[1] ميرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياط، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 1991، ص9.
[2] المرجع نفسه، ص 9 .
[3] طلال حرب : أولية النص، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999، ص 95 .
[4] ينظر: فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1996، ص 16 .
[5] كلود ريفير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، تر: أسامة نبيل ،المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2015، ص 104 .
[6] ميرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة، ص 10 .

المقدّس الذي وقع في عصور غابرة، فهي تتعلق دائما بأحداث مضت "قبل خلق العالم" وإبّان "العصور الأولى" وفي كل حال، منذ زمن طويل.[1]

أما "فراس السواح" الذي أعطى الأسطورة تعريفا أوليا جعلها تقترب من بعض الأجناس الأدبية كالخرافة والقصص البطولي والحكاية الشعبية بأنها «حكاية تقليدية تلعب الكائنات الماورائية أدوارها الرئيسية »[2] فقد تمكن من استخلاص تعريف دقيق للأسطورة «الأسطورة حكاية مقدّسة ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان».[3]

كذلك "موسوعة علم الإنسان" أشارت إلى تعريف الأسطورة بأنها «حكايات ذات طابع مقدّس أوديني واجتماعي أكثر من كونها ذات طابع فردي أو ذات طابع سردي في موضوع معين، أو تهتم بنشأة بعض الظواهر الطبيعية أو فوق الطبيعية أو الثقافية الاجتماعية»[4]، ولم يذهب "زيفينوس" بعيدا في تفسيره للأسطورة عندما قال أنها «حكايات القدماء في الدين».[5]

أما الباحثة " نبيلة إبراهيم " فقدمت تعريفا للأسطورة بعد مقارنتها بالخرافة، باعتبار الأسطورة تنتمي إلى سلوك روحي غير الذي تنتمي إليه الحكاية الخرافية وهي «محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة، أو هي تفسير له، إنها نتاج وليد الخيال ولكنها لا تخلو من منطق معين ومن فلسفة أولية تطوّر عنها العلم والفلسفة فيما بعد».[6]

ونجد من التعاريف، تلك التي تشير إلى رمزية الأسطورة فهي تمثل «مجالا رمزيا لتجلي المقدّس»[7]، فالمقدس يتشكل بدءا بفضل عمليات التخيّل الرمزي، تلك العمليات التي تمثل مقدرة الكائن الإنساني على التفكير وتمثل الأشياء المحيطة به ليس فقط عبر اللغة الطبيعية المهتمة بالأشياء

[1] كلود ليفي ستروس: الإناسة البنيانية، تر: حسن قبيسي ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص 229 .
[2] فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ص 8 .
[3] المرجع نفسه، ص 14 .
[4] شارلوت سيمور شميث: المرجع السابق، ص 70 .
[5] د.إدزارد: قاموس الآلهة والأساطير، ج1، تر: محمد وحيد خياطة، دار الشرق العربي ،سورية،(د.ط)، (د.ت)، ص 12 .
[6] نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص9 .
[7] نور الدين الزاهي: المقدس والمجتمع، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2011، ص77 .

كما هي، بل أيضا عبر تحويل الواقع المادي إلى رمز... الرمز لغة المقدّس المفضلة بامتياز[1]، بمعنى أن الأسطورة هي محصلة التفكير الإنساني عندما حاول تفسير الظواهر المحيطة به من خلال رموز منحتها الطابع القدسي.

والأسطورة تعني «الحكاية الرمزية التأسيسية » فهي تشمل الأباطيل و الحقائق[2]، وهي وسيلة لفهم العالم من خلال الرموز ...فهي تلعب دورا مفسّرا للعالم لكن من خلال أساليب غامضة ورمزية[3] والأسطورة «تعلّمك أن تتوجه إلى الداخل، حيث تصلك رسالة الأسرار والرموز» كما يقول "كامبل".[4]

أما أحمد كمال زكي فيرى بأن « الأسطورة في طورها الأول كانت جزءا من طقوس العبادة داخل المعبد ... والأسطورة في طورها الثاني كانت فلسفة وبيانا وقوّة اجتماعية ترصد لكل ما يسعى وراءه علماء الإنسان من تقييم لحضارات ترجع إلى نحو مائتي قرن قبل الميلاد».[5]

وأخيرا، فإن الأسطورة لا يمكن أن تختزل في تعريف واحد، ولم يخطئ "القدّيس أوغسطين" حينما أراد أن يفصح عن ماهية الأسطورة وقال: «إنني أعرف جيدا ما هي بشرط ألاّ يسألني أحد عنها، ولكن إذا سئلت وأردت الجواب فسوف يعتريني التلكؤ».[6]

2-4 المعتقد، الطقس، الأسطورة علاقة تكاملية :

إذا كان المعتقد حالة ذهنية، فإن الطقس حالة فعل من شأنها إحداث رابطة، وإذا كان المعتقد مجموعة من الأفكار المتعلقة بعالم المقدّسات فإن الطقس مجموعة من الأفعال المتعلقة بأسلوب التعامل مع ذلك العالم، فأي صورة ذهنية لا تخرج من عالم الفكر إلى عالم الفعل هي صورة معرّضة للتحجر

[1] المرجع نفسه، ص 76 .

[2] ياروسلاف ستيتكيفيتش: العرب والغصن الذهبي، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص16 .

[3] كلود ريفير: المرجع السابق، ص 100،101.

[4] جوزيف كامبل: قوة الأسطورة، تر: حسن صقر وميساء صقر، دار الكلمة للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1999، ص23 .

[5] أحمد كمال زكي: الأساطير ،مكتبة الأسرة، مصر، (د.ط)، 2002، ص13 .

[6] نقلا عن: شهيرة بوخنوفة: أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع في منطقة خراطة، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012/2011، ص 31 .

والتلاشي والزوال[1]، أي أن المعتقد لا يمكنه الظهور والاستمرار عبر الأجيال، إلا من خلال أفعال وطقوس تجسّد ذلك الفكر.

فالطقس والمعتقد يتبادلان الاعتماد على بعضهما البعض، فرغم أن الطقس يأتي كناتج لمعتقد معين فيعمل على خدمته، إلا أن الطقس نفسه ما يلبث حتى يعود إلى التأثير على المعتقد فيزيد من قوته وتماسكه بما له من طابع جمعي يعمل على تغيير الحالة الذهنية والنفسية للأفراد.[2]

وإذا كانت الأسطورة تنشأ عن المعتقد الديني وتكون امتدادا طبيعيا له تعمل على توضيحه وإغنائه، وتثبته في صيغة تساعد على حفظه وتداوله بين الأجيال[3]، فهي ترتبط بشكل وثيق بالطقس فالطقس هو جسر بين المتعبد وقوى قدسية معيّنة وكلما كانت هذه القوى ذات شخصيات محددة وخصائص وسيرة حياة ترسمها الأساطير كلّما زاد الطقس غنى وتعقيدا.[4]

والأسطورة هي ناتج من نواتج الطقس، "فالطقوس المؤسسة منذ زمن مغرقة في القدم، تفقد بمرور الأيام معناها وغايتها وتتحوّل إلى إجراءات غامضة لا يعرف ممارسوها والقيّمون عليها مدلولاتها ومضامينها، وهنا تأتي الأسطورة لكي توضح أصل الطقس ومعناه، وتقدّم تفسيرا مقنعا لتلك الإجراءات التي تناقلتها الأجيال".[5]

فالعلاقة بين العناصر الثلاث تنحصر في "الدين" «فالإحساس الديني هو الذي ينتج المعتقد، وإن الطقوس الدينية تقوم على المعتقد الذي يعطيها المعنى والدلالة، والأساطير تنسج من أجل

[1] فراس السواح: دين الإنسان، ص 54
[2] المرجع نفسه، ص 55 .
[3] المرجع نفسه، ص 59 .
[4] المرجع نفسه، ص 60 .
[5] فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ص 145 .

توضيح المعتقد وترسيخه»[1] فهي "إذن حلقة متصلة يُنتج بعضها بعضا ولا تكون مترابطة إلا إذا اتصلت وتداخلت وامتزجت".[2]

2-5 الشعبية :

كلمة "الشعبية" مشتقة من كلمة "الشعب" التي تكررت في مختلف المعاجم العربية القديمة منها والحديثة بنفس المعنى، فشعب الرأس هو شأنه الذي يضم قبائله وفي الرأس أربع قبائل، وهو القبيلة العظيمة، الحي العظيم يتشعب من القبيلة وقيل هو القبيلة نفسها، والشعب أبو القبائل الذي ينتسبون إليه أي جمعهم[3] ولعلّ هذا الطرح أيّده النص القرآني فورد في التنزيل ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[4]، وهو القول الذي يذهب إليه البعض أن كلمة الشعوب بلفظ الجمع غلبت على جيل العجم، يذهب البعض الآخر مثل ابن العباس (ض) إلى القول: الشعوب الجماع والقبائل البطون، بطون العرب وسواء أصاب الأول أم الثاني في تحديد المفهوم الصحيح لهذا المدلول يبقى أن العرب أو العجم نشأوا في شكل قبائل، اجتمعوا تارة واختلفوا تارة أخرى بحكم ظروف وعوامل مختلفة، وهذا ما يؤكده بن السكيت في تحديده لمدلول كلمة "الشعب" لغة بأنها تكون بمعنيين تكون إصلاحا وتكون تفريقا، ومن منظور فيزيولوجي محض يبدو أن هذا التعريف يحمل بين طياته نسبة عالية من الصواب إذا ما شرّح تشريحا علميا[5] فقد قال الشيخ ابن برّي «الصحيح في هذا ما رتبه الزبير بن بكار وهو الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة ».[6]

---

[1] فراس السواح: الأسطورة والمعنى ، ص 111 .

[2] نضال فخري طه: الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، كلية الدراسات العليا، 2009، ص 15 .

[3] ابن منظور: المرجع السابق، ص 319 .

[4] سورة الحجرات، الآية 13 .

[5] رشيد سبوح: المعتقدات الشعبية في الجزائر –ظاهرة العين نموذجا– رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2001/2000 ص 35 .

[6] ابن منظور: المرجع السابق، ص 320 .

قال أبو أسامة هذه الطبقات على ترتيب خلق الإنسان، فالشعب أعظمها مشتق من شعب الرأس، ثم القبيلة من قبيلة الرأس لاجتماعهما ثم العمارة وهي الصدر ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهي السّاق.[1]

إن المتمعن في قول الشيخ ابن بري أو أبي أسامة وعلى الرغم من اختلاف شكلي بسيط يعي حقيقة بأن الشعب قديما كان يمثل رأس مال الهرم الذي يقابله رأس الإنسان وما يحمل من أهمية في احتوائه على الدماغ مركز تفكير الإنسان وثقله، فهو النواة الأولى التي تتفرع منها كل الأقطاب الأخرى، فهو ببساطة رمز الوحدة والقوة.

فالملاحظ وفي زمن ليس بالبعيد انقلاب الموازين بحيث ما كان في الأعلى أصبح في قاعدة الهرم، فأصبح ينعت إلى كل ما هو بسيط أو رديء أو غير رسمي بالشعبي أو الشعبية ،ولعلّ هذا الانقلاب البطيء يرتبط بتلك التحوّلات التي خضع لها المجتمع البشري، ولا يبدو المعنى مخالفا في الثقافات الأجنبية ونخص بالذكر اللغة الفرنسية، فكلمة Populaire في قاموس "روبير الصغير" تعني الذي يملكه الشعب أو صادر عن الشعب، خاص بالشعب سواء أكان معتقدات أم عادات أو ما يبدعه الشعب ويستعمله، ولا نجده عند الطبقة البرجوازية أو عند الناس المثقفين.[2]

كذلك "قاموس المصطلحات" «الشعب عامة الناس الذين يشتركون في رصيد أساسي من التراث القديم»، وقد ظهرت كلمة "شعب" في علم الإثنولوجيا لأول مرة كمصدر لبعض الكلمات المركبة مثل الأغنية الشعبية، والمعتقد الشعبي في أواخر القرن 18م، ثم ظهرت في أربعينيات القرن الماضي مع كلمة فولكلور، وحينما استعملت كلمة "شعب" ككلمة مستقلة في المناقشات الإثنولوجية الفولكلورية كانت تعني بصفة عامة الجماعة الصغيرة أو الشعب المتخلف أو الجماعة التي يرتبط أفرادها بمصالح مشتركة أو عامة الشعب المتخلف أو الجماعة التي يرتبط أفرادها بمصالح مشتركة أو

[1] ابن منظور: المرجع السابق ، ص 321.

[2] رشيد سبوح: المرجع السابق، ص 36 .

عامة الشعب أو الفلاحين، وعندما صك "توماس" مصطلح الفولكلور كان يقصد بكلمة الشعب ذلك الجزء من السكان الذي احتفظ بالعادات وآداب اللياقة القديمة أي الفلاحين وأهل الريف.[1]

لكن هذا الزخم من التعاريف والمفاهيم الاصطلاحية نجده يقتصر على الطبقة الكادحة من المجتمع وتقصي نقيضتها من الفئات العليا، لذا يفضل بعض الأنثروبولوجيين الإشارة من خلال مصطلح "الشعب" إلى «جماعة بشرية أو إلى وحدة سكانية معينة ... تعتبر موحدة بفضل لغة مشتركة»[2]، ومن التعريفات السائدة للمصطلح «الشعب يعني جماعة اجتماعية يرتبط أفرادها بتراث مشترك وشعور خاص بالتعاطف قائم على خلفية تاريخية مشتركة»[3]، والذي يهمنا وراء كل هذا مصطلح "الشعبية" ويعتبر "جوته" أول من صك المصطلح عندما أراد التعبير عن الشعب كشخصية موحدة تعيش خصائصها في كل فرد من أفراد الشعب[4]، وقد يفهم من كلمة الشعبية كصفة ألحقت بالثقافة عند المفكر "فايس" «كل ما تقبّله الشعب وتبنّاه وتحمّله».[5]

2-6 المعتقدات الشعبية :

المعتقدات الشعبية، أو كما يسميها رجال الدين قديما الخرافات أو الخزعبلات، هي من أصعب الأشكال الشعبية دراسة لأنها خبيئة في صدور الناس وهي لا تلقن من الآخرين ولكنها تختمر وتتشكل بصعوبة يلعب فيها الخيال دورا ليعطيها طابعا خاصا، لأنه من الصعب الكشف عما يؤمن به الآخرون وما يحملونه من تصوّرات.[6]

وكثيرا ما تعود المعتقدات الشعبية إلى جذور دينية سواء أكان الدين الرسمي المعترف به اجتماعيا أم إلى ديانات قديمة انهارت وبقيت المعتقدات تمثل رواسب ثقافية [7]، فالمعتقد الشعبي هو

[1] إيكه هواتكرانس: المرجع السابق، ص 231 ، 232 .
[2] شارلوت سيمور شميث: المرجع السابق، ص 329 .
[3] إيكه هواتكرانس: المرجع السابق، ص 235 .
[4] المرجع نفسه، ص 239 .
[5] المرجع نفسه، ص 159 .
[6] ينظر: محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، ج1، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة، ط1، 1978، ص42، 43 .
[7] أحمد زغب: الفولكلور –النظرية – المنهج – التطبيق ، ص 33 .

« كل ما يؤمن به المجتمع أو الفرد فيما يتعلق بالعالم الخارجي والفوق طبيعي كما يعود إلى تصوّرات عن أسرار بعض الظواهر الطبيعية كتصوّرات الناس عن البرق والمطر والرعد والزلازل ... أو النفسية كالأحلام والموت والنوم والميلاد، ورؤية المستقبل ».[1]

والمعتقدات الشعبية لها دور كبير في توجيه سلوك أفراد المجتمع حتى ليبلغ ذلك إيمانهم بصحة هذه المعتقدات، حيث يتبعها الأفراد دون أي إعمال لعقولهم لمدى صحتها أو خطئها[2]، وهي لم تأت إلى هذا الوجود صدفة أو في مرحلة تاريخية معينة بل هي مزيج من الحضارات الغابرة كالحضارة الفرعونية والحضارة القبطية أو الحضارة الإسلامية وحضارات الشعوب الأخرى[3]، فهي ظاهرة اجتماعية تنتج من تفاعل الأفراد في علاقاتهم الاجتماعية وتصوّراتهم حول الحياة والوجود، وقوى الطبيعة المخيفة والمسيطرة أو المتحكمة في تسيير الحياة الكونية لأسباب عديدة أهمها التراكم الاجتماعي للعادات والتقاليد والأفكار فيصبح المعتقد ذا قوة آمرة قاهرة، فهو يأمر في حالة الإيجاب، ويقهر في حالة السلب.[4]

فهي ليست وليدة حضارة معينة أو ديانة سماوية أو وضعية ولا زمان محدد ولا تقتصر على المجتمع البدائي ولا المتطور، فهي عبارة عن شجرة ضاربة الجذور في الماضي متنوعة الأغصان في الحاضر لا يمكن قطع ظاهرها، وهي بمنظور أنثروبولوجي نتاج المراحل الفكرية الأولى للحضارة الإنسانية التي قبلت بمظاهر مراحل الحياة الجديدة لكن لم تقبل بالتخلي نهائيا عن خصائصها القديمة التي لا يزال الإنسان المعاصر يتغذى منها وبهذا الغذاء الذي تشكله رموز بدائية تجسّدت في مختلف أنماط حياته ليتعامل معها برفق ويذهب به الأمر إلى حدّ الاستشهاد في سبيلها أحيانا.[5]

---

[1] محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، ج1، ص 42 .

[2] ينظر: يحي جبر: التراث الشعبي الفلسطيني حلقة وصل، دائرة المعارف الفلسطينية WWW.encynajah.com

[3] محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، ج 1، ص 47 .

[4] ينظر: نضال فخري طه: المرجع السابق، ص 15 .

[5] ينظر: فاطمة بلعربي: توظيف المعتقد الشعبي في دراسة القصص القرآني، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2012 /2013، ص7 .

ومن الخصائص الأساسية المميزة للمعتقدات الشعبية أنها تحوي ما يسمى بالأفكار أو المواقف الإنسانية العامة أو ما يعرف بالأفكار الأساسية[1]، والأفكار مهمة جدا في حياة الجماعة، وذلك ما أكد عليه "إميل دوركايم" بقوله: «إن المجتمعات لا تتكون من مجرد مجموعات من الأفراد الذين يحتلون مكانا معينا في ظل ظروف مادية معينة بل إن المجتمع هو قبل كل شيء مجموعة من الأفكار والمعتقدات والمشاعر المتلونة بواسطة الأفراد ».[2]

وارتباطها بموضوع الأفكار يمنحها صفة العمومية والعالمية، ويجعل مفهومها متطابقا عند كثير من فئات المجتمع المختلفة، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود اختلاف بسيط «إن المعتقدات الشعبية موجودة ولكن بدرجات متفاوتة بالطبع في كافة الطبقات وعلى كافة المستويات ».[3]

والمعتقدات الشعبية كثيرة ومتنوعة منها:

- الاعتقاد بالكائنات العلوية والسفلية، كالجن والعفاريت والهواتف.
- طقوس الدخول والخروج الواجب اتباعها عند دخول مكان أو الانتقال لطور جديد من أطوار الحياة.
- الاعتقادات الخاصة بالتشاؤم أو بالتفاؤل من أشياء أو أفعال ،الأحجبة ...
- ومنها ماله علاقة باستقراء الغيب والكشف عن المستقبل .
- ومنها ما يتضمن الاعتقاد بالطب الشعبي (الكي ،الرقية ،الزار ...)
- ومنها ما يرتبط بعادات دورة الحياة والمواسم الزراعية والأعياد والموالد.

ويبقى عالم المعتقدات شاسعا لا تحدده حدود الفكر الانساني ولا تقيده الممارسات اليومية، كما لا تجعل منه الطقوس والاحتفالات التي تخصص له فضاء ضيقا.[4]

---

[1] ينظر: محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية ،ج1 ،ص 44 .

[2] نقلا عن: خديجة لبيهي: المضامين التربوية للتنشئة الاجتماعية للمرأة في الثقافة الشعبية المكتوبة، رسالة دكتوراه ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، 2015/2014، ص 149 .

[3] محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية،ج 1، ص 44 .

[4] ينظر: عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة – المفاهيم والاشكاليات ... من الحداثة إلى العولمة ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص160،161 .

2-7 الرواسب الثقافية :

تعتبر الرواسب الثقافية أمرا طبيعيا في الأفراد، لأنهم يحملون ثقافات رسخت عبر الزمن لديهم ونشأوا عليها وبقيت مستمرة معهم رغم التطور الحاصل في حياتهم.

رغم وجود مصطلح "الرواسب الثقافية" يعتبر "إدوارد تايلور" أول من صك المصطلح، عند عرضه نظرية التطور الثقافي للمجتمعات التي تستند على فكرة التقدم الاطرادي للشعوب والثقافات وانتقالها من حالة الهمجية والبدائية إلى حالة التمدن والتحضر، ويقول في وضع المصطلح[1] « إن من الشواهد التي تساعدنا على تتبع الطريق الذي سلكته حضارة العالم فعلا تلك المجموعة الضخمة من الأشياء التي رأيت أنه من المفيد لتوضيحها أن أطلق عليها اسم "رواسب ثقافية "»[2] ويقصد تايلور بالرواسب الثقافية تلك العادات والسلوكات والمعتقدات القديمة التي كانت سائدة في المجتمع والتي لا يزال محافظا عليها ومتمسكا بها بعد أن انتقل من حالته القديمة إلى حالة جديدة لها ظروف مغايرة تماما عن الظروف الأولى التي أدت إلى ظهور تلك الأفكار والعادات والمعتقدات .

وتحدث "بارتيو" عن الرواسب باعتبارها «حالات عقلية ثابتة في العقل البشري توجد في كافة المجتمعات بالرغم أن التعبير عنها يختلف من مجتمع لآخر».[3]

أما "هوبل" HOEBOL " فقد عرّف الراسب الثقافي بأنه «عنصر أو مركب ثقافي تغيرت وظيفته الأصلية بمرور الزمن بحيث أصبح استعماله مجرد اتفاق شكلي»، فالراسب الثقافي بالنسبة له وللتطوريين عموما تفقد السمات الثقافية وظيفتها القديمة أو تكاد ويقتصر وجودها لدى متبنيها تحت ذريعة التقليد لا أكثر فهي «تدلنا بشكل مفيد في سياق النظرة التاريخية على أشكال ثقافية أقدم».[4]

---

[1] ينظر: إيكه هولتكرانس: المرجع السابق، ص 2015 .

ونقلا عن : نسيمة زين: الرواسب الثقافية وعلاقتها بالصراع التنظيمي، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2014/2013، ص 26 .

[2] إيكة هولتكرانس: المرجع السابق، ص 215 .

[3] نقلا عن: نسيمة زين: المرجع السابق، ص 26 .

[4] إيكه هولتكرانس: المرجع السابق، ص214، 215 .

أما زعيم النظرية الوظيفية في الدراسات الأنثروبولوجية "مالينوفسكي" يرى من خلال نقده للنظرة السابقة أن يسبق التحليل الوظيفي للثقافة أي أبحاث عن تطورها، وعلى هذا الأساس يرى أن الرواسب الثقافية تبقى لأنها اكتسبت معنى جديدا ووظيفة جديدة.[1]

وقد أثبت نزولنا إلى الميدان من خلال هذه الدراسة، أن بعض المعتقدات ما زالت مترسبة –رغم الانفتاح الحضاري– لتشبث سكان المنطقة بها باعتبارها إرث الأجداد وهي جزء لا يتجزأ منهم.

2-8 الطب الشعبي :

الطب الفولكلوري، الطب البدائي، الطب التقليدي، الطب العرقي، أو طب الركة "الخزعبلات" كلها مسميات تطلق على الطب الشعبي وهو فرع من فروع الأنثروبولوجيا الطبية ،الذي كان محط اهتمام العديد من الأنثروبولوجيين، حيث يرى "فوستر" أن الطب الشعبي مجموعة متنوعة من الخبرات والمعلومات الناجمة عن الملاحظة الفضولية للأنثروبولوجي الذي يجمع الوسائل والأساليب التي يستخدمها أعضاء المجتمع لعلاج مرضاهم، وعرفه "جيمس كير كيلاند" بأنه «تلك المعتقدات والممارسات المرتبطة بالمرض والتي تنتج عن تكون التشخيص الثقافي البعيد عن الإطار التصوري للطب الحديث ».[2]

أما "يودر" فيذهب إلى أن الطب الشعبي هو «جميع الأفكار ووجهات النظر التقليدية حول المرض، وما يتصل بذلك من سلوك وممارسات تتعلق بالوقاية من المرض ومعالجته، بغض النظر عن النسق الرسمي للطب العلمي ».[3]

وتحدث "ابن خلدون" عن هذا النوع من الطب عند ذكره لطب البادية الذي ينبني في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثا عن مشايخ الحي وعجائزه.[4]

---

[1] إيكه هولتكرانس: المرجع السابق ، ص 217 .

[2] مجموعة من أساتذة علم الاجتماع: الصحة والبيئة – دراسة اجتماعية أنثروبولوجية – جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، مصر، كلية الآداب، 2001، ط1، ص 117 .

[3] نجلاء عاطف خليل: علم الاجتماع الطبي، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، (د.ط)، 2006، ص 263 .

[4] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة بن خلدون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 546 .

أما "منير البعلبكي" يعرف الطب الشعبي بأنه «معالجة الأمراض بطرائق تقليدية أو مكتسبة عن طريق الخبرات المتوارثة جيلا بعد جيل لا بطرائق علمية أو مكتسبة عن طريق الدراسة في كلية من كليات الطب، والطب الشعبي بعضه منبثق من المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية ومن الخرافات والأساطير أيضا، وبعضه متأثر بتجارب الشعوب عبر أعصار متطاولة».[1]

وخلصت "نجلاء عاطف خليل" إلى تعريف إجرائي للطب الشعبي «هو مجموعة الأفكار والمعتقدات الشائعة في المجتمع حول أنماط المرض والنظرة العامية لمسبباته، والأنساق الثقافية التي تحدد طريقة المجتمع في اختيار المعالجين الشعبيين والممارسات العلاجية الشعبية خارج النسق الطبي الرسمي والتي تشمل الطقوس والعادات والوصفات العلاجية المتعلقة بإجراءات الوقاية من المرض ومعالجته»[2].

وجاء في بيان جمعية الصحة العالمية الثانية والستين في البند 12-4 أن مصطلح الطب الشعبي يشمل مجموعة متنوعة وواسعة من المعالجات والممارسات التي قد تختلف اختلافا كبيرا من بلد إلى آخر ومن إقليم إلى آخر.[3]

ويقصد بالطب الشعبي « مجموعة من المعتقدات والخبرات والممارسات المتوارثة أو التي يتم تعلمها والمنقولة شفهيا والمرتبطة بشكل كبير بالإيكولوجية للمجتمع المحلي وكذلك بالبناء الاجتماعي للمجتمع وبالثقافة السائدة»[4] فهو يعكس ذلك التفاعل بين الإنسان والنسق الأيكولوجي الذي يعيش فيه، فمصادر البيئة من حشائش طبية وأحجار ورمال لا يمكن أن تشفي الأمراض وحدها دون وجود الخبرة البشرية في استخدامها والتعامل معها وتخضعها للاستخدام اليومي بصرف النظر عن صحة الاستخدام.[5]

---

[1] منير البعلبكي: موسوعة المورد العربية، المجلد الثاني، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1990، ص 734 .

[2] نجلاء عاطف خليل: المرجع السابق، ص 264 .

[3] جمعية الصحة العالمية الثانية والستون، البند 12-4، الوثيقة ج 8/62، 22 ماي 2009 .

[4] الأزهر ضيف: البيئة والمجتمع – دراسة تحليلية للصحة والمرض في وادي سوف – مطبعة اقرأ، قسنطينة، ط1، 2010، ص 127

[5] أحمد فاروق محمد صالح: دور الخدمة الاجتماعية في مواجهة الممارسة غير السوية للطب الشعبي مع المسنين، جامعة القاهرة ، 2002 .

نفهم من مجمل التعريفات أن الطب الشعبي هو مختلف الممارسات التي يلجأ إليها الإنسان في حالة المرض سواء من خلال التجربة والانتقال من شخص لآخر، أو بالعودة لممارسي العلاج الشعبي على اختلاف أصنافهم والذين نجدهم قد ورثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم بالاعتماد على مختلف عناصر الطبيعة من نبات ومعادن وحيوانات وممارسات يدوية من تدليك وتجبير وحجامة وكي ...إلخ أو باستخدام الرقي والتعاويذ والكلمات المقدسة والطقوس السحرية ...إلخ

2-9 العقـــم :

2-9-1 العقم لغـــة : العَقمُ والعُقم، بالفتح والضم، هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد، عَقِمَت الرحم عَقْما وعُقِمت عُقما وعَقْما وعَقَمها الله يَعْقِمُها عَقْما ورحم عَقيم وعَقيمة مَعْقومة، والجمع عَقائم وعُقُمٌ، وما كانت عَقيما ولقد عُقمت فهي مَعْقُومة، وعَقُمت إذا لم تحمل فهي عقيم وعَقُرت بفتح العين وضم القاف.

وقال ابن الأثير: والمرأة عَقيم ومَعْقُومة، والرجل عَقيم ومَعقوم، ويقال للمرأة معقومة الرحم كأنها مسدودةٌ ... ورحم معقومة أي مسدودة لا تلد .

والدنيا عقيم أي لا ترد على صاحبها خيرا، ويوم القيامة يوم عقيم لأنه لا يوم بعده والريح العقيم في كتاب الله هي الدَبور، قال تعالى: (وفي عاد إذ ارسلنا عليهم الريح العقيم)، قال أبو إسحاق: الريح العقيم التي لا يكون معها لَقَحٌ، أي لا تأتي بمطر إنما هي ريح الإهلاك، وقيل هي لا تلقح الشجر ولا تنشئ سحابا ولا تحمل مطرا.

وقال الجوهري: العَقامُ الداء الذي لا يُبْرَأُ منه.[1]

نلحظ تفسير " عَقُمَت" بـ "عَقُرت"

[1] ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثاني، ص848، 849 .

والعَقْرُ والعُقْرُ: العُقْمُ، وهو استعقام الرحم وهو أن لا تحمل .

والعُقْرَة خرزة تُعَلّق على العاقر لئلا تلد. [1]

ويشيع في الأوساط الشعبية أن يعبر عن العقم بالعقر ويطلق على المرأة التي لا تنجب عاقر وكذلك الرجل الذي لا يرزق أبناء.

وقد حاول بعض الباحثين التمييز بين العقم والعقر، وتوصّل بعضهم إلى أن كلمة "عقر" يمكن اطلاقها على ما يمكن شفاؤه والعقم على الحالة التي لا شفاء منها.[2]

2-9-2 العقم اصطلاحا :

المتعارف عليه أن العقم هو عدم القدرة على الإنجاب، وهو عبارة عن مرض عضوي يشترك فيه الرجال والنساء ولا يرجى شفاؤه ... ويتعذر معه إنجاب الأولاد.[3]

وحسب قاموس لاغوس الطبي يعرف العقم بأنه «عدم قدرة الزوجين على انجاب طفل ولا يستطيع الحديث عن العقم إلا بعد عامين من محاولات إخصاب منظمة من أجل الظفر بطفل»

ويعرف العقم بأنه: «ضعف القدرة على الإنجاب أو عدم القدرة على الحمل بعد مرور سنة على الزواج مع افتراض أن الزوجين يعيشان تحت سقف واحد خلال تلك الفترة ويمارسان حياتهما الزوجية بصورة طبيعية دون استعمال أي مانع حمل لكلا الزوجين »[4]

أما منير البعلبكي فيعرف العقم بأنه «حالة يكون فيها الإنسان أو الحيوان أو النبات عاجزا عن الإنجاب أو تجديد النوع»[5]

---

[1] ابن منظور: المرجع السابق،، ص837 .

[2] ينظر: الطاهر براهمي: العقم بين الطب الشعبي والطب الرسمي في المجتمع الجزائري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2016/2015، ص 30 .

[3] ينظر: سارة علاء عبد الهادي: العقم لدى النساء، شهادة مقدمة لنيل شهادة البكلوريوس في العلوم، جامعة بابل، ص 6،7 .

[4] نقلا عن: تركية منال: الممارسات الشعبية لعلاج داء العقم لمنطقة تقرت، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016/2015، ص 14 .

[5] منير البعلبكي: المرجع السابق، ص 772 .

والعقم قد يكون طبيعيا خلق الله الرجل أو المرأة عقيما، وقد يكون حسب اعتقاد الجماعة الشعبية بسبب مس من الجن داخل جسم أحدهما، فقد يستوطن الجن رحم المرأة حيث يفسد البويضات فلا يتم الإخصاب، أو يترك الإخصاب يتم حتى يكتمل الحمل ولكن بعد مرور شهور من الحمل يركض الشيطان في رحم المرأة فيحدث الإجهاض ولا يعرف حملها استقرار في الرحم ويسقط باستمرار.[1]

والعقم شكلان:

أ- عقم أولي: وهو عدم امكانية حدوث حمل عند المرأة بعد سنين من الزواج، وهي تعيش حياة جنسية طبيعية ومنتظمة.

ب- عقم ثانوي: يعني عدم حدوث حمل جديد بعد مرور سنين من الحمل الأول رغم رغبة الزوجين في الإنجاب، أو قد يحدث حمل لكنه ينتهي بإجهاض دون الحصول على طفل.[2]

2-10 المرأة في الثقافة الشعبية:

امرأة مؤنث مرء، ومرء في السامية القديمة: مرا ومؤنثه مراة ويعني السيد المولي، وورد في نص آرامي "مراي ملك آشور" أي مولاي ملك آشور، وهو في السريانية مار ويلقب به شيوخ الدين، وتطوّر معناه ولفظه في العربية إلى مرء ومرأة ويعني الرجل وأنثاه، وليس له جمع من جنسه، ومرأة لها عدة صيغ فإلى جانب مرأة نقرأ امرأة ومرة ومراة والأخيرة على اللفظ السامي القديم، وتدخل ال التعريف على المرأة والمرة ولا تدخل على امرأة إلا في الشواذ، وجمع المرأة نساء ونسوة ونسوان.[3]

والمرأة موضوع رئيس لعديد الأبحاث والدراسات، التي تمخضت عنها رؤى متباينة حول المرأة، فعرّفها الكثير من العلماء والأدباء والفلاسفة كل حسب اختصاصه فمنهم من التجأ إلى الفن

---

[1] ينظر: بلقاسم مصباحي: حماية الإنسان من العين والسحر والجان، دار الهداية، قسنطينة، (د.ط)، (د.ت)، ص 52 . وتركية منال: المرجع السابق، ص 15 .

[2] ينظر: سارة علاء عبد الهادي: المرجع السابق، ص 7 .

وتركية منال: المرجع السابق، ص 15 .

[3] ينظر: هادي العلوي: فصول عن المرأة ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص 9

بمختلف ألوانه وعرفها بالعواطف، ومنهم من ذهب إلى المجتمع والواقع، ومنهم من ذهب إلى العلم ليدرس التكوين البيولوجي والنفسي والعضوي للمرأة واستعمل المختبر لتعريفها.[1]

وصل موضوع المرأة صداه إلى الثقافة الشعبية، فشكلت موضوعا أساسيا في مختلف أشكال التعبير الشعبي، واندست العديد من الأوضاع التي تعيشها المرأة بكل تفاصيلها في كثير من العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية .

نجد الأمثال الشعبية قد رافقت المرأة في مختلف مراحلها العمرية (بنت ،أخت ،زوجة ،أم ...) فالمطلع على الأمثال الشعبية الجزائرية بصفة عامة يجد أن لفظ "مرا " و "البنت" قد تكرر في العديد من الأمثال، فقد خصص لها "قادة بوتارن" في كتابه "الأمثال الشعبية الجزائرية" بابا كاملا في الجزء الرابع من الكتاب[2]، وتباينت الأمثال في عمومها في نظرتها للمرأة فتراوحت بين إيجابية وسلبية فصورت بعض الأمثال انزعاج الأسرة من وجود البنت "هم البنات للممات" وأكدت بعضها على أهميتها في الأسرة باعتبارها رمزا للحنان "البنت تجي من القلب بعيدة وتقربله، والولد اجي قريب من القلب ويبعد عنه"، وعبرت الأمثال الشعبية عن زواج الفتاة فأعطت صورة الفتاة في خطبتها "أخطب بنات الأصول علاش الزمان يدور"[3] باعتبار أن الزوجة تقف إلى جانب الزوج عند الشدائد والحاجة، وتناقضت الأمثال بين تفضيل الزواج بالقريبة تارة، والزواج بالبعيدة تارة أخرى، وحظيت مسألة إنجاب المرأة بنصيب من الاهتمام في الأمثال الشعبية فنجده يواسي المرأة العاقر "هنيتك يا العاقر وانت ما هنيتي روحك"[4]، كذلك نجد الأمثال الشعبية قد صورت المرأة في مختلف الوضعيات الاجتماعية التي قد تمر بها فانتقدت المرأة المطلقة والتي تسمى الهجّالة* ، وانتقدت الفتاة التي تأخر زواجها وعبرت

[1] هيثم الباقر: تعريف المرأة ، الحوار المتمدن، العدد 4742 WWW.ahiwar.Org

[2] ينظر: قادة بوتارن: الأمثال الشعبية الجزائرية، تر: عبد الرحمان الحاج صالح، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص149.

[3] محمد الصالح بن علي: الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية، مطبعة صخري، الوادي، ط1، 2012 ، ص27

[4] رابح خدوسي: موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، دار الحضارة، (د.ط)، 1997، ص 183 .

* ويعني لفظ – الهجالة– في الوسط الشعبي المرأة المطلقة أو التي توفي عنها زوجها، وهي تحريف لكلمة هجول في الفصحي، ففي المنجد، ص 856 ، الهجول: المرأة البغي .

عنها بـ البايرة* " البايرة قالت بيَّ سحر "، كذلك عالجت أهم العلاقات الاجتماعية التي تكون فيها المرأة طرفا بعد زواجها فعالجت علاقتها مع حماتها وضرتها وزوجها و... وكشفت عن الصفات التي تميزت بها المرأة بصفة عامة كقدرتها على التغير، والخلق الحسن، والصبر والغيرة والحسد، والخوف من التقدم من السن والعناد والغدر والوفاء...[1]

واستقطب موضوع المرأة اهتمام الشعراء الشعبيين واختلفت رؤيتهم لها بين مادح ومتغني بجمالها، وبين مغرق في وصف كيدها ومكرها، ونأى الشعر الشعبي بنفسه على الاهتمام بتفاصيل حياة المرأة والمواقف التي تتعرض لها في مختلف مراحلها العمرية كبنت أو أخت ... واهتم برصد الصفات العامة التي تشترك فيها جميع النساء، وكان جمال المرأة موضوعاً أساساً في الشعر الشعبي الجزائري بصفة عامة، وكان مجالا للإفصاح عن مشاعر الحب والإعجاب تجاه المرأة[2]، إلا أنه لم يغفل عن وصف أخلاقها وأدبها، ويظهر ذلك جليا في قصيدة "بنت الحلال" للشاعر الشعبي علي عناد[3] :

واحد كاسب بنت حلال بنت أصـول وبنت رجـــال

همة وسياسة و أفعـــال بالدايـــر تلقاهـا جميلـــه

.....

واحـد كاسب بنت بلاده ذكـــرة مبرومـــة قـدادة

تعمّـر و تربيلـــه أولاده يلقاهـــم ليّـــام طويلـة

ولم يخل الشعر الشعبي من وصف خداع المرأة ومكرها وحيلتها، فهذا الشاعر الساسي بن حمادي يقول في مقطع من قصيدة "الكيد العظيم"[4]:

* ولفظ "البايرة" مأخوذة من البوار ج بور، والأرض البور التي لم تزرع، والبوار الهلاك ، والكساد، وتنعت المرأة بالبايرة كالسلعة التي لا تعجب أحد .

[1] ينظر: خديجة لبيهي: المرجع السابق، ص 258 .

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص266، 267

[3] ينظر: محمد الصالح بن علي : من روائع الشاعر الشعبي علي عناد، ص 150، 151 .

[4] محمد الصالح بن علي وحمادي محمد نافع : الشاعر الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره، من إصدارات دار الثقافة ،مطبعة مزوار، الوادي، 2006، ص 91 .

رد بالك من بنية حـــــوى راهـــــي كـــــي اللفعـــــة تتلـــوى

جربهـــــا وقت التتنـوى تبـــــــــــدا اتنتـــــف فيـــــــك

بلسانهـــا تذيـــــــــــك تتزير كي مثل العقدة ما تحلها سنيك

رد بـــالك من بو نسـوان لا تعطـــــي فيهـــــم لمـــــــان

واهتمت الأغنية الشعبية بالمرأة مركزة على موضوع العلاقات العاطفية والتغني بجمالها[1]، ومما لا شك فيه أن القصص الشعبي لم يغفل عن الوقوف عند مختلف الأوصاف والوضعيات والعلاقات الاجتماعية التي تعيشها المرأة ويشير التلي بن الشيخ إلى ذلك بقوله : "تحتل المرأة في القصص الشعبي مكانا بارزا، إن لم نقل إنها تمثل روح القصة الشعبية".[2]

كذلك كان للمرأة نصيب وافر من الطقوس والعادات والتقاليد والمعتقدات المتعارف عليها في المجتمع والتي حددت ورسمت تفاصيل حياتها وأثرت في شخصيتها، فهي منذ ميلادها إلى غاية زواجها وبعد الزواج تعيش تحت وطأة الطقوس والعادات والمعتقدات للظفر بمكانة اجتماعية ترضي الأسرة والمجتمع الذي تعيش فيه.

ما يمكننا قوله أن كل أصناف الثقافة الشعبية من أشكال التعبير الشعبي، والعادات والمعتقدات الشعبية ساهمت في إعطاء صورة متكاملة عن المرأة؛ فما عجز عنه المثل فسّره الشعر والأغنية والقصة وما لم تكرسه الخطابات النصية كرسته الطقوس والعادات .

[1] ينظر: خديجة لبيهي: المرجع السابق، ص 302 .

[2] التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1990، ص148 .

الفصـــل الأول :المرأة بين الواقع والمعتقد الشعبي

أولا: المرأة في الثقافات الانسانيـــة .

ثانيا: إنجاب البنت في المعتقد الشعبي

ثالثا: عادات ومعتقدات تنشئة البنت في مرحلة الطفولة

رابعا: طقوس بلـــوغ الفتاة

خامسا: الفتاة وطقوس الزواج

سادسا: المرأة والإنجـــاب

أولا: المرأة في الثقافات الإنسانية:

1-1 المرأة في الثقافات القديمة:

رغم اعتبار المرأة نصف المجتمع إلا أن التفكير الإنساني توحد في نظرته الدونية لها سواء أكان المجتمع بدائيا أم متطورا أو متقدما أو رجعيا فهي خاضعة للرجل (الأب، الأخ، الزوج) في مختلف مراحل حياتها في إطار نظام اجتماعي "تتراءى فيه الهيمنة الذكورية أمرا يستغني عن التبرير".[1]

وقد شكلت الأساطير القديمة الإطار المرجعي في طمس هوية المرأة وقدراتها، فارتبط جسدها بالخطيئة فهو جسد "نجس"، وهي كجنس مسؤولة عن إخراج آدم من الجنة لأنها أغوته بأكل التفاحة المحرمة، وكان عقابها لإخراج آدم من الجنة أن تتحمل أتعاب الولادة والخضوع للرجل وقال: "للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولادا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك".[2]

والمرأة خلقت من ضلع أعوج... فأخذ الرب واحدة من أضلاع آدم وملأ مكانها لحما، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم[3]، والمرأة في قصص التكوين التوراتية هي أدنى أعمال الصنعة الإلهية «...بدأ الله تعالى بخلق الرجل ثم يجري خلق الحيوانات الدنيا ثم يخلق في النهاية المرأة»[4]، وصورت ملحمة جلجامش الصورة المهينة للمرأة:

أي خير سأناله لو تزوجتك

أنت إما أنت إلا الموقد الذي تخمد ناره في البرد

أنت كالبان الناقص لا يصد عاصفة ولا ريحا

أنت قصر يتحطم داخله الأبطال

أنت فيل يمزق رحله

أنت قير يلوث من يحمله وقربه تبلل حاملها

---

[1] ينظر: بيار بورديو: الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص27.

[2] سفر التكوين، الإصحاح، 3-16 .

[3] ينظر: سفر التكوين، الإصحاح، 2-20-21 .

[4] ينظر: عبد الهادي عباس: المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها، ج1، دار طلاس، دمشق، ط1، 1987، ص 18 .

أنت حجر مرمر ينهار جداره

أنت حجر يشب يستقدم العدو ويغريه

وأنت نعل يقرص قدم منتعله

أي من عشاقك من بقيت على حبه أبدا.[1]

والمرأة في الأساطير الهندوسية "هي الغواية وأصل الفتنة وأينما وجدت ارتبط بها ظهور الموت"[2]

والوضع الحالي للمرأة قد نشأ منذ البدايات الأولى للمجتمع البشري ففي فجر التاريخ وجدت نفسها في حالة عبودية لرجل ما، ربما بسبب ضعف قواها البدنية، ثم بدأت القوانين والنظم السياسية بالاعتراف بالوضع القائم[3]، فأفلاطون في مدينته الفاضلة" جعل النساء آخر طبقات المجتمع وتركهن كلأ مباحا على الشيوع بين طبقة الحكام والفرسان"[4]، وانتقص أرسطو من قيمة المرأة لعدم قدرتها على ممارسة الفضائل الأخلاقية كالرجل، وعدم قدرتها على شغل أي منصب اجتماعي أو ثقافي أو حتى قيادة المنزل، واعتبر مهمتها تقتصر على الإنجاب، بل إنها مسؤولة مسؤولية كاملة عن إنجاب الأنثى.[5]

والمرأة في "قانون مانو" هي العنصر الضعيف دائما وأبدا تجاه الرجل، فإنها دائما تخضع لإرادته ومشيئته على مر الأجيال والأزمان حيثما أراد هو لا حيثما تريد هي[6] فالفتاة الصبية والمرأة المتقدمة في السن لا تمارسان إرادتهما الخاصتين حتى في شؤون منزلهما، إلا بعد الموافقة والرضا من الأب والأخ...[7]

وحال المرأة في جاهلية العرب لا يختلف عن غيره، فنظروا إليها نظرة الشيطان ...ونظر الرجل إلى رأيها نظرة الوهن والضعف ....واستقبلت الأنثى بتجهم، وكان مصيرها الوأد.[8]

---

[1] طه باقر: ملحمة كلكامش، المكتبة عربية، نسخة PDF، ص 61.

[2] ربى زياد الشوشي: الضلع الأعوج أسباب خلق المرأة WWW.ultrasmart.com

[3] جون استوارت ميل: استعباد النساء، تر: إمام عبد الفتاح، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1998، ص 12.

[4] محمد الغزالي: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار الهناء للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2001 م، ص 65 .

[5] مبروك بوطقوقة: الجسد الأنثوي بين المعتقد الشعبي والمعتقد الديني WWW.Mahapross.com

[6] باسمة كيّال: تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1981، ص 8 .

[7] عمر رضا كحالة: المرأة في القديم والحديث، ج1، مؤسسة الرسالة، سورية، ط1، 1979، ص137 .

[8] ينظر: جواد العلي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، جامعة بغداد، ط2، 1993، ص617 .

وفي عصر الاسلام، هناك من فسّر وضع المرأة انطلاقا من النصوص المقدّسة (القرآن والحديث) واعتبروا دونيتها مكرّسة فيها[1]، فالمرأة كما تقول "سيمون بوفوار" هي "ضحية النوع" فالطبيعة البيولوجية كانت رافدا أساسيا في تدعيم الفارق الأيديولوجي والثقافي والاجتماعي.[2]

1-2 المرأة في مجتمع وادي سوف :

تعد المرأة في مجتمع البحث من أهم عناصر تشكيل الأسرة وأحد دعاماتها الرئيسية، إلا أن وضعها يشبه وضع مثيلاتها في أي مجتمع آخر، حيث تهيمن الأيديولوجية البطرياكية، و"حيث تلعب التربية التقليدية دورا كبيرا في استمرارية وإعادة إنتاج الممارسات الاجتماعية التمييزية"[3] فلم يعط لها فرصة لتلعب دورها كعنصر فعال داخل المجتمع فنجدها كانت تعاني من أزمة حقوق مهضومة داخله وقد عكست الممارسات الفعلية والخطابية الشعبية في المنطقة هذا التوجه " العادات والتقاليد ،المثل شعبي ..."، وهي لا تعرف إلا بالرجل ابنة فلان، زوجة فلان، أم فلان "فلا تكتمل صياغة الجنس المؤنث وتمثيله ثقافيا إلا من خلال إضافته إلى الذكورة، ولا يضاف إلى نفسه ولا تضاف الذكورة إليه".[4]

ونظرة المجتمع السوفي للمرأة تعد نظرة سلبية، فالزوج نادرا ما يسمي زوجته باسمها ،وعندما يتحدث عنها يشير بلفظة (العايلة)، ومن هنا كانت مكانتها ثانوية، حيث ينحصر دورها في تنظيم "الحوش" وترتيبه والعمل في المطبخ لتوفير الغذاء لأفراد العائلة ورعاية الأطفال وما يتبقى من وقت تقضيه في صناعة الصوف لتوفير المنسوجات المختلفة، حتى تكون لباسا لأعضاء العائلة، أو تصنع من أجل بيعها في السوق[5]، كذلك المرأة البدوية كانت تبذل جهودا مضاعفة نتيجة الأعمال اليومية

[1] ينظر: زينب المعادي: المرأة بين الثقافي والقدسي، مطبعة النجاح ،الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 1992، ص54 .

[2] ينظر: تركي علي الربيعو: العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الاسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 2، 1995، ص146 .

[3] فوزي بوخريص: صورة المرأة في الأمثال الشعبية، WWW.aljabriabed.net .

[4] عبد الله الغذامي: ثقافة الوهم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص 75 .

[5] أحمد بن الطاهر المنصوري: الدر الموصوف في تاريخ وادي سوف، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص91.

وجهود الترحال في الصحراء، حتى أننا نشاهد المرأة في العشرين من عمرها تذبل وتتجعد[1]، وكانت المرأة تمتنع من الأكل أمام زوجها باعتباره عيبا وعارا، ولا يمكنها أن تطلب من زوجها إحضار بعض الأغراض للبيت، وقد يكون سببا في طلاقها إذا تجرأت وطلبت ذلك[2]، والتهميش الذي فرضته العادات والتقاليد أساء تفسير وضعها كما يقول أبو القاسم سعد الله حيث اعتبرت المرأة " آلة نسل وخادمة بيت وحاضنة أطفال وجالبة حطب وماء".[3]

وقضت عادات المنطقة وتقاليدها أن المرأة دوما ماكثة بالبيت، وإذا ما أرادت الخروج لزيارة أهلها أو تهنئة قريب أو تعزيته، فإنها تخرج في أوقات محدودة، وعند فراغ الطرقات من المارة، وخلو السوق من الرجال، وغالبا ما يكون عند صلاة المغرب أو عند صلاة العشاء بعد دخول الرجال إلى المساجد لأداء الصلاة، ولا تخرج نهارا أبدا إلا عند الضرورة القصوى كموت عزيز لها، أب، أخ أو أم...[4]، وقد التمسنا من خلال لقائنا مع الحاجة "زينب بن نصيب" ما يعكس أكثر من ذلك حيث تقول: «أن المرأة قديما لا تخرج نهارا مهما كان الظرف حتى وإن توفي أعز الناس إليها، فعندما توفيت أمي وبلغوني نبأ وفاتها في النهار فلم يسمح لي زوجي بحضور جنازتها ولم أتمكن من الذهاب إلا بعد صلاة المغرب، وإذا كانت مناسبة ختان أو زواج قريب على المرأة أن تجهز نفسها باكرا لتخرج عند صلاة الصبح ولا تعود إلى بيتها إلا ليلا حتى لا تصادف الرجال في طريقها ».[5]

وأثرت التربية التقليدية في المرأة ذاتها حتى أصبحت ترى دونية نفسها تقول الحاجة "بن نصيب زينب": «كانت المرأة تهتم برعاية رجال الأسرة أكثر من نفسها باعتبار أن الرجل يشقى لإعالة الأسرة ويحمل على عاتقه مسؤوليتها أكثر منها، فكانت المرأة السوفية تحضر وجبة الغذاء وغالبا ما تكون "مرق "و" تمر" للرجال، أما النساء فيكتفين بأكل التمر والحليب دون "المرق" أما العشاء والذي

[1] الجباري عثماني: مظاهر من العادات والتقاليد في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف في أواخر القرن 19م، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد 2، 2013، ص 185 .

[2] ينظر: علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية ، ص 534.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص337 .

[4] أحمد بن الطاهر المنصوري: المرجع السابق، ص 90 .

[5] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

غالبا ما يكون "كسكس" فهو مخصص للرجال والنساء، وتقول الراوية أيضا «لا تأكل المرأة من الأغذية النادرة والتي تجلب من الشمال ك "المقرونة"، وإنما هي مخصصة للرجال خاصة كبير العائلة وكانت المرأة تمتنع عن شرب الشاي أو تذوقه عند الطهي وإن حصل ذلك تحاول إخفاء الأمر وإلا اعتبرت "مش مرا*" وقد تتعرض للطلاق إذا اكتشف أمرها»[1]، وكان على المرأة السوفية أن تصبر على هذه القواعد الصارمة كما يقول المثل " اللي صبرت بيتها عمرت".[2]

والمرأة في مجتمع وادي سوف كانت تقدم أعمال يومية وخدمات فورية في صمت وغفلة من المجتمع، مع عدم اعتراف في معظم الأحيان من الرجال، بتلك الخدمات، مهما كان الاختلاف في صفة القرابة بالمرأة.[3]

وقد تتعرض المرأة في مجتمع الدراسة للطلاق لأتفه الأسباب تقول الراوية "زينب بن نصيب" «قد يعود الرجل من عمله ولا يجد زوجته في البيت وعند سؤاله عنها، يخبره والداه بأنها طلقت وذهبت لبيت أهلها دون أن يكون له رأي في الموضوع»[4]، فالمرأة في مجتمع الدراسة كانت مهضومة الحقوق، وكانت كالمتاع الموجود في زاوية من زوايا البيت يتصرف الجميع في شؤونها ومصيرها تزوج وتطلق دون أن يكون لها رأي .... وحرمت من ابنها إذا طلقت واحتفظ الوالد بالابن، وقد عكست الأهازيج النسوية وضعها الاجتماعي:[5]

احوار اللي غرد مجروح يبكي بدمه

في شوشته محضروشي أمه

غرد بصواته حين الجابو كسوته وجلابه

لا حضرتله أمه لا دادا يا لندرا كيفاش كبسنه

* أي امرأة غير جديرة بإدارة شؤون المنزل.

[1] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

[2] المثل متداول في الأوساط الشعبية النسوية في مجتمع البحث .

[3] ينظر: علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية، ص534 .

[4] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

[5] علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية، ص536، 537 .

شاش الخاطر

وطاحت ادموع علخدود تتقاطر

الغناي ما يفهمه كان الشاطر

ولّى طالب حافظ حروف الملة

ياالله يا النسوم الخاطم

بي نسألك تجيبش خبر عن حمة

ووضع المرأة في مجتمع وادي سوف لم يتوقف عند حدود الممارسات الفعلية، وإنما اجتهدت الفضاءات النصية في إبرازه، وعكست نظرة المجتمع السيئة لها فصورتها القصص الشعبية في صورة المرأة الخائنة، ومصدرا لكل شر وفساد ...[1] وهي عديمة الوفاء "لا في الشتاء نهار دافئ ولا عند النساء عهد وافي".[2]

والمرأة في مجتمع وادي سوف حملت مسؤولية كل فشل فإن لم تحض بزوج فهي "بايرة" وإن لم تنجب فهي "عاقر"، وإن أنجبت البنات لا فائدة منها ومصيرها في كلا الحالتين غالبا ما يكون الطلاق، ولهذا نجدها تلجأ مكرهة إلى ممارسة العديد من الطقوس حفاظا لمكانتها الاجتماعية وإرضاءً للمجتمع .

[1] ينظر: ثريا التيجاني: المرجع السابق، ص55-59 .

[2] محمد الصالح بن علي: الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية، ص 148 .

ثانيا: إنجاب البنت في المعتقد الشعبي :

أهم خبر يترقبه أفراد الأسرة بمجرد أن تضع الوالدة طفلها هو جنس المولود من حيث كونه ذكرا أو أنثى، ويصل هذا التفضيل إلى درجة أن بعضهم يملأه الحزن إذا ولدت أنثى، أما الصبي فالكل يفرح ويتهلل بمقدمه[1] بدليل القول السائر "اللي ما عندوش الذكر لا ينذكر" فالولد الذكر في نظر الأسرة هو الذي يحمل اسم العائلة ويضمن استمرار ذكرها في المجتمع فهو امتداد لوالده وحافظا لميراث الأسرة حيث لا يتفرق الميراث بين الأقارب.

ثقافة حب انجاب الذكور ثقافة متجذرة في كافة المجتمعات ويدعمها الإرث الشعبي بمختلف أشكاله، فالكاتب "محمد حسين" يتحدث عن هاته الثقافة في بلدة البحرين بقوله «حب إنجاب الذكور ليس حصريا على ثقافة دون أخرى فهو ثقافة قائمة بذاتها لا زالت تجد لها حيزا في عقول الناس»[2]، فإنجاب البنات دون الذكور قد يساوي العقم بالنسبة للرجل في بعض المجتمعات، فشرّع "قانون مانو" «أن العقيم من الذكور، إن كان له ابنة يسعى لزواجها على أن يكون مولودها الذكر ابنا له.»[3].

ومجتمع وادي سوف، لا يختلف عن غيره من المجتمعات في نظرته للأنثى حيث " يميلون بشكل واضح لإنجاب الذكور"[4] وكثيرا ما يعرّض كثرة إنجاب الإناث المرأة للانتقاد والحط من قيمتها الاجتماعية وقد تكون عرضة للطلاق، عكس نظيرتها من النساء التي تنجب الذكور نجدها تحظى باهتمام الزوج واحترام الأسرة وتقدير المجتمع.

إنجاب الذكر يعتبر قيمة، إذ يساهم في تعزيز المكانة الاجتماعية للمرأة، فالمرأة التي تلد الذكور يكون حظها عندهم أحسن من غيرها ومكانتها أفضل، مما يجعل إنجاب الذكور مطلبا اجتماعيا تسعى

[1] محمد الجوهري وآخرون: الطفل والتنشئة الاجتماعية، القاهرة، 2008، ص10.

[2] حسين محمد حسين: ثقافة حب إنجاب الذكر في البحرين، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 10، صيف 2010، ص 58 .

[3] عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص 134 .

[4] أندريه روجيه فوازان: المرجع السابق، ص 157.

المرأة لتحقيقه للظفر بمكانة اجتماعية متميزة[1]، ولم يقتصر تأثير هذه الظاهرة على الناحية الاجتماعية للمرأة، وإنما ترك تأثيره على الناحية النفسية والفكرية لها حيث كشفت عن معتقدات شعبية يؤمن بها المجتمع وطقوس تمارسها المرأة على وجه الخصوص منها ما يساهم في انجاب الذكر، ومنها ما تعلّق بالتنبؤ بجنس المولود، ومنها ما تعلّق بالتخلص من انجاب البنات.

2-1 طقوس التحكم في جنس المولود:

تكونت الرغبة في التحكم في جنس المولود بسبب ثقافة حب إنجاب الذكور، حيث جعلت الإنسان منذ القديم يبحث عن "آلية صنع المولود الذكر" فراح يحلّل وبعدها يصوغ تلك التحليلات في أساطير تفسر له آلية "صنع الذكر" ثم يستخدم هذه الأساطير ليبتكر على أساسها طريقة لينجب بها ذكورا فقط، وهكذا ومنذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور ابتكرت جلّ الشعوب طرقا مختلفة لإنجاب الذكور فقط دون الإناث[2]، فكان اختيار الزوجة في كثير من المجتمعات يتم من خلال النظر إلى شجرة عائلة زوجة المستقبل التي ستنجب العديد من الذكور، باعتقادهم أن ابنة أم البنات لا تلد إلا البنات، وابنة أم الذكور ستلد الذكور[3]، فالمرأة في اعتقادهم هي المسؤولة عن تحديد جنس المولود، ورافق هاجس إنجاب الذكر العديد من الطقوس المرافقة للزواج.

وظلّ التحكم في تحديد جنس المولود حمّى أصيبت بها العديد من الشعوب والحضارات[4]، ظهرت على اثرها العديد من الطقوس والمعتقدات أصبحت شائعة في الأوساط النسوية والذكورية على السواء والتي عن طريقها ترجيح حمل المرأة بمولود ذكر:

2-1-1**طقس المضاجعة الجانبية:** طريقة المضاجعة الجانبية هي احدى الطرق التي يعتقد فيها تمكّن المرأة من حمل وانجاب الذكر، تقول الحاجة (ق.ض): «إذا أرادت المرأة أن تنجب مولودا ذكرا تنام على

[1] خديجة لبيهي: المرجع السابق، ص256 .
[2] حسين محمد حسين: المرجع السابق، ص59.
[3] المرجع نفسه، ص64 .
[4] المرجع نفسه، ص65 .

الجهة اليمنى أثناء الجماع»[1]، وهذه الطريقة شبيهة بما جاءت في الأقوال اليونانية: «أقدم الطرق اليونانية التي وصلت لنا والتي كانوا يعتقدون أنها فعّالة في الحصول على مولود ذكر كانت طريقة المضاجعة الجانبية ...في حال أراد الزوجان الحصول على مولود ذكر كل ما عليهما فعله هو الاضجاع على الجانب الأيمن أثناء الجماع، وعلى الجانب الأيسر في حال أرادا المولود أنثى»[2]، وهذا الاختيار هو نتاج النظرة الدونية للمرأة لأن اليمين له صلة دلالية باليمن والخير والبركة، أما اليسار له صلة دلالية بالعسر، فالأعسر هو الذي يستخدم يده اليسرى، وربما يدل على معنى الصعوبة وضنك العيش[3]، وفي اليونانية اعتبرت الفيثاغورية «الجانب الأيمن والشمس والنور والقوة والنظام مبدأ المذكر، والظلمات والفوضى والجانب الأيسر ترمز إلى مثل الأرض والمرأة».[4]

2-1-2طقس بلع السرّة: من المعتقدات الشائعة في الأوساط النسوية، تقول الموردة (رشيدة. ر): «أن المرأة إذا كانت قد أنجبت بنتا وأرادت إنجاب ذكر في الحمل المقبل عليها أن تقوم بوضع سرة البنت في تمرة مع عشبة "الشندقورة" وتردّد " كليت الشندقورة بدلي ليناثي* بالذكورة "ثم تبتلعها، فإنها ستحمل ذكرا في البطن الأخرى بإذن الله، وهي طريقة مجربة عدة مرات وكانت ناجحة»[5]، وتدخل عشبة "الشندقورة" في العديد من الطقوس السحرية فهي في اعتقاد المرأة في مجتمع البحث وسيلة للتضرع إلى الله لطلب تحقيق رغبات تأمل بلوغها، ولذلك نجدها في طقس من طقوس فك العنوسة.

وفي المغرب إذا ولدت المرأة وكانت ترغب في أن يكون جنينها اللاحق من جنس مختلف، فما عليها إلا أن تأخذ المصران الغليظ لكبش وتقلبه، لتستعمله كحزام حول بطنها مدة معينة، وإذا أرادت

[1] (ض.ق)، 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، أمية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 صباحا .

[2] حسين محمد حسين: المرجع السابق، ص62 .

[3] ينظر: محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، ج2، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص183 .

[4] عبد الهادي عباس: المرجع السابق، ص69 .

* يقصد بها الإناث (البنات) .

[5] (رشيدة .ر): 60 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/03/08 على الساعة 17:00 مساء.

المرأة المتزوجة حديثا أن يكون مولودها ذكرا، عليها أن تتحزم بالأغصان الملتوية لدالية (شجيرة) العنب طيلة مدة حملها.[1]

2-1-3 طقس جمع خصيّ الخرفان: إذا أرادت المرأة انجاب مولود ذكر عليها أن تقوم بجمع سبعة (7) خصي خرفان أضحية العيد من سبعة (7) بيوت وتقوم بأكلها في مدة (7) أيام، أي تأكل كل يوم خصية[2]، وهذا الطقس من قبيل السحر التشابهي، فالكبش هو رمز للذكورة والقوة الإخصابية فخصيته وكأنها خصية الرجل، والعدد (7) يتمتع بمقدرة تأثيرية مطلقة في مختلف الثقافات وهو يرمز إلى الكمال، ومن ثم في اعتقادهم أن ذلك يؤثر في المرأة وتنجب الذكر.[3]

2-1-4 تعليق حجاب سورة يوسف: إذا أرادت المرأة إنجاب ذكر« يذهب زوجها إلى شيخ الزاوية ليكتب له حجابا تكتب عليه آيات من سورة يوسف وتعلقه الحامل منذ بداية حملها إلى غاية انتهاء فترة الحمل »، ويفسر هذا الاعتقاد من قبيل السحر التشابهي بأن كثرة عدد إخوة يوسف من الذكور يؤثر في جنس الجنين الذي تحمله المرأة التي تريد إنجاب الذكر.[4]

ومن الطقوس التي يلجأ إليها الرجل لتنجب له زوجته المولود الذكر «إذا أراد الرجل أن يرزق بمولود ذكر، عليه أن يتخطى كوشة الجبس أثناء حمل زوجته ويردد "يا ربي يعمّر عليا " ثلاث مرات ثم يقوم بالتبوّل في نفس المكان»[5] يفسر هذا الاعتقاد بأن هناك علاقة بين البول والجنين "فالمصريون قديما اعتقدوا أن البول يتصل بالجنين وأنه يؤثر فيه ويتأثر به"[6] كما كان يرمز للبول في تفاسير الأحلام، في العراق القديم، إلى الولد الذكر "فالرجل الحالم بالبول على الحائط سوف يرزق بولد أو أولاد كثيرون، ويرمز الانحناء أمام البول إلى الرغبة والحاجة إلى الأطفال ولا سيما الذكور".[7]

---

[1] مصطفى واعراب: المعتقدات السحرية وطقوسها في المغرب، دار الحرف للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ،2007 ،ص176 .

[2] النايمة سديرة: 65 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/31 على الساعة 16:00 مساء .

[3] ينظر: جان صدقة: معجم الأعداد، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 134-167 .

[4] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .

[5] جبارية مولى: 61 سنة، أمية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 12:00.

[6] كريستيان ديروش نوبلكور: المرأة الفرعونية، تر: فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2009، ص116.

[7] سامي سعيد الأحمد: المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2013، ص53 .

وفي قاموس العادات والتقاليد المصرية «إذا أراد الرجل أن تلد امرأته الذكور فليضع يده اليمنى على سرتها وهي نائمة ويمسح على السرة وهي في ابتداء حملها ويقول ثلاث مرات وهو يديم المسح بيده: اللهم إن كنت خلقت خلقا في بطن زوجتي هذه فكونه ذكرا وأنا أسميه محمدا، ربّ لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب وبشروه بغلام عليم.[1]

وفي المعتقد الشعبي أن نوع الأكل يؤثر في تحديد جنس المولود، تقول المعالجة "الرايسة"«إذا أرادت المرأة أن تنجب الذكور عليها أن تكثر من أكل الحامض والمأكولات شديدة الملوحة والحارة وتقول أيضا إذا أرادت المرأة إنجاب ذكر عليها أن تأكل "الحنتيت" مع القارص في بداية الحمل»[2] بمعنى أن الحرارة والملوحة هي التي تعطي فرصة إنجاب الذكر، وهذا الاعتقاد يقترب من فكرة أرسطو حول تحديد جنس المولود الذكر الذي يتوقف على الحرارة الكامنة التي تزودها خصية الرجل اليمنى للمرأة[3]، وإذا أرادت المرأة إنجاب مولود ذكر عليها أن تقوم بتطهير "المهبل" بمادة الكربونات.[4]

ويفسر المعتقد الشعبي أن المرأة التي لا تلد سوى البنات مصابة "بتابعة أم الصبيان"، ينبغي عليها التخلص منها[5]، وفي المغرب قد يطلب من المرأة أن تذبح ثعبانا ذكرا ولد لتوه، ثم تقطعه عددا من الأجزاء، حسب عدد الذكور المراد ولادتهم ثم تطبخ القطع وتأكلها المرأة.[6]

وعدم إنجاب الذكور يكون في كثير من الأحيان مبررا لتسويغ طلاق الرجل لزوجته، ويبدو تفضيل المواليد الذكور على الإناث اجترارا لعقلية هي من بقايا تفكير إنسان المجتمعات الزراعية والرعوية، التي كان مطلوبا خلالها من المرأة أن تلد كثيراً من الأولاد ليؤمنوا للأسرة القيام بالأشغال الفلاحية الشاقة كما يضمنون استمرار تداول اسم العائلة[7]، وهو ما دفع بالمرأة إلى ممارسة طقوس

[1] أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، دار كلمات عربية، مصر، (د.ط)، 2013، ص392.

[2] الرايسة بيطة: 56 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي الجبل، بلدية جامعة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/20 على الساعة 9:30 صباحا.

[3] حسين محمد حسين: المرجع السابق، ص 62 .

[4] سعيدة غندير مبروك:51 سنة، أمية، حي الحرية، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/10 على الساعة 10:30 صباحا .

[5] خليل رابحي: 55 سنة، معالج شعبي، أمي، الرقيبة، تم اللقاء معه يوم 2018/02/17 على الساعة 10:00 صباحا .

[6] مصطفى واعراب: المرجع السابق، ص 172 .

[7] المرجع نفسه، ص 173 .

مختلفة للظفر بالولد الذكر حتى وإن كانت تلك الممارسات خطرة على صحتها، تقول الراوية "بوصبيع إبراهيم فاطمة" «إذا أرادت المرأة إنجاب الذكر بعد أن كررت إنجاب البنات تقوم ببلع زريعة القرداشة مع التمر»، وتعتبر هذه الممارسة خطيرة عن صحة المرأة باعتبار "زريعة القرداشة" عبارة عن أسلاك حديدية رقيقة، تقول الراوية قد أدت بصاحبتها إلى الهلاك.[1]

2-2 طقوس ومعتقدات التنبؤ بجنس الجنين :

المرأة، وبمجرد حملها، ينتابها هاجس التنبؤ بجنس الجنين ،خاصة إذا كانت قد لجأت إلى ممارسة طقوس تعتقد فيها أنها تتحكم في تحديد جنس الجنين وغالبا ما تكون خاصة بالذكر في ظل ثقافة تعتبر انجاب الذكور مطلبا اجتماعيا يجب على المرأة تحقيقه، فشاعت في الأوساط النسوية وفي مختلف الثقافات الإنسانية الكثير من المعتقدات الشعبية حول تشخيص جنس الجنين :

فالطب الأكدي قديما اهتم بالتشخيصات الخاصة بالحمل والولادة، وأطلق على المرأة الحامل أم المستقبل، وتعتمد تلك التشخيصات حول معرفة جنس المولود، ذكرا كان أم أنثى، على علامات الحمل التي تظهر على المرأة الحامل «فإذا وجدت في جبين أم المستقبل بقعة لامعة بيضاء فإن الجنين الذي تحمله سيكون بنتا، وستكون غنية، وإذا كان أنف أم المستقبل متورما بارزا فإن الجنين الذي تحمله ولد».[2]

ويمكن التكهن بجنس الجنين منذ الوقت الذي تشعر فيه أمه بالحركة، إذ يعتقد أن الجنين الذكر أحكم وأقوى من الجنين الأنثى، ولذا فإن حركته تسبق حركتها، فهو يتحرك في نهاية الشهر الرابع، بينما تتأخر حركة الأنثى حتى منتصف الشهر الخامس أو نهايته كما أن حركة البنت تدق دقاً، الولد هادي في حركته، وإن الجنين يتحرك في الجهة الشمال، أما الأنثى فتتحرك في الجهة اليمين».[3]

[1] فاطمة بوصبيع إبراهيم: 62 سنة، تقرأ وتكتب، حي الكوثر، البياضة، تم اللقاء معها يوم 2018/02/01 على الساعة 10:00 صباحا .

[2] خزعل الماجدي: بخور الآلهة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص156، 157.

[3] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص43 .

وفي أوروبا هناك وسائل متعددة تتيح معرفة جنس الطفل القادم ومنها «أن تقف أم المستقبل لابسة قميصها وتدع قطعة فضية تنحدر بين ثدييها فإذا سقطت هذه القطعة يمينا كان الوليد ذكرا وإذا سقطت يسارا كان الوليد أنثى، ويعتقد أن المرأة إذا أسقطت سكينا فهي ستلد ذكرا أما إذا أسقطت مقصا فهي ستلد أنثى».[1]

والمرأة الفرعونية في مصر قديما كانت تشخص نوع الجنين، حيث « يبلل كيسان يحتوي أحدهما على شعير والآخر على قمح مع بول سيدة، فإذا نموا، فيعني هذا أنها حامل، وإذا نبت القمح قبل الشعير، كان هذا دليلا على أن الوليد ذكرا ... وإذا نبت الشعير أولا كان المولود أنثى» وتحديد جنس المولود بهذين النباتين راجع إلى نوعية اسم كل منهما ... فكلمة قمح في اللغة المصرية مذكّرة أما كلمة شعير فهي مؤنثة[2]، وحاول الصينيون منذ القديم معرفة جنس الجنين قبل ولادته، حيث يضربون العدد 7 X 7 ثم يحسمون النتيجة عن عمر الأم فإذا جاءت النتيجة مزدوجة يكون المولود المنتظر صبيا، وإذا جاءت مفردة تكون بنتا.[3]

والبحث في مجتمع الدراسة، كشف لنا العديد من المعتقدات الشعبية التي من خلالها تتكهن المرأة بجنس وليدها منذ بداية حملها إلى غاية لحظة المخاض والولادة، تقول الموردة (ق.ض): «الذكر يُفَصَّل في الشهر الثاني حيث تبرز جميع أطرافه وأعضائه، أما البنت لا تتشكل إلا في الشهر الرابع، أما قبل الشهر الرابع فهي عبارة عن لحمة واحدة ...وتقول الراوية إنها تفطنت لذلك من خلال حالات الإجهاض»، ومن ثمة تقول الراوية أن الذكر يسبق الأنثى في حركته وهو جنين في بطن أمه[4]، كما

[1] بيار كانا فاجيو: معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا، تر: أحمد الطبال، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 186 .

[2] كريستيان ديروش نوبلكور: المرجع السابق، ص 116 .

[3] جان صدقة: المرجع السابق، ص 193 .

[4] (ض.ق): 64 سنة، معالجة نساء بالأعشاب، أمية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08، على الساعة 10:00 صباحا .

تختلف حركة الذكر هي الأخرى عن حركة الأنثى «فحركة البنت تعصّد*وباتجاه الأسفل، أما حركة الذكر خفيفة وتشيّر وتتوزع في كافة البطن».[1]

ومن المعتقدات الشائعة أيضا أنه يمكن التكهن بجنس الجنين من خلال لون حلمة ثدي الحامل، تقول الراوية "فريحة الحويج" «إذا كان لون حلمة ثدي الحامل أسود فإنها حامل بذكر، وإذا كان لون الحلمة يميل إلى الاحمرار فإن الوليد سيكون أنثى»[2]، وهذا التشخيص عرف في الطب الأكدي القديم «...إذا كانت الحلمة قاتمة السواد فإنها حامل بولد وإذا كان أحمر اللون فإنها حامل ببنت »[3] ويعتقد أن شكل بطن الحامل أيضا يمكن من خلاله معرفة جنس الجنين «فإذا كان بطن الحامل محرّفا (مهلّل) ومرتفعة إلى الأعلى فالجنين ذكر، أما إذا كانت البطن نازلة ومتهدلة إلى الأسفل فإنها حامل بأنثى»[4]، وفي فلسطين كذلك «إذا كان بطن المرأة مرتفع فهي حامل بولد، وإذا كان منخفضاً فهي حامل ببنت»[5]، ويحمل الارتفاع إلى الأعلى والانخفاض إلى الأسفل دلالات أسطورية رمزية، فالصعود يرمز إلى النور والإشراق وتحقيق الكمال، أما ما له صلة بالنزول يقترن بمعنى الظلام وما يتصل به من دلالات الانتقاص[6]، وهذا ما يفسر دونية الأنثى مقابل الذكر فالذكر في المعتقد الشعبي هو الذي يحقق كمال الأم ويعزز مكانتها الاجتماعية عكس الأنثى التي تنقص وتحط من قيمتها وإن كانت ترغب في إنجابها .

* حركة ثقيلة .

[1] خضرة منصوري: 73 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/02/26 على الساعة 15:00 مساء .

[2] فريحة الحويج: 48 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/30 على الساعة 18:00 مساء .

[3] خزعل الماجدي: بخور الآلهة، ص157.

[4] سعدية شاقور: 68 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/02/23 على الساعة 17:30 .

[5] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص 41 .

[6] محمد عجينة: المرجع السابق، ص 185 .

والذاكرة الشعبية لم تغفل في المقارنة بين حمل الذكر والأنثى، وعلى سبيل المثال الأغنية التي تغنت بالحامل قبل أن تضع مولودها:

يا حاملة الصبيان يا حاملة الصوان

يا حاملة عيشـــة يا حاملة خيشة

والمقارنة هنا بين الجنين البنت والجنين الذكر ليس في الثقل أو الوزن فقط ولكنها تتبطن تفضيلا في القيمة والمكانة.[1]

ويعتقد أن الحامل يمكنها معرفة جنس جنينها من خلال شكل الشعر المحيط بسرتها «فإذا بقي شعر سرة الحامل واقفا عند صب الماء يكون المولود ذكرا، وإذا نزل شعر السرة واتجه بصب الماء إلى الأسفل فالمولود يكون أنثى»[2]، ويعتقد أن الحامل إذا دخل شهرها التاسع ولم تلد في بدايته فالمولود ذكر، أما البنت تولد بمجرد دخول الشهر التاسع تقول الراوية "فريحة الحويج" «العيّانة* بالبنت ما تكمّلشي شهرها والعيّانة بولد تكمّل شهرها»[3]، ويبقى هاجس التنبؤ بجنس المولود يرافق المرأة إلى غاية المخاض «أوجاع المرأة تختلف بين مخاضها بالذكر وبين مخاضها بالأنثى، أوجاع الأنثى متباطئة وتطول مدتها ومن خلالها تتعب المرأة، أما أوجاع الذكر متسارعة وخفيفة ومن ثمة لا تطول ولا تتعب الأم»، وتقول القابلة (ق.ض) بأنها تفرق بين التي ستلد الأنثى وبين التي ستلد الذكر عند مساعدة الحامل لحظة الولادة «عندما أقوم بسحب الطفل من رحم أمه إذا كانت "السّقية" ملساء يكون المولود أنثى وإذا كانت خشنة يكون المولود ذكرا، والذكر يولد مقلوبا على وجهه أما الأنثى تكون مقابلة لوجه أمها».[4]

[1] عبد الحميد حواس: أوراق الثقافة الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (د.ط)، 2005، ص 34 .

[2] سعدية شاقور: 68 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/02/23 على الساعة 17:30 .

* المرأة الحامل .

[3] فريحة الحويج: 48 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/30 على الساعة 18:00 مساء .

[4] (ض.ق): 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، أمية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 صباحا .

2-3 طقوس استقبال المولود الأنثى:

يؤثر جنس المولود على موقف كل من الوالد والوالدة والأسرة في مجتمع وادي سوف "فيستقبل المولود الذكر بحفاوة كبرى، تترجمها الفرحة الغامرة بميلاده والزغاريد المتعالية التي تدوي في أرجاء البيت وإن كانت أنثى تستقبل بترحيب أقل"[1] فبمجرد أن تتلقف "القابلة" – وغالبا ما تكون امرأة مسنة – المولود تنطلق في إطلاق الزغاريد مع حماة الزوجة والنساء الحاضرات إذا كان المولود ذكرا ويحمل المولود لوالده ليؤذن في أذنه وعيونه تلمع فرحا، لأن الذكر عندهم يعتبر رمزا للقوة وهو من سيقف سندا بجانب أبيه في مواجهة الحياة الصعبة فالمثل الشعبي يقول في شأن الذي يتوفى بدون إنجاب الذكور "مات خلي الدار"، أما الأنثى تستقبل بصمت وخيبة، فيسود وجه الأهل ولا يفرحون بها ولا تزغرد النساء عليها ولا يؤذن لها في أذنها، وفي حالات لا يقترب منها أبوها أصلا [2] وكثيرا ما تمتنع الأم ذاتها من حمل ابنتها المولودة خاصة إذا تكرر انجابها للبنات.[3]

تقول القابلة "هنية عوينات" «إذا كان جابت النافس بنت نحمدلها عن خلاص راسها ونهزلها خاطرها بهذه الكلمات:[4]

يا مرحبا يا مرحبا	بملايكـــــة اللـــه
هذي ونيسة أمها	ربي عنهـــا يتمهـــا
وبالخير يعمهـــا	والهناء والسعادة يمنهـــا

تقول الحاجة "مريم بن خليفة" أن القابلة وهي تساعد المرأة أثناء الولادة تردد عبارات تتمنى فيها الخلاص للأم بمولود ذكر «الخلاص والترّاس*، الخلاص والترّاس»، وإذا تبين للقابلة أن المولود أنثى

[1] أندريه روجيه فوازان: المرجع السابق، ص 156 .

[2] محمد ساكر: العادات والتقاليد في وادي سوف ما بين 1945-1962، مطبعة الوادي، الوادي، ط1، 2016، ص54 .

[3] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .

[4] ينظر: هنية عوينات: المعتقدات الشعبية في طب الأطفال، مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر، 2015/2014، ص 28 .

* يقصد به المولود الذكر .

وسبق للمرأة أن ولدت ذكرا، تحاول القابلة إخبارها بأن المولود أنثى فتردد "إدامك قدّامك، إدامك قدّامك*"، وتفهم الأم حينها أنها أنجبت أنثى.[1]

وطقوس الاستقبال السيء والمتجهم للأنثى، ثقافة متجذرة في مختلف المجتمعات والثقافات الإنسانية، ففي فلسطين إذا كان المولود ذكرا تخرج الداية لتبشر الجد والأب، وتأخذ الحلوان لتوزع على الصبايا، لإبلاغ الخبر[2]، وقد تتقاضى القابلة أجرا ويرتفع أجرها إذا كان المولود ذكرا[3]، وفي البحرين يقوم الزوج بإعطاء الشخص الذي بشره مبلغا من المال تسمّى "البشارة " وتكون بشارة البنت أقل من بشارة الولد.[4]

والمرأة الأثينية عندما ترزق بطفل كانت تلجأ إلى إعلام الجيران بالنبأ، بتعليق خيط من الصوف على باب الدار الخارجي، إذا كان المولود بنتا، وإكليلا من غصون الزيتون إذا كان المولود ذكرا، وخيط الصوف يرمز إلى حياة العمل الوضيع الذي ينتظر الفتاة والإكليل إلى المستقبل الباهر الذي كانت الأسرة ترجوه للصبي.[5]

2-3-1 طقوس التهنئة بميلاد الأنثى:

وفي منطقة سوف، بمجرد وصول خبر الولادة للجيران والأقارب تتوالى النسوة لتقديم التهاني للنفساء، إلا أن طقوس التهاني وتقديم الهدايا تختلف هي الأخرى بحسب جنس المولود، فإذا كانت المولودة أنثى تقتصر التهاني على تهنئة الأم على سلامتها "المهم في خلاص الراس"، "ينفض فراشك على خير"، "الكرش اللي جابت البنت تجيب الولد"[6] كل هذه العبارات تهمل الترحيب بالأنثى والمواساة للأم، كما قد ترمز التهنئة بالأنثى إلى حياة العمل الذي ينتظرها "مبروك عنكم هالحطابة "[7]

[1] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .

[2] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص28، 29 .

[3] عبد السلام الترمانيني: الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1996 م، ص 163 .

[4] فاطمة عيسى السليطي: الاستعداد لمراحل الحمل والولادة قديما في البحرين، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد4، شتاء 2009، ص121.

[5] عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص 134.

[6] زينب بن نصيب: 89 سنة ، أمية ، حي النور ، بلدية الوادي ، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

[7] تبر بيصة: 65 سنة ، أمية ، الجديدة ، تم اللقاء معها يوم 2018/01/28 على الساعة 14:00 .

يقول محمد المرزوقي: «إذا كان المولود بنتا أمسكن عن الزغردة واكتفين بتهنئة النفساء – الحمد لله على خلاص راسك»، أي أن التهنئة موجهة للأم بخلاصها من الأوجاع أما المولودة فلا يهنئ بقدومها أحد لأنها بنت والبنت سلاحها الدموع لا تحمي الحمى، ولا تمير الأحياء، ولا تنفع يوم البلاء[1]، أما عبارات التهاني بالمولود الذكر تحمل دلالات السرور وتمنيات طول العمر والمستقبل للمولود الجديد مع إطلاق الزغاريد «مبروك الترّاس يتربى في عزك ودلالك، وانشاء الله يكبره قد إبّاه وجدّه وأعمامه».[2]

واختلفت هدايا المولود الذكر عن المولود الأنثى، فكثيرا ما يمتنع عن تقديم الهدية للنفساء إذا كان مولودها أنثى وإن قدمت الهدية تكون أقل من هدية المولود الذكر[3]، وفي فلسطين "نقوط الذكر يختلف عن الأنثى فإذا كان مالا فهو أكثر وإذا كان هدية فهي أغلى".[4]

وكثيرا ما تعاقب النفساء عند ولادتها للأنثى، حيث لا تحظى بالرعاية والاهتمام من أهل الزوج، ويقدم لها نصف ما تم تحضيره قبل الولادة من اللحم والقمح، أما إذا كان المولود ذكرا تحظى برعاية وتقدير كبيرين ويقدم لها ما تم تحضيره من القمح واللحم قبل الولادة كاملا، وتقدم لها أفضل الأغذية حتى ترضع ابنها جيدا ويشبّ بسرعة.[5]

2-3-2 طقس تسمية الأنثى:

يعتقد في بعض الثقافات أن الطفل لا تدب فيه الروح إلا بعد أن يسمى باسم معين، ففي سومر يتم إطلاق اسم المتوفي على الوليد الجديد[6]، وعادة ما يطلق على الذكر اسم جده المتوفي أو أحد أقاربه المتوفين، والبنت المولودة غالبا ما تسمى باسم جدتها أو أحد قريباتها المتوفيات، وقد يطلق الاسم إذا ارتبط بحدث معين ومن ثم يصبح الاسم رسالة ستظل طوال العمر تقدم بعض المعلومات

[1] محمد المرزوقي: مع البدو في حلهم وترحالهم، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1984، ص13 .

[2] الزهرة بن خليفة:75 سنة، أمية، حي باب الوادي، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/03 على الساعة 15:00 .

[3] جبارية مولى: 61 سنة، أمية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 12:00

[4] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص94 .

[5] (رشيدة .ر): 60 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/03/08 على الساعة 17:00 مساء .

[6] خزعل الماجدي: متون سومر، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص330 .

عن لحظة الولادة [1] فقد تولد البنت في يوم ممطر فتسمى "مطيرة"، وتسمى "قمرة" إذا ولدت في منتصف الشهر القمري، ويمكن أن تسمى "ربيعة" إذا ولدت في الربيع، وقد تولد يوم الجمعة فتسمى "جمعة "[2] وغالبا ما تسمى البنت باسم مبروكة، أو مسعودة أو الزهرة لتحل البركة والسعد على البنت والأسرة، وقد يطلق الاسم تعبيرا عن توجيه القدر والتأثير في مساره[3]، فتسمى البنت "حدّي" أو "حدّة" على البنت لحظة ولادتها لحدّ الأم وتوقيفها عن إنجاب البنات حتى وإن كانت أول بنت خاصة في الأسر التي لا تحبذ الأنثى إطلاقا، معتقدين في ذلك أن الاسم سوف يغير الموقف ويؤثر فيه، وفي الصحراء الغربية إذا أنجبت المرأة ثلاث بنات متتابعات يطلق على البنت الثالثة اسم "يزّانة" بمعني يكفينا[4]، وفي تونس كذلك يطلق اسم "يزّة" حتى تتوقف المرأة عن انجاب البنات.[5]

2-3-3 المعتقدات الشعبية المتعلقة بالمولود الأنثى:

ترافق ولادة البنت عدة معتقدات شعبية تقول الراوية (ق.ض): «تتشاءم الأسرة والأم من ولادة البنت يوم الجمعة والجامع فارغ، لأنها ستكون غير عذراء»[6]، ويعتقد أن دفن سرة البنت بعد سقوطها في إحدى زوايا البيت بالمطبخ أو المنسج ...سوف تصبح امرأة ماهرة وربة بيت في المستقبل، وهذه الممارسة من قبيل السحر الاتصالي الذي يفترض وجود علاقة بين الشخص والجزء الذي ينفصل عنه والعلاقة هنا بين المولود والسرّة.

وفي بوليفيا بأمريكا الجنوبية «يغطون خلاص الذكر بالزهور ثم يدفن مع نماذج مصغرة جدا من أدوات العمل الزراعي، أما خلاص البنت يدفن معه وعاء طهي صغير».[7]

---

[1] لويس جان كالفي: التقاليد الشفهية، تر: رشيد برهون، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1، 2012، ص114 .

[2] معلومات مأخوذة من عند مجموعة من الرّاويات .

[3] لويس جان كالفي: المرجع السابق، ص115 .

[4] حمدي يحظية: المرأة في المعتقد الشعبي ، WWW.Saharablog sport.com

[5] حصة "عندي ما نقلك"، حصة أسبوعية على قناة الحوار التونسي، تقديم علاء الشابي، 2018/02/23 على الساعة 21:00 .

[6] (ض.ق)، 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، أمبية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 صباحا .

[7] محمد الجوهري وآخرون: الطفل والتنشئة الاجتماعية، ص17 .

ويعتقد أن "المرأة إذا ولدت ولداً تهبط معاه أعلام ترفرف، وإذا أنجبت بنتا تهبط معاها أعلام مطبقات، وأن الولد يضوي على أربعين عشّة وأن ملائكته تحاسب أهله إذا ما زغردوشي عنه".[1]

ويعتقد أن حصة الأنثى من الرضاعة تكون أقل من حصة المولود الذكر.[2]

ويحرم في اليهودية على المرأة عند ولادتها مولودا ذكراً أماكن العبادة لمدة أربعين يوما، وإذا كان المولود أنثى يحرم عليها دخول أماكن العبادة لمدة ثمانين يوماً باعتبار الأنثى أكثر دنس من الذكر.[3]

وقد تتقبل الأسرة المولود الأول إذا كان أنثى، أما إذا تكرر الأمر قد يدفع بأم الزوج إلى بعض الممارسات للتخلص من إنجاب البنات« فيقدم للنفساء في أول يوم من الولادة "لحم البعير "طايب* في الكسكسي مع الإحكام على السدادة " لسدّ فج البنات "».[4]

والنظرة السلبية للأنثى والاستقبال المتجهم لم تتوقف عند حدود كبار الأسرة والمجتمع، وإنما انعكس ذلك في لعبة "تيباني، تيباني" وهي لعبة يجوب فيها الأطفال في فصل الشتاء البيوت طلبا لأعواد الحطب لإشعال النار بقصد التدفئة، وهم يرددون:[5]

تيباني تيباني يرحم من قرّاني

قرّاني محمد صاحب الرسالة

لا اكبر ولا اصغر

وهاذي دار سيدنا فيها القمح والشعير

[1] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .

[2] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

[3] مبروك بوطقوقة: الجسد الأنثوي بين المعتقد الشعبي والمعتقد الديني، WWW.Mahapross.Com .

* أي مطهو .

[4] سعدية شاقور: 68 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/02/23 على الساعة 17:30 .

[5] لزهاري بن خليفة: 72 سنة، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معه يوم 2017/10/29 على الساعة 17:00 مساء .

عويـــد عويـــد والعيانة* تحط وليـــد

سبيطــة سبيطــة** والعيانة تحط قطيطة ***

* يقصد بها المرأة الحامل .

** يقصد بها عود صغير لا يكفي لإشعال النار.

*** يقصد بـ " قطيطة " البنت ، أي أن المرأة الحامل إذا امتنعت عن إعطاء عود واكتفت بإعطاء " سبطة " سوف تلد بنتا بعد أن دعا عليها الأطفال لذلك تحاول إرضائهم بإعطائهم عودا حتى تلد ولدا ولا يتحقق دعاءهم .

ثالثا: عادات ومعتقدات تنشئة البنت في مرحلة الطفولة

3-1 عادات وتقاليد تربوية:

تتمسك الأمهات بعادات وتقاليد تربوية تعتبرها ردعا لأخلاق الطفل وتقويمها، وهي تسعى من ذلك إلى تعويد الطفل السلوك الحسن وتجنب الأفعال غير الحميدة.

والبنت بصفة خاصة تتلقى منذ بداية مراحلها العمرية تربية خاصة وعناية فائقة يلفها الخوف والحذر، وتختلف عن الطريقة التي يربى بها الابن[1] فيعمل الآباء والأمهات جاهدين في أثناء تنشئتهم لبناتهم على غرس الأخلاق الفاضلة وتعويدها على الحشمة والطاعة العمياء بأساليب مختلفة عن طريق الثواب تارة، والعقاب تارة أخرى، فيدربوهن منذ نعومة أظافرهن على الخنوع والاستكانة للأب وللأخوة الذكور بل " لصنف الرجال " تحقن البنات دائما بفكرة أن الرجل كامل الإرادة والسيطرة وأن المرأة أدنى منه وأقل في إرادتها وقدرتها وأن حياتها تعتمد عليه وأنه سيدها، وماهي إلا خادمة له[2] وهي التقاليد نفسها التي تتبعها الأسرة في منطقة سوف في تنشئة البنت، والغاية من ذلك لا تتوقف عند مرحلة طفولة البنت، وإنما تسعى الأمهات لذلك حتى تتحلى البنت بهذه الصفات بعد زواجها ولتحترم قواعد أسرة المستقبل، تقول الراوية «كنا نربي بناتنا منذ الصغر على الحياء في كلامها وحسن معاملة من هو أكبر منها سنا، وأن تكون محتشمة في ملابسها فلا تلبس اللباس القصير الذي يكشف ذراعيها وساقيها، ونلبسها لباسا مستورا منذ صغرها وهو عبارة عن فستان مغطى الذراعين وتحته سروال واسع إلى الكعبين صيفا وشتاء، كما نربيها على أن الكلمة في البيت تعود للرجل وأنه لا يمكنها التصرف في شيء إلا بعد إذن الأب أو الأخ حتى وإن كان أقل منها سنا».[3]

[1] ينظر: خديجة لبيهي: المرجع السابق، ص 56 .

[2] ينظر: فوزية ذياب: القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1980، ص257، 258 .

[3] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

وكانت الأم تحرص على تعليم البنت منذ الصغر إخاطة الدمى من قطع القماش وتفصيل الثياب لها، وفي ذلك تعويد للبنت على العناية بالمنزل وتدبيره[1] وهو ما يسمى "لعبة العرايس" في منطقة سوف.

وعلى هذا النحو من العادات التربوية تنشأ البنت وتتشرب كل هذه الأفكار، ونجدها قد تمثلتها في ألعابها التي اندست فيها الكثير من المعتقدات والعادات، فالبنت تدرك منذ طفولتها أن مصيرها الزواج وتربية الأبناء والعناية بالمنزل واحترام الرجل وهو ما تجسده لعبة "العشايش" في منطقة سوف تقول الراوية عن اللعبة «كنا نلعب لعبة العشايش مشكلين عدة أسر نجسد فيها دور البنت والزوجة وأم الزوج والأم التي تعنى بالبيت من نسيج وطهو وكنس...وتربية الأبناء من رضاعة ...واللعبة اقتصرت على البنات دون الذكور».

ولم تقتصر العادات والتقاليد في تربية البنت فحسب، وإنما رسمت العادات والمعتقدات الشعبية قواعد الألعاب التي تمارسها فكانت «الأنثى تمنع من القفز واللعب العنيف حتى لا يتمزق غشاء بكارتها، وتفهم البنت الصغيرة تفهيما جيدا...وفي هذا ضبط كبير لسلوكها أثناء اللعب»[2]، وفي منطقة سوف تميزت ألعاب البنات بتقليد الكبار (العشايش، العرايس، خبزة طابت) أكثر من ألعاب الحركة والقوة البدنية التي تميّز بها الذكور حيث نجد (لعبة القفز بالعصا والمصارعة)، وإن وجدت ألعاب الحركة للبنات فإنها لا تتطلب جهداً بدنياً كبيراً (العكيلة، الحبيلة ...)[3] وهو ما التمسناه من خلال اللقاءات التي أجريناها مع العديد من الرّاويات .

ومحدودية مشاركة الإناث في الألعاب الشعبية لم تتوقف عند الاعتبارات الدينية فحسب، وإنما جاءت قضية المحافظة على البكارة عائقا للحركة الجسدية الأنثوية، حيث يمنعها هذا المبدأ الأخلاقي والطقوسي من ممارسة عدة تقنيات جسدية غير محجرة على الذكور.[4]

---

[1] أحمد زياد محبك: من التراث الشعبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص249 .

[2] ينظر: فوزية ذياب: المرجع السابق، ص270 .

[3] ينظر: أحمد زغب: الألعاب الشعبية، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2016، ص62- 66 .

[4] عز الدين بوزيد: رياضة الطفل التراثية تحدثنا عن ثقافة المجتمع، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 25، ربيع 2014، ص100 .

وكان الآباء والأمهات يحرصون كل الحرص على الفصل بين الذكور والإناث منذ سن مبكرة في النوم وأثناء اللعب تقول الراوية «كان الآباء والأمهات ومن بينهم والدي يحذّروننا من مشاركة الذكور في اللعب، وكنا نمنع حتى من الوقوف معهم للفرجة، وإن اكتشف الوالد بأن البنت شاركت الذكور في اللعب أو وقفت معهم سيكون مصيرها الضرب والعقاب بالحجز في البيت عدّة أيام»[1]

وقد تساهم الأم في ترسيخ كيفية اللعب الجماعي بين الإناث والذكور دون الفصل بينهما فصلا قطعيا، بوضعها نظام معين للعبة يمنع التحام مساحات كبيرة من أجسام الذكور مع أعضاء الإناث[2] وتعكس الممارسات الفعلية الشعبية في منطقة سوف ذلك، حيث تحرص الأم أثناء مشاركة ابنتها الذكر في اللعب أن لا ترفع رجلها بحضور الذكر حتى لا تظهر عورتها، كما تمنع البنت مشاركة الذكور التي يعلو فيها أحد أعضاء اللعبة فوق الآخر.

فالفتاة تتعرض لقيود اجتماعية تمنعها من التعبير التلقائي والتجاوب مع قوانين الألعاب والمشاركة الجسدية بشكل أوسع، فهي مراقبة بشكل فعلي من قبل كامل أفراد العائلة، بل من المجتمع بشكل أوسع خوفا عليها من الوقوع في الخطيئة وجلب العار إليهم.[3]

كذلك التعليم، كان يقتصر على الذكور دون الإناث، فكانت البنت تمنع من مزاولة الدراسة حتى في الكتّاب وعدّ تعليمها عارا وعيبا في الأسرة، تقول الراوية «تمنع البنت من الدراسة حتى وإن كانت ترغب في ذلك، فأنا منعت من الدراسة بعد أن تم تسجيلي بسبب رأي زوجة عمّي عندما سمعت بالأمر، وطلبت من والديّ منعي من الدراسة باعتباره عيبا، ولأنها ستتخذني زوجة لابنها في المستقبل».[4]

[1] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .
[2] عز الدين بوزيد: المرجع السابق، ص101 .
[3] المرجع نفسه، ص101 .
[4] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .

3-2 طقوس حماية عذرية البنت :

تحتل عذرية الفتاة عند الزواج مكانا بالغ الأهمية في المجتمعات الشرقية عموما، فهي إشارة إلى الامتلاك المسبق للمرأة من قبل الرجل، فهو لا يكتفي بأن يمتلكها ويحتكر الاستمتاع بها ابتداء من زواجه منها إنما يحرص على أن لا يكون سبقه إلى هذا الاستمتاع شخص آخر.[1]

وعدم عذرية الفتاة في جاهلية العرب نكبة ويعيّر أهلها بها، وكان مصيرها القتل تخلصا من عارها[2]، وفي التوراة تعاقب العروس إذا بدت ليلة عرسها غير عذراء بالإعدام رميا بالحجارة أمام بيت أبيها.[3]

وإذا كانت عذرية الفتاة فضيلة للبنت ويبشر ماضيها بالأمانة الزوجية في كثير من المجتمعات فإن الجماعات البدائية تنظر إلى بكارة الفتاة نظرة ازدراء لأن معناها عدم إقبال الرجال عليها، ففي قبيلة " كماشدال "إذا ما وجد الزوج عروسه بكرا ثارت ثورته "وطفق بسبّ أمها سبّا صريحا لهذه الطريقة المهملة التي قدّمت بها ابنته إليه، فالعذراء البدائية ما كانت تخشاه لم يكن فقدان بكارتها، بل أن يشيع عنها أنها عقيم.[4]

ولما اعتبرت العذرية شرطا اجتماعيا لا بد منه عند زواج الفتاة لأول مرة، احتكر المخيال الشعبي شرف الفتاة في عذريتها، وكانت الأسرة في منطقة سوف تحرص كل الحرص على العفاف والطهر، وتحرص الأمهات كل الحرص على ألا تتعرض الأسرة للفضيحة ليلة زفاف بناتهن[5]، ومن ثمة اعتمدن آليات وممارسات سحرية يجدن فيها ضمانا لعذرية البنت تسمى "التصفيح" «وهو عمل سحري عادة ما تقوم به النساء للحفاظ على بكارة البنت إذا مارست الجنس مع أي كان فإنه يستحيل عليه فض

[1] أحمد زغب: الفولكلور– النظرية–المنهج–التطبيق، ص 63 .

[2] جواد العلي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 4، ص635 .

[3] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص275 .

[4] ول وايرل ديورانت: قصة الحضارة، ج1، تر: زكي نجيب محمود، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص79 ،80.

[5] ينظر: أندريه روجيه فوازان: المرجع السابق، ص180.

بكارتها»[1]، فهو كما يقول "مالك شبل" يمنع الفتاة من ممارسة أي علاقة جنسية حقيقية كاملة تعرض غشاء البكارة لخطر التمزيق[2]، فهو إذا نوع من التسييج وسور يقي البنت.[3]

والتصفيح معروف في دول المغرب ولكن بأسماء مختلفة، فهم في المغرب يعرف بـ "العقد" وفي تونس يسمى التصفيح كما هو معروف في "وادي سوف" وفي مناطق أخرى من الجزائر يسمى الربط، ولم يعرف هذا النوع من الممارسة السحرية عند أهل المشرق، فأشار "أحمد أمين" إلى نوع آخر من الربط يستهدف الرجل فيشل قدرته الجنسية[4]، وكان زنوج النوبة والحبشة والصومال يضعون على أعضاء التناسل للبنات حلقات وأقفالا تمنع أداء العملية الجنسية.[5]

والطقوس والممارسات السحرية التي تلجأ إليها الأمهات في "وادي سوف" كثيرة ومشابهة لكثير من الممارسات المعروفة في كل من "تونس" و" المغرب":

3-2-1طريقة سفك الدم: تقول الراوية «تمارس طريقة التصفيح عموما على البنت وهي بين سن السادسة والعاشر من عمرها (قبل البلوغ)، حيث تقوم الأم أو أي امرأة مسنة بتشليط فخذ البنت بواسطة شفرة الحلاقة ثلاث أو سبع شلطات لإسالة الدم ويمرر فوق الدم المسفوك حبات من القمح وترغم الفتاة على بلعها، وتردد البنت أثناء البلع "ولد المرا خيط ونايا حيط».[6]

يمكن النظر إلى الدم المسفوك من فخذ البنت العذراء على أنه نوع من القربان يشبه وأد البنات في الجاهلية حيث كان الأب مخيراً بين تزويج ابنته فتفقد عذريتها وتصبح امرأة من بين النساء وبين

[1] سعيد حسين العبدولي: ميكرو سوسيولوجيا الجريمة من خلال الممارسة السحرية والشعوذة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد 5، فيفري 2014، ص20 .

[2] مالك شبل: الجنس والحريم، تر: عبد الله زارو: افريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2010، ص82 .

[3] عبد الرزاق القلسي: الطب الشعبي في تونس وعلاقته بجسد المرأة، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 34، صيف 2016، ص124 .

[4] أحمد أمين: المرجع السابق، ص109 .

[5] ويل وايرل ديورانت: المرجع السابق، ص80، 81 .

[6] جبارية مولى: 61 سنة، أمية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 12:00.

حرمانها من الحياة بوأدها ليقدمها قربانا لرب الجزيرة لينالها الشرف مختلقا الأعذار بأن الزواج سكبا لدم العذراء.[1]

فربط الفتاة بسفك قليل من دمها وكأنها تقدم عذريتها قربانا للقوى الخفية خوفا من العار والفضيحة، مثلما تقدم عذرية الفتاة في الجاهلية إلى الآلهة، وهذه الممارسة وكأنها تجعل عذرية الفتاة وقفا على الجنس الذي يرضى عنه الإله ويعترف به المجتمع.[2]

3-2-2 طريقة المنسج*: وهذه الطريقة شائعة كذلك في كل من " تونس" و "المغرب" حيث تمرر البنت تحت المنسج سبع مرات ذهابا وإيابا، وهي تردد في كل مرة "ولد المرا خيط ونايا حيط" وبعد الانتهاء يغلق المنسج.[3]

وتعتبر عملية النسيج صندوقا لكل القوى السحرية في المتخيل الشعبي والسحري[4] واعتبر الغزل والنسيج آلية من الآليات السحرية في العصر النيوليتي حيث يدخل السحر في الغزل والحياكة من خلال الأعداد والعقد المربوطة فالأعداد ضرورية للنسيج وقد يتحول تكرارها إلى نوع من التعاويذ السحرية وربط العقد وحلها هي آلية من آليات السحر وتعكس عمليات الغزل والنسيج وجها آخر من أوجه الخصوبة، فكأنها تبدو ترميز الخلوة بين الرجل والمرأة ... حيث تعتبر سدى النول ... في امتدادها كناية عن المرأة المضطجة ...وقوائم النول الأربع في وضعها الرأسي ترمز إلى الرجولة[5]، وربط البنت بطريقة المنسج وكأنها تحمي عذريتها بترديد العبارات السالفة الذكر التي يعتقد أنها تؤثر في قوائم النول الأربع التي ترمز إلى الرجل ومن ثمّ يستحيل على أي رجل أن يقتطف منها عذريتها.

---

[1] ينظر: وحيد السعفي: القربان في الجاهلية والإسلام، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص29-33 .

[2] أحمد زغب: الفولكلور– النظرية- المنهج- التطبيق، ص67 .

* هو شبكة من خيوط الصوف التي تصفف بشكل عمودي وسط هيكل خشبي، وحولها تعقد أيادي النساء قطعا صغيرة من خيوط الصوف لصنع زربية أو برنوس أو قشابية ...

[3] مريم جوادي: 59 سنة، أمية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 13:00.

[4] عبد الرزاق القلسي: المرجع السابق، 125 .

[5] خزعل الماجدي: أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص 128.

3-2-3 طريقة الحجرة الصّماء: تعتبر هذه الطريقة من أسهل الطرق حسب ما أفادتنا به الراوية «حيث تقوم المشرفة على العملية بتسخين حجرة صماء لدرجة احمرار لونها ويطلب من البنت المراد تصفيحها التبوّل فوق الحجرة ثلاث مرات وتردد "ولد المرا خيط ونايا حيط" ثلاث مرات، وتقوم الأم بدفن تلك الحجرة في إحدى مداخل غرف البيت (العتبة)، أو بدسّها في الخزانة، ويجب أن تحتفظ بها إلى غاية زواج الفتاة».[1]

وتبدو ملامح السحر الاتصالي واضحة من خلال هذا الطقس، فبول الفتاة يعتبر جزءاً منها ودفنه إنما هو حفظ لعذريتها، كما تظهر ملامح السحر التشابهي واضحة فاللون الأحمر يشبه لون دم غشاء البكارة، والدفن تحت التراب هو إغلاق رمزي يؤدي إلى إغلاق فعلي لإمكانية الاتصال الجنسي.

وهاجس عذرية الفتاة ترك في المخيال الشعبي للمجتمعات عدة معتقدات، فينتشر اعتقاد في منطقة سوف أن البنت إذا ولدت يوم الجمعة والمسجد فارغ، فإنها ستكون غير عذراء.[2]

وفي المغرب هناك بعض الممارسات كانت شائعة في العصر الوسيط إلى مشارف القرن الأخير من قبيل قياس رقبة الفتاة أو إعطائها عقيقا تبلعه بعد تحويله إلى غبرة تتقيؤها في حالة عدم بكارتها.[3]

وفي الأساطير اليونانية اعتبر الكهف الذي احتفظ فيه "بان" بالناي، مكانا لاختبار عذرية الفتيات، فكانت الفتيات اللواتي يدعين أنهن عذراوات يوضعن فيه ويغلق عليهن فإن كن صادقات خرجن مصحوبات بأصوات موسيقى ناي السيرانكس الناعمة، وإن كن كاذبات اختفين إلى الأبد.[4]

---

[1] جبارية مولى: 61 سنة، أمية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 12:00

[2] (ض.ق)، 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، أمية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 صباحا .

[3] مالك شبل: المرجع السابق، ص 83 .

[4] ينظر: طلال حرب: معجم أعلام الأساطير والخرافات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، ص112 .

وما تجدر الإشارة إليه، أنه يجب أن تكرر الفتاة نفس العملية التي مورست عليها أثناء التصفيح قبل يوم زفافها، وتردد العبارة التي رددتها خلال عملية التصفيح بطريقة عكسية "ولد المرا حيط ونايا خيط" حتى يتمكن الزوج من فض غشاء بكارتها.[1]

[1] تعتقد أغلب الراويات بوجوب ذلك .

رابعا: طقـــوس بلوغ الفتاة

ظهور العلامات الأنثوية للفتاة يعتبر إيذانا ببلوغها وتخطي لمرحلة الطفولة، ومن ثمّ تدخل مرحلة جديدة تحاط فيها بسياج منيع من العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي عليها الالتزام بها، وهي في هذه المرحلة تمر بثلاث مراحل:

- فصلها عن الشارع، وعدم الخروج إلا للضرورة .
- عزلها عن اللعب، كونها تعدت هذه المرحلة ولبس غطاء الرأس "اللحاف"، ومراعاة آداب الحشمة والحياء.
- إجادة الأعمال المنزلية، لأنها احدى الشروط التي قد تؤهلها للزواج .

والفتاة في منطقة سوف في هذه المرحلة تتجه إليها الأنظار ويفرض عليها الستر بكامل أشكاله فتراعي أمر اللباس وتحجب في البيت ويطلق عليها اسم "الصوبية" أو "المحجوبة"[1]، وروت لنا الحاجة "زينب بن نصيب" عن كيفية التعامل مع البنت في هذه المرحلة، حيث تعزل البنت عند بلوغها عن الشارع وتمنع من اللعب، ولا تخرج إلى الشارع إلا للضرورة وبنفس المعايير المفروضة على النساء المتزوجات فلا تخرج إلا ليلا وبرفقة والدها أو أحد إخوتها، وعند خروجها تلبس "اللحاف*" لأنها "عادت مرا"، وفي هذه المرحلة يفرض عليها الصيام في شهر رمضان، وخلال هذه المرحلة تواصل الأم تلقين ابنتها الأخلاق الفاضلة وتعلّمها إدارة شؤون البيت، وهو ما يكون قد تشرّبت الكثير منه وهي في مرحلة الطفولة.[2]

كما تسهر المرأة على تدريب بناتها الأشغال المنزلية التي تنتظرها بعد زواجها في بيتها الجديد وتعلمها التحلي بالصبر كلما تعرّضت للمعاملة القاسية من زوجها أو أقاربه، أو عندما يطول الجفاء

[1] علي غنابزية: دور العادات و التقاليد في تثبيت هوية المرأة بمجتمع وادي سوف، الملتقى الوطني الثالث حول الهوية والتراث في زمن العولمة، تنظيم دار الثقافة بالوادي، يومي 2 و3 ماي 2010 .

* هو قطعة من القماش ترتديه المرأة لتستر به رأسها ووجهها وسائر جسدها، وهو رمز للحشمة والستر .

[2] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

وتتأخر زيارتها لأهلها لعدة سنوات، فلا تسخط ولا تتبرم بتلك المعاملة[1]، وهو ما التمسناه في حديث الحاجة "بن نصيب زينب" حيث «تعلّم البنت عند بلوغها النسيج وكسر الحطب والرحي والنسيج وفتل الكسكس وجلب الماء من البئر...حتى تستطيع قيادة شؤون بيت زوجها في المستقبل، كما تعلّم البنت التحلي بالصبر مع زوجها وأهله، وأن تمشي بما تراه عائلة الزوج مناسبا وبحسب ظروف العائلة الجديدة وليس كما كانت تعيش عند أهلها، لأن ما كان متوفراً عند والدها قد لا يتوفر عند الزوج، ويجب أن تطيع كل الأوامر حتى ولو صدرت من أم الزوج، والد الزوج وحتى إخوة الزوج، كنا نربي بناتنا على أن الرجل يجب أن يحظى بالتقدير والاحترام في المعاملة، فيجب أن تضاعف مقدار الرجل في الأكل باعتباره يخرج للعمل ...والبنت إذا تربت بهذا الأسلوب تكون "صبّارة في عشّتها" ولا تتذمر من كل ما يلحقها من قساوة أسرة الزوج حتى ولو جاعت، ولا تتعرض للطلاق».[2]

وتحرص الأسرة في منطقة سوف منذ البداية تلقين الفتاة مبادئ الأخلاق والسلوك ومراعاة آداب الحشمة والحياء، لأن اتصاف الفتاة بالحياء يرفع من قيمتها وقيمة الأهل، ولأنه من الصفات التي تجعلها محل إعجاب الخطّاب، فكانت الفتاة في هذه المرحلة تمنع من إظهار زينتها حتى في المناسبات فتمنع البنت من وضع السواك، والكحل، وتمنع من نتف حاجبيها، ويجب أن تظفر شعرها ظفيرة واحدة تميزها عن النساء المتزوجات، واتباع كل تلك الآداب يعتقد أنها تزيد الفتاة جمالا يوم زواجها[3] وتقاليد تنشئة الفتاة في هذه المرحلة ينتشر كذلك في الريف المصري تقول فوزية ذياب «لا تتجمل الفتاة قبل زواجها بأي أسلوب من أساليب التجميل، فلا تضع الكحل في عينها ولا تزجج حاجبيها ولا تزيل الشعر الخفيف المنتشر في وجهها، وفي ذراعيها وساقيها...كما تعطى الفتاة التعليمات والأوامر بألا تستحم إلا بمناسبة التطهر من العادة الشهرية ...».[4]

[1] علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال إلى بداية الثورة التحريرية، ص535 .

[2] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

[3] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .

[4] فوزية ذياب: المرجع السابق، ص293 .

وبمجرد بلوغ الفتاة، لا تترك الأم فرصة تجتمع فيها مع النساء في المناسبات إلا وتحدثت عن محاسن ابنتها وحيائها وقدرتها على إتقان وإدارة شؤون البيت، وهي تسعى بذلك إلى إقبال إحدى النساء لخطبتها وتزويجها لولدها، وللغرض نفسه انتشرت الأهازيج النسوية التي تشيد فيها المرأة بابنتها وهي في هذه المرحلة.[1]

البنت في منطقة سوف بانتقالها من مرحلة الطفولة إلى البلوغ، يندرج ضمن طقوس العبور والتي يتمثل جوهرها في تغيير الوضعية الاجتماعية للفرد، حيث تمّ فصل الفتاة عن الشارع كونها لم تعد صغيرة، ومرت بحالة من العزل حيث منعت من ممارسة اللعب كما منعت من اللباس الذي يكشف شعرها أمام الأجانب، وفرض عليها لبس "اللحاف" وضرورة اتقان شؤون البيت لتندمج في حياة النساء.

وتميز الفتاة بطقوس معينة عند بلوغها، نجده في كثير من المجتمعات، ففي قبيلة "أراندا" بأستراليا وفي مناطق عديدة من إفريقيا، تمارس طقوس " الاعتزال التنسيبي "دلالة على نهاية مرحلة الطفولة للفتاة حيث يبدأ التنسيب مع أول طمث، حيث يجرى عزل الفتاة على الفور عن الجماعة في خيمة خاصة وعليها الالتزام بكثير من القواعد الشاقة، ومراعاة شروط في هندامها وفي مظهرها ومأكلها ... وخلال فترة الانعزال ينلن تربية شاملة تتناول ألغاز الجنس، وتقديم معلومات عن تقاليد القبيلة، والتدريب على الغزل والنسيج.[2]

[1] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .

[2] ينظر: ميرسيا إلياد: الأساطير والأحلام والأسرار، تر: حسيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، سورية، (د.ط)، 2004، ص319، 320.

خامسا: الفتاة وطقوس الزواج

5-1 أهمية الزواج وطقوس التخلص من عنوسة الفتاة :

الزواج هو اقتران رجل أو أكثر بامرأة أو أكثر وهو رابطة معترف بها اجتماعيا يحقق قيامها إضفاء صفتي الزوج والزوجة عليهما وتكوين عائلة بعد أن ينجبا أطفالا والاعتراف بذريتهما نسلا شرعيا لكل واحد منهما وقيام علاقة تنظمها قوانين وتقاليد اجتماعية.[1]

يكتسي الزواج أهمية بالغة في كافة الديانات والثقافات الانسانية، فهو عند السومريين أساس العائلة وكان يتم تحت رعاية الإلهة "أشخارا"[2]، وعند الكنعانيين عدّ الزواج القاعدة الأساسية لتكوين العائلة وكانت الإلهة "عناة" ترعى الزواج والخطوبة[3] وحثت الديانة المصرية القديمة على الزواج، حيث كان طقسا دينيا يشرف عليه الكاهن "أمون"[4] وجعل الإغريق القدماء الزواج في مرتبة سامية مقدّسة باعتباره ضمانا لدوام الأسرة.[5]

والأهمية التي حظي بها الزواج في المجتمعات، جعل معظم الشعوب تحبذ تزويج الفتى والفتاة بمجرد وصول سن البلوغ، وتعتقد كثيرٌ من الشعوب البدائية أن عدم زواج الشاب أو الشابة وتجاوزه فترة عمرية دون زواج يصمه بوصمة سيئة أمام المجتمع، وينظر إليه باحتقار ولا يؤذن له بالمشاركة في الأعياد والاحتفالات البهيجة، وعبّر الحكيم السومري عن الشخص الأعزب الذي لا يرغب في الزواج بأنه غير جدير، و" المرأة من غير زوج كالحقل من غير زرع، وأشارت الأمثال الآشورية إلى أن المرأة غير المتزوجة كالمنزل الذي لا صاحب له.[6]

ويعتبر الزواج في "منطقة سوف" وعلى غرار المجتمعات العربية متغيراً أساسياً في حياة أبنائها بمجرد بلوغهم وبخاصة البنت في ظل مجتمع يفضل الزواج بصغيرة السن "فالزواج هو المصير الذي

[1] مصطفى شاكر سليم: المرجع السابق، ص601 .
[2] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص180 .
[3] خزعل الماجدي: المعتقدات الكنعانية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص277 .
[4] خزعل الماجدي: الدين المصري، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1999، ص238 .
[5] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص183 .
[6] أحمد أمين سليم: دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د.ط)، 1992، ص66، 67 .

حدده المجتمع للنساء، وهو المستقبل الذي تنشأ المرأة وتتطلع إليه، وهو القصد الذي تسعى جميع النساء إليه".[1]

فالمرأة غير المتزوجة ينظر إليها نظرة الشفقة والرحمة من جهة، والتشفي من جهة أخرى وينالها سوء الظن والألفاظ المسيئة "بايرة" من جهة ثالثة، وعبّر المثل الشعبي عن ذلك "هناتك من بنتك غناتك".[2]

ويفسر تأخر الفتاة عن الزواج بعدة تفسيرات فقد يقال أنها كبرت في السن ولم يعد مرغوباً فيها، ومنهم من يفسر بأنه عمل لها عمل سحري يمنعها من الزواج سواء من عمل الجن أو الإنس كما تقول الراوية «قد تتعطل البنت عن الزواج بسبب ربط من "أهل الوطا *" أو بسبب عمل سحري استهدفته به إحدى الحاقدات».[3]

وأمام عجز الإنسان عن إيجاد الحلول الواقعية الموضوعية تلجأ الفتاة غالبا إلى الحلول السحرية إما بالذهاب للسحرة والعرافين والرقاة والطلبة، أو بممارسة بعض الطقوس السحرية، بعضها للتنبؤ بعريس المستقبل، وبعضها للحصول على العريس والتخلص من العنوسة بإزالة مفعول العمل السحري الذي استهدفها حسب اعتقادها:

5-2 طقوس التخلص من العنوسة والحصول على الزوج : طقوس التخلص من العنوسة التي تلجأ إليها الفتاة كثيرة ومتعددة وتكون غالبا بترددها على الطُلبة والسّحرة:

5-2-1 طقوس مخاطبة "الكحل" و"حجرة الهبّالة" و "الشندقورة": من بين الطقوس التي أفادتنا بها المعالجة "خضرة شنيبة " والتي تخلص الفتاة من عنوستها بمجرد استخدامها حسب اعتقادها، أن تقوم الفتاة بأخذ الكحل (الإثمد) وتردد التعويذة التالية عند الإكتحال:[4]

---

[1] جون ستيوارت ميل: المرجع السابق، ص 72 .

[2] أحمد زغب: الفولكلور – النظرية –المنهج– التطبيق، ص 56 .

* يعبر عن الجان في الأوساط الشعبية بـ " أهل الوطا " .

[3] (رشيدة .ر): 60 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/03/08 على الساعة 17:00 مساء .

[4] خضرة شنيبة: 37 سنة، معالجة شعبية، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/25 على الساعة 10:00 صباحا.

كحلي من حجر ومرودي من شجـر

واجعلني محبوبــة في عين أنثى وذكـر

وتواصل الراوية حديثها في وصف الممارسات السحرية التي تمكن الفتاة من الزواج بمجرد ممارسة طقس "حجرة الهبّالة": تحضر الفتاة "حجرة الهبّالة"، وهي حجرة كالطين لتغسل بها وجهها، وتردّد عند استخدامها:[1]

يا الهبّالة يا الهبّالة

يا لالّة كل النساء و لالّة كل الرجّالة

أجعلني محبوبة في عين النساء والرجّالة

واجعل قلوبهم عني في حالة

وتقول الراوية، هناك ممارسة أخرى تقوم بها الفتاة بترديد تعويذات على عشبة "الشندقورة"، حيث تقوم الفتاة بإشعال النار في المبخرة وتقوم برمي الكمون الأسود والشندقورة في النار وتردّد عند الرمي في النار:[2]

الشندقورة فيها ميا وخمسين (150) سورة

أجعلني محبوبة في عين إناثي وذكورة

وقسمتك بالله تنحي عني الرصدة والبورة

نلمح من مخاطبة "الكحل" و"حجرة الهبالة" و "الشندقورة" والطلب منها بأن تجعلها محببة في عين النساء والرجال، وفك عقدتها من أجل الزواج، جذرا عقائديا قديما يسمى بالنظرية الإحيائية التي كانت تعتقد أن لكل شيء روح تحل فيه فيصبح حيّا وقادرا على الإتيان بأفعال معينة وهذا الاعتقاد كثير الشيوع بين الشعوب البدائية.[3]

[1] خضرة شنيبة: 37 سنة، معالجة شعبية، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/25 على الساعة 10:00 صباحا

[2] عن المورّدة نفسها .

[3] مصطفى شاكر سليم: المرجع السابق، ص53 .

وإذا تبين للفتاة بأنه قد عمل لها عمل سحري يمنعها من الزواج، على الفتاة أن تحضر بيضة الخميس وتضعها مع الفيجل، والكمون الأسود، وحَب الرشاد، والكُسبر، وورق الحنة، والزعفران والبارود وتلفها في قطعة قماش بيضاء في شكل صرة، ويحفر لها حفرة في النار وتغطى بالجمر وتقف الفتاة جاعلة المبخرة بين رجليها، وأثناء ذلك تنفجر البيضة نحو اتجاه معين، ويعتبر الاتجاه الذي اتجهت نحوه البيضة لحظة انفجارها مكان تواجد العمل السحري، وبذلك الانفجار يبطل مفعول السحر الذي يمنع الفتاة من الزواج[1]، واللون الأبيض يرمز لإشعاع الخير، أما عن "بيضة الخميس" فيعتقد أن لها تأثيراً سحرياً كبيراً في الممارسات السحرية التي يراد منها الحماية من أي عمل سحري وإبطاله، وقد جاء في معجم الخرافات أن بيضة خميس الصّعود تحمي السّعف الذي يؤويها وإذا وضعت على طرف نافذة هدأت العاصفة ومنعت الفيضانات، وأطفأت الحرائق، وسكنت الريح وإذا وضعت قرب سرير أحد المرضى جعلت شفاؤه سريعا[2]، وانفجار البيضة وانكسارها هو كسر للتابعة التي تصيب الفتاة .

ومن الطقوس الشفوية لفك العنوسة، والتي تعتمد بالأساس على القوة السحرية للكلمات تقول الراوية تذهب الفتاة إلى الطالب فيعمل لها حجاب ويعطيها "الكسبر" و"البسباس" و"الكروية" لترمي كل واحدة في النار وتردد:[3]

طلقت الكروية جيبه ليّا

طلقت "البسباس" جيبلي ولد الناس

طلقت "الكسبر" ما عادش عني يصبر

وفي مدينة عنابة تذهب العانسات إلى مكان يسمى "القطارة" ويقدمن إليها طعاما شهيا وهنّ يعتقدن أنها حارسة المكان تخرج من البحر فتأكل القربان عند ذهابهن، لذلك يرمين ما يجلبنه من مأكولات تعدّ خصيصا لها حيث يرمينها في البحر، ويقمن بحرق البخور وإضافة الشموع ويقدمن

[1] خضرة شنيبة: 37 سنة، معالجة شعبية، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/25 على الساعة 10:00 صباحا

[2] بيار كانا فاجيو: المرجع السابق، ص 41 .

[3] هذا الطقس السحري أخذ عن احدى الرّاويات إلا أنها رفضت كتابة اسمها، مع أنه تم ذكر اسمها في روايات أخرى .

طلباتهن وأمانيهن، ثم في مساء اليوم نفسه يغادرن[1]، وفي مصر إذا تأخر زواج الفتاة يجعل لها حجاب المحبة تعلقه في رقبتها وبجوار قلبها.[2]

5-2-2 طقس تضييف السّعد: قبل الانطلاق في تفاصيل هذا الطقس، نشير إلى أن هذا الطقس قد يستخدم لأغراض أخرى منها التخلص من العقم، تقول الراوية "خيرة بن علي" عن هذا الطقس «تقوم الفتاة ليلة الأربعاء بتحضير طبق من الكسكس بمرق اللحم ويشترط أن يكون مسّوس*وتضعه في غرفة خالية مع ماء الشرب وماء غسيل اليد لتأكل منه (الصّالحين)، وبعد فترة تدخل الغرفة لتأكل من ذلك الطبق وتقوم بتوزيع ما تبقى عن عرايا الروس** وتقوم بإطلاق البخور وتخضب يدا واحدة ورجلا واحدة بالخلاف وتقوم بمشط جهة من شعرها وترك الأخرى وتكحّل بالإثمد عينا واحدة، وتضع السواك على شفة واحدة، ثم تخلد إلى النوم في غرفة لوحدها».[3]

والبخور يسمى فسوخ فهو يفسخ كل التأثيرات الشريرة[4]، أما زينة المرأة فهي تجتذب الرجل وتغريه بالرغبة في الاقتران بها، وزينة الفتاة هنا غير عادية، فهي زينة رمزية للروح، فهي التي ستنطلق من ربقة الجسد وتحلق لتبحث عن روح أخرى هي روح زوج المستقبل.[5]

5-3 طقوس التنبؤ بزوج المستقبل: من أشهر الطقوس السحرية للتنبؤ بعريس المستقبل في منطقة سوف " الشنشانة " وهي خبزة شديدة الملوحة تتناولها الفتاة لترى حظها وزوج المستقبل «إذا أرادت الفتاة التي تأخر زواجها أو لم يتأخر أن تعرف حظها في الزواج، تقوم الفتاة بجمع كمية من الدقيق من ست نساء والملح من المرأة السابعة، ويشترط أن تكون النساء لم يبدّلن الوجوه*** كما هو متداول في

---

[1] ينظر: محمد عيلان: التراث الشعبي الجزائري، وزارة الثقافة، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص32، 33 .

[2] ينظر: فوزية ذياب: المرجع السابق، ص 250 .

* يقصد بها أن الطعام الخالي من الملح .

** يشيع في الأوساط الشعبية إطلاق هذه الكلمة عن الأطفال الصغار .

[3] خيرة بن علي: 68 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي المجاهدين، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/01/25 على الساعة 16:00 مساء .

[4] مصطفى واعراب: المرجع السابق، ص146 .

[5] أحمد زغب: الفولكلور– النظرية–المنهج –التطبيق، ص63 .

*** يطلق على النسوة اللاتي تزوجن مرة واحدة في حياتهن .

الوسط الشعبي، وكل امرأة عليها أن تأخذ الدقيق من الخلف دون أن تنظر إلى الكيس الذي تأخذ منه الدقيق ثم تعطيه للفتاة من الخلف دون أن تنظر إلى الإناء الذي تجمع فيه الفتاة الدقيق، وبعد جمع الدقيق والملح تعجن الفتاة رغيفا حيث يكون شديد الملوحة ثم تنضجه وفي الليل تأكله قبل الخلود إلى النوم، وحينها تشعر بالعطش الشديد أثناء نومها، وترى في حلمها أنها تشرب الماء في مكان ما أو بيت ما وذلك يعني أنها ستتزوج في ذلك المكان أو من أحد أبناء ذلك البيت»[1]، نلمح في هذا الطقس حشدا من الرموز حضور الرقم الفولكلوري " 7 " والملح رمز المرأة فماء المرأة مالح كدر لأنه يعبر عن الأرض مصدر الخصوبة بينما ماء الرجل عذب سماوي، والماء رمز الحياة والإحياء، والقمح رمز الذكورة، ويعد هذا الطقس من قبيل السحر التشابهي فالملح يوقظ خصوبة المرأة وأنوثتها ومثلما تحتاج الأرض الخصبة إلى الماء العذب ماء المطر، فالأنثى تشرب ماء عذبا في أحلامها: الرؤيا إستيهام المستقبل أو تحمل رسالة من الغيب، في الديانات السماوية، وما دام القمح رمز الذكورة ملكوت للسماء على الأرض[2]، فهو الذي يتولى أمر معرفة ذلك الذكر المنتظر.

ومن الطقوس الشعبية قصد التعرف على زوج المستقبل، في تونس إذا أرادت الفتاة رؤية زوج المستقبل فعليها أن تقف بالقرب من جدار ينيره ضوء القمر في منتصف ليلة مقمرة، وأن تنطق بالصيغة التالية:

قمـــرة اللـــي زرقت على قصتي تفرقت

ريني بختي بين البخوت وبيتي بين البيـــوت

ثم تذهب إلى النوم ويرسل لها القمر في المنام من سيكون زوجها.[3]

[1] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

[2] العهد الجديد: انجيل متى: الاصحاح 13-24 .

[3] مجموعة من المؤلفين: القمر أساطير وطقوس، تر: محمد خير محمود البقاعي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص30 .

وفي أوروبا إذا أرادت الفتيات أن يعلمن مدى حظهن في الزواج، أمكنهن أن يسألن أوراق البهشيّة، على التوالي إلى أن تكمل دورة الورقة قائلة وهي تخز إصبعها الفتاة ... امرأة ...أرملة ... راهبة.[1]

الحشد الكبير من طقوس فك العنوسة والحصول على الزوج التي توقفنا عندها في مجتمع الدراسة مع بعض النماذج من مناطق أخرى، يبين مدى أهمية زواج الفتاة في مختلف المجتمعات.

5-4 عادات و طقوس الزواج :

5-4-1الخطبة : الخطبة بكسر الخاء هي أولى مراحل الزواج والفترة التمهيدية التي تسبقه، وهي طلب امرأة للزواج، والخطوبة هي طلب امرأة للزواج، وعرفت الخطوبة في العديد من الشعوب بما فيها الشعوب البدائية.

وعرفت منطقة سوف الخطبة مثل غيرها من المجتمعات، رغم أن الزواج كثيرا ما يكون بين الأقارب، وابن العم أولى بابنة عمه من الغريب وفي هذه الحالة يبادر بها الأهل حتى دون مشورة الشابين[2]، وكثيرا ما كانت الخطوبة تتم في مرحلة الطفولة أو حتى لحظة ولادة البنت ويتم اتفاق الأهل على أن يكون الزواج بعد مرحلة البلوغ فمن المعتقدات التي كانت شائعة "الخطبة بالتسمية وهي أن تسمى البنت عند ولادتها وفي لحظة دفن المشيمة حيث تردد المشرفة على الدفن وغالبا ما تكون جدة الطرفين "فلانة مسمية لفلان" ويكون غالبا من أبناء عمومتها[3]، وهذه العادة متبعة في الريف المصري وتسمى "حجز الطفلة" لحظة قطع الحبل السري، وتعتبر خطبة.[4]

[1] بيار كانا فاجيو: المرجع السابق، ص39 .

[2] ينظر: أحمد زغب: الفولكلور: -النظرية-المنهج- التطبيق، ص35 .

[3] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

[4] ينظر: فوزية ذياب: المرجع السابق، ص250 .

أما إذا كان الزواج خارجيا فالعادة السائرة أن أهل الشاب يجوبون البيوت بحثا عن زوجة تناسب ابنهم، أو يكون عن طريق المرأة "الخطّابة" التي في حوزتها قائمة النساء والفتيات من كل الأصناف.[1]

وفي بوادي سوف قد يتم اختيار الفتاة خلال رقصة النخ التي تؤديها الفتيات غير المرتبطات بخطوبة أو زواج، ويعلن الشاب اختياره برش قارورة عطر على رأس الفتاة المختارة أو يرمي عليها منديل ثم يرسل والدته لخطبتها والاتفاق مع أهلها، ومن ثمة الاتفاق بين والدي الخطيبين.

وفي كل الحالات لا يتم اللقاء بين الخطيبين في هذه الفترة، ولا يكلمها حتى وان صادفها في طريقه، وقد لا يتعرف الشاب على العروس إطلاقا إلا ليلة زواجه.[2]

وفي البوادي قد يتم الزواج بالخطف، وذلك عند امتناع والد الفتاة من تزويج ابنته إلى من تقدّم لخطبتها، حيث يتم خطف الفتاة من قبل الشاب الراغب في الزواج منها حتى وإن كانت ستزف إلى غيره، وهنا يوضع الأب أمام الأمر الواقع ويقبل بالزواج.[3]

5-4-2 الصفات المرغوب فيها عند اختيار الخطيبة :

أ- **الأصل والسمعة الطيبة:** الشائع في المنطقة أن يتم اختيار الفتاة بحسب أصل البنت وعائلتها حيث تختار البنت ذات الأصل والسمعة الطيبة "خوذ بنات الأصول علاش الزمان يدور"، كما يتم النظر إلى أصل أم الفتاة والتي تكون قد عرفت بحسن معاملتها لأهل زوجها وفي هذا يقول المثل الشعبي "كب القدرة عن فمها تجي البنت لأمها"[4]، وقد وردت في الأمثال السومرية إلى ما يعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد " تزوج حسب اختيارك وأنجب أطفالا كما يرغب قلبك، ويقول "الأصل ... الأصل " الذي يتناسب مع المثل الحالي" خذ الأصيلة ونام على الحصيرة".[5]

---

[1] علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية، ص527 .

[2] صالح دويم: 55 سنة، شاعر، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 13:00 ظهرا .

[3] عبد الكريم ريغي: 57 سنة، راعي إبل، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 11:00 صباحا .

[4] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

[5] علي القيّم: المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، مكتبة المهتدين، ط2، 1997، ص82، 83 .

ب– الخصوبة: يتم اختيار الفتاة بحسب خصوبتها، فتستفسر أم الخاطب عن عدد الأولاد الذين أنجبتهم والدتها وخالاتها وأخواتها المتزوجات منهن، والفتاة التي تنحدر من عائلة عرفت بانتشار العقم فيها، كثيرا ما يُعزف عن خطبتها.[1]

ج– صغر السن: المعتقد السائد في المنطقة الارتباط بالبنت صغيرة السن "جيب مرا ياكل منها الزمان ويخلي "حيث كان سن الزواج يتراوح بين سن الحادي عشر والخامس عشر، فكثيرا ما تتزوج البنت وهي ما زالت تتبوّل في الفراش وتلعب في الشارع، والغاية من صغر سن العروس أنها كلما كانت أصغر سنا كان ذلك أضمن للخصوبة والإنجاب، كما يتمكن الزوج من السيطرة عليها، وتستطيع أم الزوج تربيتها بما يتلاءم وتقاليد الأسرة[2]، والتبكير بسن زواج الفتاة أوصى به الحكماء في مصر القديمة "فكانوا يعتبرون الفتاة صالحة للزواج منذ سن البلوغ وورد في إحدى الحكم "وعلّمها لتصبح انسانة" أي أبصرها بأمور الحياة الزوجية، ودرّبها على ظروف المعيشة الزوجية[3] وحبّذ السومريون كذلك الزواج المبكر للفتاة والفتى[4]، وتقول الباحثة "سعيدة حمزاوي" أن شرط صغر سن العروس أكدت عنه العديد من الأغاني الشعبية حيث تكرر لفظ طفلة صغيرة في أغاني الزواج باعتباره مفخرة لأهل العريس[5]، وهو ما نجده في "أغنية بيّا غرام زهور" للمطرب الشعبي عبد الله مناعي:[6]

خُرْجَتْ اِدُّورْ

هَا الطُّفْلة المِسَّمْية ازْهُور

وأيضا في "أغنية صباحها يربح" في المقطع التالي[7]:

ارَبِّي يَا العَمَّة قُلِيلْها مِنْ عِنْدي هَا الكَلْمَة

[1] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

[2] عن الموردة نفسها .

[3] محمد فيّاض: المرأة المصرية القديمة، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص122، 123 .

[4] خزعل الماجدي: متون سومر، ص 267 .

[5] سعيدة حمزاوي: العادات والمعتقدات في الأغنية الشعبية الأوراسية، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 10، ص329 .

[6] الجيلاني حسّان: من التراث الغنائي بوادي سوف، دار الشهاب، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص173.

[7] المرجع نفسه، ص 186 .

هَا الطُفْلَة شِبَحْتْهَا*

ثُم عُرْضَتْنِي ومَا بَتْشِي اتْصَبَّحْ

د- القدرة على إدارة شؤون البيت: تعتبر المهارة في القيام بأعمال المنزل من نسيج وطهو ورحي و...من أبرز الصفات التي ترفع من قيمة العروس (الخطيبة) وهي الصفة التي تسعى الأم أن تغرسها في ابنتها منذ طفولتها، كما كان يشترط في الفتاة في مجتمع البحث أن تكون اقتصادية وغير مبذرة فعندما تذهب المرأة لخطبة فتاة لابنها تختبرها «فتطلب منها إحضار طأس ماء، فان أحضرت الفتاة الطأس مملوء تعتبر خاربة** وإذا أحضرت طأس الماء للنصف، فإنها ستنال إعجاب أم الزوج، كما تختبرها في المهارة فتطلب منها أن تمشط لها شعرها»[1]، والمرأة المبذرة عند السومريين القدماء كانت سببا في تعاسة الأسرة، ويظهر هذا في العديد من الحكم التي توضح النتائج الوخيمة المترتبة على الزواج من المرأة المبذرة ومنها :"بزواجي من امرأة مبذرة وبإنجابي ابنا مسرفا يصبح الحزن ذخيرتي"، "إن فجيعة الرجل فوق تبذير أسرته"، "إن المرأة المبذرة تبتلى بجميع أمراض الشياطين".[2]

5-4-3 طقوس الزواج الاحتفالية :

بعد أن يتم اتفاق أهل العروسين وإتمام الخطوبة، يبدأ التحضير للزواج خلال هذه الفترة وغالبا ما تكون قصيرة، فقد تكون خمسة عشر يوما وإن زادت عن ذلك تصل شهرين في بعض البوادي[3]، ويتم الإعلان عن موعد العرس، وينطلق ابتداء من يوم الثلاثاء إلى غاية صباح الجمعة والذي يسمى يوم الصباح، ويعد يوم الخميس "الرُّواح" الأهم من بين أيام الاحتفال بالزواج.

* شبحتها بمعنى رأيتها .

** يقصد بها المرأة المبذرة، والتي لا تحسن التصرف في مؤونة الأسرة .

[1] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

[2] أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص 76 .

[3] صالح دوم: 55 سنة، شاعر، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 13:00 ظهرا .

تجدر الإشارة أننا لا نودّ الدخول في شرح تفاصيل الاحتفال بالزواج، ونكتفي بالوقوف على أهم الطقوس التي تقتصر على " العروس"، ونترك البعض منها الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بمغزى الإنجاب في عنصر" المرأة والإنجاب:

أ- يوم العطرية أو القفة: ويصادف يوم الاربعاء، ويتم فيه حمل الهدايا للعروس في قفة كبيرة من سعف النخيل، وتضم العطرية (الهدية) المحملة للعروس الحنة واللبان والكحل وأعشاب معطرة و....ملابس العروس، وحليّ الذهب أو الفضة كل حسب قدرته ويسمى في البوادي بيوم "الرمي" أي الرمي على العروس بهديتها وملابسها المحمّلة لها من قبل أهل العريس، وبعد الرمي يتم سكب الزيت فوق رأس العروس.[1]

ب- طقس حنة العروس: ويتم في نفس اليوم الذي تحمل فيه العطرية إلى العروس، فتجتمع النسوة من قريبات العروس عمّاتها وخالاتها لتحنية العروس حيث يتم تخضيب يديها ورجليها بالحناء، وتتولى مهمة التحنية امرأة أنجبت كثيرا من الأولاد ولم تتزوج إلا مرة واحدة في حياتها، ثم تغطي خضاب الحناء بمناديل حمراء، مع ترديد أغاني الحناء.[2]

ج- طقس الفتول والروّاح: ويصادف يوم الخميس، ويقصد بالرواح زف العروس إلى بيت زوجها و"الفتول" هو خليط من الحناء والأعشاب المعطّرة، حيث يتم رشها على شعر العروس من قبل النساء متزوجات بعد ظفر شعرها بواسطة خيوط حمراء وخضراء، ثم تقوم العروس بوضع ما تبقى من العطور في شعر الفتيات غير المتزوجات حتى يحالفهن الحظ بالزواج، وهذا الطقس أهازيج النسوة أو ما يسمى "أغاني الفتول"، ومن العادات المتعلقة بالفتول يوضع "مقواس" من الذهب فوق رأس العروس ويسكب في وسط المقواس الموضوع على رأس العروس الزيت ويطلب من شقيقتين شرب الزيت من فوق

[1] صالح دوبم: 55 سنة، شاعر، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 13:00 ظهرا .

[2] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

رأسها[1]، وبعد الانتهاء من الفتول، تتزين العروس بكل حليها وتزف ليلا إلى بيت زوجها راجلة إذا كانت قريبة من بيت الزوج، أو بركوب الهودج مع ولد ذكر تفاؤلا بإنجاب الولد الذكر.[2]

د– الدخلة: بعد وصول العروس إلى بيت زوجها، يدخل العريس إلى عروسته ومعه كمية من الهدايا، وعند الباب ينتظر مرافق العريس "المزوار" ينتظر الخبر وهو خبر عذرية العروسة، وقد يطالب أحد أفراد العروسة الدليل على عذرية العروس ومن ثم تنطلق زغاريد النسوة وطلقات البارود وتردد الأهازيج[3]، وعذرية العروس لا تعد شرفا لأهل العروس فحسب، وإنما مفخرة لأهل العريس لأنهم أحسنوا الاختيار لابنهم، ويعتبر فض البكارة بالنسبة للعروس طقساً من طقوس العبور حيث انتقلت من صنف الفتيات لتدخل في مجتمع النسوة.

وفي بوادي سوف يقوم العريس قبل الدخلة، بذبح "جدي" عند عتبة الغرفة[4] وهذه الممارسة من قبيل السحر التشابهي فإسالة دم الجدي من قبل العريس، يشبه دم بكارة العروس.

هـ – يوم الصباح: وهو اليوم الذي يلي ليلة الدخلة، ويصادف يوم الجمعة، وفي هذا اليوم يأتي أهل العروس لابنتهم وهم يحملون قصعة الصباح وهي عبارة عن طبقاً يختلف بحسب كل قرية وغالبا ما يكون طبقاً من الكسكس بمرق اللحم.[5]

و– طقس الحزام: ويصادف مساء يوم الجمعة أي يوم الصباح حيث يتم شد نطاق العروس بحزام من الذهب من قبل طفل اسمه محمد أو على، وقبل شد نطاقها تعرض العروس زينتها بارتداء كل ما أحضرته من ملابس وحلي، وفي بوادي سوف قد يصادف الحزام اليوم السابع من الزواج حيث تلبس العروس حولي أبيض وتحزم بحزام متعدد الألوان بين أحمر وأخضر ويسمى حزام "لالة فاطمة ".[6]

---

[1] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .
وينظر: أحمد زغب: الفولكلور– النظرية– المنهج– التطبيق، ص146 .

[2] صالح دويم: 55 سنة، شاعر، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 13:00 ظهرا .

[3] ينظر: أحمد زغب: الفولكلور– النظرية– المنهج– التطبيق، ص151، 152 .

[4] النايمة سديرة: 65 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/31 على الساعة 15:00 .

[5] ينظر: أحمد زغب: الفولكلور– النظرية– المنهج– التطبيق، ص159 .

[6] تبر بيصة: 65 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/28 على الساعة 14:00 .

ي- يوم الكبوب: ويصادف اليوم السابع من الزواج، وفي هذا اليوم تخرج العروس من الحجبة وتقبل رأسي عمها وعمّتها (والدا الزوج)، وتجلس العروس متجهة نحو القبلة لتطحن القمح والشعير ويشد العريس على إحدى ركبتيها بواسطة حبل أو منديل وتسمى هذه العملية (عقل العروس) حيث تنطق القاف جيما مصرية، ويضربها الزوج على كتفها، فإذا أعادت الضربة عاد ليضربها بشيء من المزاح حتى يكون آخر من يضرب، وذلك حتى يكون هو المسيطر في حياتهما الزوجية، ويعتقدون أن ربط العروس تفاؤلا ببقائها في نطاق هذا الزواج إلى الأبد[1]، وفي الجنوب التونسي تمسك العروس شاة يقوم العريس بذبحها، وبعد الذبح تنطلق هاربة إلى الغرفة فيجري وراءها ويلحق بها ويضربها.[2]

[1] أحمد زغب: الفولكلور –النظرية–المنهج–التطبيق، ص153.

و تبر بيصة: 65 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/28 على الساعة 14:00 .

[2] محمد المرزوقي: المرجع السابق، ص94 .

سادسا: المرأة والإنجاب :

كان الإنجاب ولا يزال غاية أساسية لقيام الأسرة في كل مجتمع إنساني، فهو أمل يرجو الزوجان منه إشباع غرائزهما في إنجاب الأولاد كونهم الامتداد الطبيعي لهما، فضلا عن أن الأسرة تأتلف بالزوج والزوجة والأولاد.[1]

ولم يختلف المجتمع السوفي عن غيره من المجتمعات الإنسانية في هذا الجانب، فمسألة الإنجاب كانت ومازالت تأخذ حيزاً كبيراً في حياة الزوجين وخاصة المرأة بعد إتمام الزواج، إن لم نقل أن المسألة أولتها الأسرة السوفية اهتماما كبيرا بدءا من مرحلة الخطوبة، حيث كان اختيار الزوجة كما سبق وأن ذكرنا يتوقف على الخصوبة وصغر السن، باعتبار أن النصوص الاسلامية ألحت على اختيار المرأة الولود الودود، والانجاب والخصوبة شرط أساسي وأولي تفوق فيه السوداء المنجبة الحسناء العاقر.[2]

والأهمية التي نالها الإنجاب في حياة المرأة والمجتمع لا تقل أهمية عن زواجها، وهو ما عبر عنه المثل الشعبي "المرا بلا أولاد كالخيمة بلا أوتاد"، وهو ما أدى بالمخيال الشعبي إلى نسج بعض المعتقدات حول العقم والتي التمسناها عند حديثنا مع بعض الرواة "فالشخص الذي يعضه الخفاش يكون عقيما"[3] والاعتقاد بأن الخفاش يسبب العقم نجده في المغرب" فعندما يتم وضع خفاشة في وسادة امرأة بعد ذبحها ورمي ما في جوفها، فإنها لا تحمل ما دامت الخفاشة في الوسادة[4] ويعتقد أن "البنت التي يعصر ثديها الحليب لا تنجب في المستقبل وتكون عقيما".[5]

ولكون الإنجاب أحد الدعائم التي تعزز المكانة الاجتماعية للمرأة ولا سيما إنجاب الذكور تخللت طقوس الزواج انتشار الابتهالات والأدعية الخاصة بكثرة الذرية كقولهم للعروس "ربي يعمرك

[1] هاني عبد الغني عبد الله الحمداني: الحياة الاجتماعية في المملكة الحثية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب جامعة الموصل، 2012،ص75.
[2] فريد الزاهي: الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 1999، ص76 .
[3] لزهاري بن خليفة: 72 سنة، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معه يوم 2017/10/29 على الساعة 17:00 مساء .
[4] مصطفى واعراب: المرجع السابق، ص 70 .
[5] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .

ويثمرك" و"يجعلها قطّارة مطّارة كل عام تجيب بالحارة"[1] كما تردد الأهازيج التي تصب في هذا السياق:[2]

داقة لوتاد وجايبة لولاد

جايبة لبنته والقطاطي ستة

كما رافقت الطقوس الاحتفالية للزواج، عدة معتقدات وطقوس لها علاقة بالإنجاب إما تفاؤلا به أو الوقاية من عدمه:

6-1 المعتقدات المتعلقة بالإنجاب في احتفالات الزواج :

أولى المعتقدات المتعلقة بالإنجاب والمرافقة لاحتفالات الزواج، نجد استبعاد المرأة العاقر من المشاركة في الطقوس الخاصة بالعروس (طقس الحنة والفتول ولصق عجينة التمر...) في اعتقادهم أن مشاركتها يؤثر في العروس وتصاب بالعقم، لذلك تحرص الأسرة على مشاركة المرأة التي أنجبت كثيرا من الأبناء مع زواجها مرة واحدة في حياتها بالإشراف على كافة الطقوس تفاؤلا بها، وفي طقس الحنة تحرص العروس على عدم لحس الحنة من اصبعها لأن ذلك يصيبها بالعقم بحسب المعتقد الشعبي.[3]

ومن المعتقدات الشائعة في طقوس الزواج مشاركة الولد الذكر في الطقوس، حيث يركب مع العروس عند زفها ولد ذكر، وفي طقس الحزام يشد نطاقها ولد ذكر على أن يكون اسمه "محمد" أو "علي"، تفاؤلا لها بإنجاب الولد الأول ذكر.

ومن المعتقدات الشائعة أن حليّ المرأة وخاصة "الحزام" الذي تشد به نطاقها ،يزين "بالخمسة" وهي عبارة عن تميمة في شكل راحة يد مبسوطة، وتستعمل بغرض دفع العين الشريرة التي قد تصيب العروس وتسبب لها العقم، وقد استخدمت في مصر القديمة تمائم على هيئة يد تتوسطها

[1] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

[2] تبر بيصة: 65 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/28 على الساعة 14:00 .

[3] فاطمة بن خليفة: 80 سنة، أمية، حي الشط، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/03/27 على الساعة 10:00 صباحا .

عين لصد القوة الشريرة[1]، ويزين الحزام أيضا بـ " الحوتة " ونفهم من ذلك أن الحوته توضع كفأل حسن بغاية الإنجاب باعتبار السمك يمتاز بكثرة وقوة النسل والتكاثر، يقول "عبد الحكيم خليل" كانت الفتيات المقبلات على الزواج قديما يذهبن إلى الأسواق الشعبية لدق (وشم) السمكة كفأل حسن تجنبا للعقم، كما أنه يشير إلى اشتهاء الرغد والنسل[2]، وفي مصر القديمة كان السحرة يصنعون تمائم خاصة لنجاح عملية الحمل على هيئة إناث الحيوانات التي تمتاز بقوة النسل كالضفادع، وأخرى على هيئة إناث الحيوانات التي تمتاز بضخامة البطن والثدي كأفراس البحر.[3]

ومن المعتقدات المتعلقة للوقاية من العقم بسبب عمل سحري قد يتعرض له العروسان "حمل كل من العروس والعريس، سكين مع صرة من الكمون الأسود والحرمل، حيث يشد العريس كل ذلك تحت حزامه[4]، وكانت السكين في مصر القديمة سلاحا سحريا ورمزا للدفاع كي تبعد الضرر من الكائنات الشريرة.[5]

6-2 الطقوس المرتبطة بالإنجاب في احتفالات الزواج :

6-2-1 طقس نثر القمح: يمارس هذا الطقس يوم "الرواح" وعند مغادرة العروس بيت والدها ينثر خلفها القمح[6]، ونثر الحبوب تقليد شائع عند القدماء الهنود وفي جنوب شرق آسيا وفي الصين فمن هذه الشعوب من ينثر الفاكهة والنقود، وقد سرت هذه العادة إلى قدماء اليونان والرومان فكانوا ينثرون الأرز على موكب العروس....وتفسر هذه الظاهرة بشعور من التيقن بكثرة النسل ويربطون الكثرة بين بذور ثمار النبات وبين الثمار الناتجة عن الزواج[7] وقد ربطت الكثير من المجتمعات بين الزواج وبذر

[1] إياد رستم وميرنا حسين مصطفى: دلالات اليد في المعتقدات الدينية والمنحوتات السامية، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن، ص3 .

[2] ينظر: عبد الحكيم خليل سيد أحمد: التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي، المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبي الفلسطيني، جامعة النجاح، فلسطين، 2012/10/06 .

[3] خزعل الماجدي: الدين المصري، ص253 .

[4] عبد الكريم ريغي: 57 سنة، راعي إبل، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 11:00 صباحا .

[5] مانفرد لوكر: معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، تر: صلاح الدين رمضان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000، ص156، 157 .

[6] عبد الكريم ريغي : 57 سنة، راعي إبل، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 11:00 صباحا .

[7] عبد السلام الترمانيني: المرجع السابق، ص 159 .

البذور والاخصاب[1] وفي تمثيليات طقوس الاحتفال باتحاد إله السماء (زيوس) وإلهة الحنطة (ديميتير) في وادي الإيليزيه، كانت سنبلة القمح هي ثمرة الزواج المقدس.[2]

ويحضر القمح في طقس الرحي، عندما تقوم العروس بالرحي في اليوم السابع من زواجها (يوم الكبوب)، وفي الريف المصري يعطى للعروس لحظة دخولها بيت الزوج يوم الزفاف قُلَّة (جَرَّة) قد استنبت في فوهتها بعض القمح وبها قطعة خميرة.[3]

6-2-2 طقس كسر البيضة : من الطقوس التي ترتبط بمغزى الانجاب دخول العروس "يوم الرواح " بالرجل اليمنى إلى بيت زوجها كنوع من التفاؤل وتيمنا للحصول على البركة ولحظة الدخول تكسر العروس بيضة تحت قدمها، وترمز البيضة في كثير من الثقافات والديانات القديمة إلى خلق الحياة من العدم[4]، وبجانب كونها بداية للحياة، فهي رمز للتناسل وإعادة الميلاد والحياة الجديدة[5]، وجاء في موسوعة الزواج بأن عادة البيض في الزواج استبشار بزيادة الإخصاب أو تسهيل حصول الزواج بسبب هشاشة قشرة البيضة أو بتسهيل الولادة فيما بعد[6] وعادة كسر البيض في الزواج موجودة في كثير من المدن الجزائرية فهناك من يستخدمها في حنة العروس، وفي مدينة الشريعة بـ " تبسة " يكسر البيض يوم الصباح من خلال تراشقه بين أهل العروسين[7]، وتقليد كسر البيض في الزواج شائع في فلسطين، وفي طقوس الزواج الهندوسي القديم يتم التقابل الزوجي على بعد سبع خطوات، ثم يسير العريسان فوق البيض ويرمى عليهما بالزهور[8]، ويبدو أن عادة كسر البيض نوع من قبيل السحر التشابهي حيث يدل

[1] ينظر: جيمس فريزر: الغصن الذهبي -دراسة في السحر والدين- ج1، تر: أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للنشر والتوزيع، مصر، (د.ط)، 1971، ص 464، 465 .

[2] المرجع نفسه، ص 482 .

[3] فوزية ذياب: المرجع السابق، ص297 .

[4] عصام الستاتي: شم النسيم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2006، ص44 .

[5] كارم محمود عزيز: أساطير التوراة الكبرى، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1999، ص33 .

[6] إدوارد ويستر مارك: موسوعة تاريخ الزواج، تر: مصباح الصمد وآخرون ،المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،ط1، 2001، ص19.

[7] هذا الطقس حضرت له الباحثة/ بن خليفة سمية في احدى مناسبات الزواج بمدينة الشريعة بولاية تبسة في شهر أوت 2008 م.

[8] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص268 .

على رغبة الأسرة في أن يخلق من رحم العروس الأولاد، باعتبار أن البيضة في اعتقاد القدماء امكانيات الخلق الأول.

وتختلف طقوس دخول العروس ليلة "الرواح" إلى بيت الزوج، فقد تحمل الأسرة من قبل أحد إخوتها أو إخوة الزوج حتى لا تخطو فوق عمل سحري يستهدفها ليعكر حياتها الزوجية أو يسبب لها العقم[1]، أما في البوادي لا تحمل العروس وإنما يفرش لها فراش يمتد من عتبة الباب إلى غاية غرفتها للاعتقاد نفسه.[2]

6-2-3 طقس لصق عجينة التمر: عند دخول العروس لغرفتها تسلّم عجينة التمر ممزوجة بالحنة والدهان، للعروس وتلصقها في مدخل باب الغرفة، ويجب أن يتولى مهمة عجن التمرة وتسليمها للعروس امرأة أنجبت كثيرا من الأبناء، تفاؤلا بها[3] وهذا التقليد معمول به في فلسطين، غير أن المعجون لدقيق القمح وليس التمر[4] وعجينة التمر أو الدقيق تعبير عن الخصوبة والخير وهو يعود إلى أساطير قديمة جدا، ففي الديانة الفيتيشية القديمة، تسكن الأرواح العجينة وفي شيء من السحر التشابهي تدب الحياة في البيت فتعمره، وعند الفينيقيين تعتبر النخلة شجرة الحياة، وقد تم توحيدها بجنة عدن وبعشتار رمز الخصوبة[5]، وقد ارتبطت النخلة في عصر ما قبل الإسلام بالخصب ورمزت إلى الأمومة لذلك ربط شعراء العرب بين الحبيبة والنخلة، وعلى غرارهم الشاعر الشعبي "بن قيطون" في قصيدة "حيزية" حين شبّه جيدها بالجمّار قلب النخلة ورمز الخصوبة.[6]

6-2-4 طقس توريد الماء: يشيع هذا التقليد في بوادي سوف، حين تذهب العروس في اليوم السابع من زواجها لجلب الماء من البئر في قلة مع قليل من العشب[7] وفي فلسطين تذهب العروس في

[1] تبر بيصة: 65 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/28 على الساعة 14:00 .

[2] عبد الكريم ريغي: 57 سنة، راعي إبل، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 11:00 صباحا .

[3] جبارية مولى: 61 سنة، أمية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 12:00

[4] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص 270 .

[5] ينظر: بشير خليف: شعائر الموت ومعتقداته في تراث المشرق– مقاربة أنثروبولوجية – مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 8، 2010، ص83 .

[6] ينظر: أحمد الأمين: حيزية الملحمة الجزائرية، دار المصباح، برج الكيفان، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 39 و ص 63

[7] صالح دوبم: 55 سنة، شاعر، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 13:00 ظهرا .

الصباح الذي يلي ليلة الدخلة إلى نبع القرية لتملأ جرة الماء، وتقول نضال فخري طه معقبة على هذا الطقس بأن جذوره تعود إلى الديانات السحرية القديمة فملأ الجرة ممارسة سحرية تعني رغبة الفتاة أن تمتلئ هي نفسها، أن تحمل جنينا، فالماء الذي تحمله يحمل القدرة على منح الحياة لطفل جديد.[1]

6-2-5 طقس سكب الماء ورشه: يحضر الماء بكثرة في طقوس الزواج في منطقة سوف، حيث يرش أمام العروس وخلفها لحظة مغادرة بيت أهلها[2]، وترش عتبة بيت الزوج بالماء عند دخول العروس مع سكب الماء على قدميها، وهي ممارسة سحرية يعتقد فيها إدخال البركة والخير على العروس وتيمنا بالخير الذي سيحل بأهل البيت بقدومها إليهم، ويعتبر الماء طارداً للأرواح الشريرة التي يمكن أن تؤثر في العروسين وتسبب لهما العقم، وعند السومريين والبابليين كان طقس سكب السوائل يقوم به الكاهن وكان يجري بصورة يومية خاصة في حفل الزواج حيث يسكب الكاهن على رأس العروس سائلا لمباركتها[3]، كما استخدم الماء لتطهير العروسين في طقوس الزواج عند المصريين.[4]

إذن النظرة السلبية التي فرضت على المرأة في مختلف الثقافات والمجتمعات الإنسانية ومنها مجتمع الدراسة، جعلت المرأة تحظى بنصيب وافر من المعتقدات والطقوس حددت مسار حياتها، فلكونها أنثى تتشاءم الأسرة من استقبالها جعل المخيال الشعبي يبحث عن وسائل وطقوس متعددة للتحكم في جنس الجنين وأخرى للتنبؤ به للظفر بمولود ذكر، وما إن أقبلت على الأسرة تربى تربية يلفها الخوف والحذر تجعلها معرضة لقيود اجتماعية تمنعها من أن تعيش مرحلة الطفولة كما يجب، فسرعان ما تدمج في الوسط النسوي لتأهيلها للزواج، وإن لم تحظ بزوج تلجأ لاستشفاف الغيبيات من خلال ممارسة الطقوس السحرية لعلها تحظى بالزواج ومن ثمة الإنجاب اللذان يحددان مكانتها الاجتماعية.

[1] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص276 .

[2] تبر بيصة: 65 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/28 على الساعة 14:00 .

[3] خزعل الماجدي: متون سومر، ص316 .

[4] ينظر: خزعل الماجدي: الدين المصري، ص227 .

الفصل الثاني: عقم المرأة والطب الشعبي

أولا: الـمرأة والعقـــم

ثانيا: العلاج الطبيــعي

ثالثا: العلاج الغيـــــبي

رابعا: أسباب وحالات عقم المرأة وطرق علاجهـــا

خامسا: المتخصصون في الممارسات العلاجية الشعبية

سادسا: الطقوس السحرية التي تلجأ إليها المرأة العاقر

أولا: المرأة والعـقم

اعتبر العقم في مختلف العصور والثقافات مرضاً وابتلاء من الله، فهو لعنة في الأساطير البابلية عندما تضرع "إيتانا" إلى الآلهة لترفع عليه لعنة العقم، ثم يعلم عن نبتة مزروعة في السماء تشفي من العقم، فيدعو الإله "شمش" أن يجعل هذه النبتة في متناول يده:[1]

" أعطني (أي شمش) النبات الذي يساعد حمل المرأة .

أكشف عن العشب الذي يساعد على الحمل "[2]

يستجيب له الإله ويدله على مكان النسر الحبيس فيحرره ويشفيه[3]

وعدّ العقم في المجتمع الحثي من علائم سوء الحظ ولعنة إلهية، عندما تحدثت أسطورة "اختفاء الإله تليبينو" عن الكوارث التي حلت بالأرض وكذلك العقم :

في موجة الغضب اختفى الإله تيليبينو .

غصت الدار بالدخان .

خبأ الجمر في الموقد .

واختفت أرباب فوق عروشها .

ولم يعد القمح ينمو ولا الشعير يربو .

ولم تعد البقرات تحبل ولا الغنم تلد .

توقفت النساء عن الحمل والحبلى منهن لم تعد تلد.[4]

وتعتمد الفلسفة الدينية في الطب السومري على مسألة أساسية مهمة، وهي أن سبب نشوء الأمراض ومن بينها العقم إنما هو غضب إلهي يحل على الإنسان بسبب خطأ يرتكبه، ولذلك كانت الآلهة تأمر بإحلال لعنة المرض ولعنة العقم عليه.[5]

---

[1] ينظر: فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ص53 .

[2] أسامة عدنان يحي: السحر والطب في الحضارات القديمة، آشور بانيبال للكتاب، العراق، ط1 ،2016 ،ص348 .

[3] فراس السواح: الأسطورة والمعنى، ص53 .

[4] هاني عبد الغني عبد الله الحمداني: المرجع السابق، ص76 .

[5] خزعل الماجدي: بخور الآلهة، ص 143، 144.

وإحلال لعنة العقم في الأساطير لم تقتصر على البشر، وإنما طالت الحيوان "فيعتقد أن البغلة حرمت من الإنجاب بسبب سخط الله، عندما استجابت لطلب النمرود وجلبت له الحطب لحرق سيدنا ابراهيم، في حين رفضت بقية الحيوانات لطلبه فغضب عنها سيدنا إبراهيم ودعا عليها أن تبقى محرومة من لذة النساء".[1]

وأجازت أغلب الديانات والقوانين والأعراف القديمة تطليق المرأة العاقر، فسمحت التوراة بتطليق الزوجة بمجرد وجود عاهة، واعتبر العقم عندهم عاهة، وجاء في التلمود أن الطلاق إجباري إن لم تنجب الزوجة بعد عشر سنين من العشرة الزوجية[2] ونستدل مكانة الإنجاب بالرجوع إلى سفر التكوين في العهد القديم من خلال قصة سيدنا يعقوب وزوجته راحيل.[3]

وقد حُمّلت المرأة على مر العصور مسؤولية العقم، ففي قانون حمورابي "إذا أبطأت المرأة في أن تكون أمّا يسرع الزوج بالخلاص منها تفاديا من نزول النكبات بالأسرة[4]، وكانت المرأة العاقر عند الآشوريين والكلدان مبغوضة ويتخذونها ملعونة بها شيطان، فكانوا أغلب الأوقات يخرجونها من البيت كأنها نجسة[5]، وكان العقم بالنسبة للزوجة في مصر القديمة بمثابة كارثة أو مصيبة تضطرها إلى الالتجاء لتدخل الوسائل السحرية.[6]

وفي اليابان والصين كانت تجبر على تقبل الضرة إن لم تنجب ذكرا وتطلق عند عدم الإنجاب، وفي اليونان كان يحتفل بالمرأة عند وضع حملها كأنها ملكة اعتلت عرشا، أما العاقر فكانت تلحق بزمرة النساء اللواتي لم تنجب حتى تساعد الجندي في راحته.[7]

---

[1] ينظر: محمد علي الصباح: القصص الشعبي في مؤلفات كلام الراسي، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1990، ص38 .

[2] الطاهر براهمي: المرجع السابق، ص55.

[3] سفر التكوين، الإصحاح 30 .

[4] عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص126 .

[5] المرجع نفسه، ص 128 .

[6] كريستيان ديروش نوبلكور: المرجع السابق، ص309 .

[7] ينظر: الطاهر براهمي: المرجع السابق، ص50، 51 .

ومن يدرس شرائع مانو يجدها تحرص كل الحرص على الدعوة للزواج وإكثار النسل، ولما كانوا يعدون العقم من المصائب وُضعت تشاريع لتداركه، فإن كان غير صالح للأولاد، فعليه أن يستولد امرأته من أحد إخوانه وأهله[1]، فاحترام المرأة كان مشروطا بأمومتها، فيكون الاحترام أكبر إن كانت أمّا وإلا فالطلاق مصيرها.

وفي معظم المجتمعات الشرقية يقع اللوم في العقم على المرأة، فنادرا ما يقتنع الرجل بضرورة أن يعرض نفسه للفحص لعل السبب في عدم الإنجاب أن يكون منه شخصيا لا من الزوجة.[2]

ويرجع اتهام المرأة بعدم الإنجاب لأسباب كثيرة منها كونها العامل الأساسي فهي التي يظهر عليها الحمل، وهي التي تلد و....[3]

وفي مجتمع البحث نجد المرأة وبمجرد مرور بضعة أشهر من زواجها تنتظر بتلهف ظهور الأعراض الأولى التي تجعلها تأمل في أن تصبح أما، وإذا مضى على زواجها بعض من الزمن ولم تنجب يتملكها هاجس الخوف من الطلاق أو الضرة، ومن ثمة يصبح موضوع عقمها مجالا لحديث المجتمع خاصة الجارات والقريبات من أهل الزوج فتارة يقدمن لها النصح وتارة تكون موضوعا للشفقة والسخرية.

وقد يعتبر العقم قدرا مقدرا وقد يكون حسب الاعتقاد الشعبي عملا من أعمال السحر الانتقامي[4]، وفي كل الحالات تلجأ المرأة التي لم تتمكن من الإنجاب إلى مختلف الممارسات العلاجية الشعبية من عقاقير وأعشاب وممارسات وطقوس سحرية ...

ويزخر التراث الشعبي بكثير من الأغاني التي تعكس قيمة الإنجاب، ونذكر منها قصة المرأة العاقر التي مضى على زواجها ثمانية عشر سنة دون أن تحظى بالإنجاب، فأصبح الحديث عن عقمها يجري على لسان العامة خاصة القريبات والجارات، فهناك من نظرت إليها نظرة شفقة، وهناك من نظرت

[1] ينظر: عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص134 .
[2] ينظر: أحمد زغب: الفولكلور– النظرية– المنهج– التطبيق، ص68 .
[3] الطاهر براهمي: المرجع السابق، ص 50، 51، بتصرف .
[4] مصطفى واعراب: المرجع السابق، ص170 .

إليها نظرة سخرية وتشفي ونصحن زوجها بالزواج بامرأة أخرى تنجب له الأولاد، إلا أنه وبعد زواجه حملت زوجته الأولى دون أن تحمل الزوجة الثانية، وأنشدت إحدى جاراتها أبياتا شعرية بعد ولادتها[1]:

الحمدوله خلصتي لاباس يلـــي خشيتي كـــوم النـــاس

الحمدولـــه إنت جبتيـــه وفي شكبونك غير حطيـــه

الناس اكلها تشبح فيـــه وهاذي العاقر اللي ما تضنـاش

الحمدوله خلصتي لابـــاس يلي خشيتي كـــوم النـــاس

خشيتي كـــوم المومنيـــن وحـــن عليـــك الحنيـــن

وعن الحـــول اجـــوك اثنيـــن وربّـــي عنده و مـــا يكيداش

والكساوي السمحة اشهريـه إنشـــاء الله اطّهري واداويـــه

وربّي عنده وما يكيداش

[1] (ض.ق): 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 .

ثانيا: العلاج الطبيعي :

ويضم الممارسات المرتبطة بالطب النباتي أو طب الأعشاب في العلاج كنتيجة أولية للعلاقة القائمة بين الإنسان والطبيعة أو بين الإنسان وبين بيئته التي يعيش فيها، والتي تتضمن ردود الأفعال والاستجابات المبكرة لسعي الإنسان في علاج أمراضه عن طريق الأعشاب والنباتات الطبية وكذا الحيوانات من فضلاتها وأعضائها وشحومها، وكذلك الحشرات والزواحف والطيور وكذلك مياه الأنهار وغيرها مما هو من عناصر الطبيعة ومكوناتها، التي مكنت الإنسان عن طريق التراث التجريبي الطويل من اختبار كفاءتها جنبا إلى جنب مع النباتات الطبيعية.[1]

والعناصر النباتية أو الحيوانية لا تستخدم في الغالب كما هي بحالتها الطبيعية، وإنما يتطلب الأمر تقييدها بعدد من الظروف والقواعد، والإجراءات الفنية، فقد يقيّد استخدام العنصر في وقت معين ففي بعض الحالات المرضية يشترط استخدام الدواء في زمن معين لنجاح العلاج بحيث إذا خالفه المريض فقدت الوصفة الطبية فاعليتها، وقد ينصح باستخدام هذا الدواء في جزء معلوم من اليوم ليلا أو نهارا، أو قبل طلوع الشمس أو قبل غروبها، وقد لا ينص على استخدام الوصفة في زمن معين، وإنما يمكن استخدامها في أي وقت.[2]

ويتضمن هذا الصنف من العلاج: التداوي بالأعشاب، والتداوي بالحيوان، وكذا التداوي بالعناصر الطبيعية، والتداوي بالممارسات اليدوية كالحجامة والتدليك و...

2-1 التداوي بالأعشاب:

يعود تاريخ التداوي بالأعشاب لعلاج عقم المرأة إلى أزمنة سحيقة، فكانت راحيل زوجة يعقوب تريد من وراء طلب نبات اللّفاح من أختها، معالجة عقمها[3]، وكانت المرأة المصرية تشخص حملها بنبات "بيد نيدو– كا "حيث «تعطى المرأة التي يراد الكشف عليها نبات بيد نيدو– كا

[1] ينظر: محمد عباس إبراهيم: الأنثروبولوجيا الطبية، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1992، ص182 .

[2] ينظر: محمد الجوهري: علم الفولكلور، ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1990، ص480، 481.

[3] ينظر: العهد القديم، التكوين ، الإصحاح 30 .

مبشورا وممزوجا بلبن سيدة وضعت مولودا ذكرا فإذا استفرغت فإنها سوف تلد، أما إذا أصيبت بانتفاخ فإنها لن تحمل أبدا».[1]

ويشير الطب البابلي إلى وصف حبوب السمّاك والعنب المسحوقة لجعل المرأة خصبة وكثيرة الولادة[2]، ولجأ الطبيب السومري إلى المصادر النباتية والحيوانية والمعدنية في تهيئة عقاقيره الحلتيت والزعتر وجلد الحية وصدفة السلحفاة، وملح الطعام ... وكان يحتفظ بها إما على هيئة مادة صلدة أو مسحوق، وتستعمل استعمالا خارجيا أو داخليا.[3]

واستخدمت المرأة في مجتمع البحث ولازالت تلجأ لعلاج عقمها بالأعشاب والنباتات في صور شتى إما نقيعا، أو استبخارا والشائع في الاستعمال كان أخذها عن طريق المهبل وبمساعدة معالجة أمراض النساء بالأعشاب.

وسنورد أهم الأعشاب والنباتات المستخدمة في علاج عقم المرأة، والتي تحصلنا عليها من خلال بعض الوصفات العلاجية العشبية والنباتية:

2-1-1 الأعشاب البرية:

- الشيح: يعتبر الشيح من الأعشاب الشائعة الاستعمال في مجال الطب الشعبي في مجتمع البحث حيث لا يكاد يخلو بيت من هذه العشبة، ويستخدم لعلاج كثير من أمراض الأجهزة التنفسية والهضمية والبولية والتناسلية...[4] "ويمتاز الشيح بخاصية علاجية تتمثل في تخليص المرأة من الهواء المتجمع في رحمها والذي يمنعها من الإنجاب، إلا أنه ينبغي استعماله بحذر خاصة للمرأة التي تعاني من مرض القلب أو انخفاض الدم".[5]

---

[1] محمد فيّاض: المرجع السابق، ص 116 .

[2] رينيه لابات ألفاها: الطب البابلي الأشوري، ترجمة وليد الجادر، محاضرة ألقيت بالفرنسية في باريس، (د.ت)، ص199 .

[3] صمويل كريمر: من ألواح سومر، تر: طه باقر، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، القاهرة، (د.ط) ، (د.ت)، ص131 .

[4] الأزهر ضيف: المرجع السابق، ص126 .

[5] خيرة بن علي: 68 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي المجاهدين، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/01/25 على الساعة 16:00 .

– **المردقوش:** ويطلق عليه في بعض المناطق "البردقوش" وله استخدامات عديدة عبر القرون فله مفعول مطهر ومنشط ومهضم، وكان يخفف آلام الأسنان بمضغه ويعمل على تهدئة الأعصاب وإنزال الحيض[1]، ويعتبر أحد أهم الأعشاب التي تساعد المرأة التي تعاني من خمول وضعف البويضات على الحمل، فهو منشط فعال ويساعد على تطهير العروق وإدرار الطمث عند المرأة[2] كما قد تستخدمه في شكل بخور وذلك بتعريض أعضائها التناسلية للدخان.[3]

– **توقفت:** تستعمله المرأة التي تعاني من سخونة الرحم، بحيث لا يتحمل حمل الجنين ومن ثمة تكون كثيرة الإجهاض، فهو يساعد على خفض درجة حرارة الرحم إذا استمرت المرأة في شربه بعد غليه في الماء[4]، كما قد تستعمله بتناوله مع التمر.[5]

– **أم الجلاجل:** وهي عشبة معروفة تفيد في علاج العقم وتأخر الحمل عند المرأة، بعد تجفيفها وسحقها وإضافتها للعسل، وتؤكد المعالجة "خضرة شنيبة" على فعالية العشبة في علاج العقم عند المرأة بقولها "عشبة أم الجلاجل تضني المرا بلا راجل* ".[6]

– **الحرمل:** نبتة تستعمل لأغراض طبية، وتفيد في استعمالها في حالات مرضية كثيرة، ألم القلب والكبد وأوجاع الجسم العامة، وألم الأعضاء...وتستعمل كمسحوق وكمستخلص للمسد والدلك[7] كما يستعمل للتبخير في كثير من الممارسات العلاجية السحرية.

---

[1] ينظر: ليز مانكه: التداوي بالأعشاب في مصر القديمة، تر: أحمد زهير أمين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1993، ص287 .

[2] خيرة بن علي: 68 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي المجاهدين، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/01/25 على الساعة 16:00 .

[3] خضرة شنيبة: 37 سنة، معالجة شعبية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/25 على الساعة 10:00 .

[4] (ض.ق): 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، الصحين ،بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 .

[5] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 .

* يقصد بالمقولة: الاعتقاد في قوة وفعالية عشبة أم الجلاجل في المساعدة على الحمل، لدرجة أن المرأة قد تأكلها فتحمل مباشرة دون تدخل الرجل في عملية الحمل.

[6] خضرة شنيبة:37 سنة، معالجة شعبية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/25 على الساعة 10:00 .

[7] عزي بوخالفة: من قاموس العادات والتقاليد الجزائرية، ج1، دار سنجاق الدين للكتاب، (د.ط)، (د.ت)، ص357 .

– **الزعتر**: ويقال له الأفثنون، ويسعى أفراد المجتمع البدوي الحصول عليه وتخزينه، فهو مسكن للأوجاع[1]، ومطهر للجروح بعد غليه في الماء، ويسهل الولادة للمرأة، ويستخدم في التحاميل التي تأخذها المرأة عن طريق المهبل لعلاج عقمها باعتباره يساعد في التخلص من انتفاخ الرحم بسبب تجمع الهواء.[2]

– **الخزامة**: ويقال لها خيلي وخيري البر، شمها يقوي الدماغ ويفتح سدده[3]، وتفيد في طرد البرودة والهواء من الجسم، وتستخدمه المرأة للتخلص من تجمع الهواء في الرحم.[4]

– **الفيجل**: وهو أحد أهم الأعشاب التي تستخدم في كثير من العلاجات الطبية، ويستعمل لعلاج البواسير، وتستخدمه المرأة لتسهيل الحمل والوقاية من الإجهاض.[5]

– **الجعدة** :نبات عشبي معمر، ينمو عادة في المناطق الصخرية، له رائحة عطرية جذابة، وأوراقه صغيرة مغطاة، ويفيد في حالات الاضطرابات المعدية، ويوضع في الحمام الساخن للعلاج من البرد، ويفيد في حالات عقم النساء.[6]

–**كف مريم**: عشب حولي ينبت في كثير من صحاري الوطن العربي، ومن أسمائه كف لالة فاطمة، وشجرة الطلق (لأنها تسهل الولادة على المُطْلَقة)، والعشبة لها طعم الفجل والجرجير والجزء المستعمل في التداوي هو النبات الجاف، واستعماله الشائع هو نقعه في الماء، وتشرب منه المطلقة فتضع سريعا[7]، وتقول المعالجة "بوعفان خديجة" أنها تستخدم عشبة "كف مريم" باعتبارها عشبة منشطة لذلك تصفها

[1] الأزهر الضيف: المرجع السابق، ص128 .

[2] فريحة الحويج: 48 سنة، أمية، الجديدة، عرش الربايع ، تم اللقاء معها يوم 2018/01/30 على الساعة 18:00 .

[3] إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص 69 .

[4] (ض.ق): 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 .

[5] عن الموردة نفسها .

[6] ينظر : كمال الدين حسن الباتانوني وحسن كمال الدين الباتانوني: المعارف التراثية في صحاري الوطن العربي، مطبعة بن دسمال، دبي، (د.ط) 2006، ص184 .

[7] ينظر: المرجع نفسه، ص183 .

للمرأة التي لم تنجب بسبب وجود ضعف في البويضات، كذلك أفادتنا المعالجة بأنها تعالج العقم بحوالي سبعين (70) عشبة ونبتة "الكركم والجلجلان، النعناع، الريحانة، شجرة مريم ..."[1]

2-1-2 العناصر النباتية و مستخلصاتها:

– **الحلبة:** تعتبر من الأعشاب الحولية التي تتبع فصيلة البقوليات، واستخدمت منذ القدم في علاج كثير من الأمراض، فإذا طبخت وشربت بالعسل حللت بقايا الدم المتخلف من النفاس والحيض[2]، وتستخدمها المرأة لعلاج آلام الرحم التي تعاني منها بسبب تجمع الهواء داخل الرحم والذي يسبب عقمها، كذلك تساعد على تطهير وتنظيف رحم المرأة من الدم الفاسد الذي يعيقها عن الإنجاب.[3]

– **البصل** :تستخدم المرأة البصل في كثير من الوصفات لعلاج عقمها، باعتباره منشطاً ويساعد على إخراج الهواء من الرحم، ويساهم في تسريح العروق وتصفيتها، كما يستخدم كتحاميل لمنع الإجهاض.[4]

– **الثوم:** من النباتات المعروفة ذات الشهرة الخاصة في أكثر بلاد العالم القديم ويعتقد في الثوم أنه مطهر وواقي من الأمراض في أغلب ثقافات العالم، فهو يفيد في علاج داء الكلب وتحمية الطلق عند المرأة أثناء الوضع، ويقوم بربر شمال إفريقيا بدق الثوم وعجنه وإضافته إلى عجين الخبز لعلاج أمراض البرد، وكمساعد على الإسراع بحمل المرأة[5]، وفي مجتمع البحث يعتقد أن المرأة إذا حملته بالزعفران والمسك حملت من وقتها.[6]

– **غبار الطلع** :شاع استخدام غبار الطلع كمنشط من خلال شرب يسمى ماء الطلع، وفي مجتمع البحث يستعمل غبار الطلع لعلاج الأمراض المتعلقة بالجهاز التناسلي والمشاكل الجنسية، وقد عرفت

[1] خديجة بوعفان: 65 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي 400 سكن، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/04/17 على الساعة 16:30 مساء .

[2] إبراهيم محمد الساسي العوامر: المرجع السابق، ص63 .

[3] أم الخير مومني: 70 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/04/09 على الساعة 15:00 .

[4] سعدية شاقور: 68 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/02/23 على الساعة 17:30 .

[5] ينظر: محمد الجوهري: علم الفولكلور، ج2، ص 546 .

[6] ينظر: أحمد بن الطاهر المنصوري: المرجع السابق، ص34 .

هذه المادة بقدرتها في علاج العقم[1]، حيث تتناوله المرأة في العديد من الوصفات خاصة مع العسل وبيض الدجاج.[2]

2-2 التداوي بالحيوان (أعضاؤه، فضلاته ...):

ثبت عن عادات المجتمع السوفي أنهم يعالجون بالحيوانات وبما تنتجه الحيوانات مثل الحليب ومشتقاته وكذا الفضلات الحيوانية في علاج بعض الأمراض التي تحدث أحيانا عندهم، فيخلطون الحليب مع العطن، ويستخدمون الشحوم الحيوانية للتعفن الجلدي، واعتقدوا في لحم الثعلب شفاء لأمراضهم...[3]

والمرأة في مجتمع البحث استعانت إلى جانب الأعشاب لعلاج عقمها بالحيوانات بمختلف أنماطها من حشرات وزواحف وحيوانات برية، كذلك نجدها قد استعانت في بعض الحالات بشيء من أعضائها أو فضلاتها أو منتوجاتها.

– **الشرشمان:** وهو نوع من الحيوانات الزاحفة ويتواجد بالمناطق الصحراوية ولذلك سمي بسمك الصحراء*، ويتوفر صيفا، ويعتقد أنه يفيد في علاج كثير من الأمراض وعلى رأسها العقم حيث تتناوله المرأة بعد تجفيفه وسحقه وإضافته للعسل، ويستخدم "الشرشمان" أيضا في الكشف عن قدرة الحمل عند المرأة "تقوم المرأة التي لم تنجب ببلع أنثى الشرشمان الصغيرة "الزغدودية" وعند طرحها إن كانت مشقوقة فإنها سوف تحمل وإن كانت غير مشقوقة فإنها لن تحمل أبدا.[4]

[1] الأزهر ضيف: المرجع السابق، ص 122 .

[2] مريم بن خليفة:64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، 2017/10/28 ، الساعة 18:00 .

[3] محمد بن عمارة: المرجع السابق، ص151 .

* يسمى في الكتب القديمة "السقنقور "، ويعتقد العامة أنه يفيد في علاج السحر .

[4] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، 2017/10/28، الساعة 18:00 .

– **الأرنب البري:** ويسمى عند العامة بأرنب الصحراء، ويعتقد في مجتمع البحث أن تجفيف معدة الأرنب وسحقها وأكلها يمكن المرأة من الإنجاب والتخلص من العقم[1]، وفي بعض المجتمعات يفيد دماغ الأرنب في حدوث الحمل.[2]

– **الأفعى:** يعتقد أن تجفيف الأفعى وطحنها للأكل يفيد في علاج العقم.[3]

– **القطة:** يعتقد أن تجفيف "مشيمة القطة" بعد الولادة وسحقها لتأكلها المرأة العاقر يمكنها من الإنجاب.[4]

– **الإبل:** هناك اعتقاد شعبي أن بول الإبل ويسمى (العطن) يكتسي قيمة علاجية لكثير من الأمراض، فيعتقد أن تسخين بول الناقة مع التراب يخلص المرأة من تجمع الهواء المتواجد داخل الرحم الذي يعيقها على الإنجاب، بعد أن تجلس عليه[5]، ويعتقد أن أكل رئة الجمل تفيد في ثبوت الحمل.[6]

– **الدجاج:** هناك اعتقاد شعبي شائع بأن "بيض الدجاج العربي" يفيد في علاج عقم المرأة بعد أن تتناوله في كيفيات متعددة.[7]

– **الخروف:** يدخل شحم الخروف في بعض الوصفات العلاجية لعقم المرأة حيث يفيد في تليين رحم المرأة الجاف حيث تضع المرأة عشبة أم الجلاجل في شحم الخروف وتأخذها عن طريق المهبل، وتنزعها قبل النوم ستحمل في حينها[8]، كذلك تستخدم المرأة صوف الخروف في العديد من التحاميل التي تأخذها عن طريق المهبل بغرض الإنجاب .

---

[1] خليل رابحي: 55 سنة، معالج شعبي، أمي، الرقيبة ، تم اللقاء معه 2018/02/17 على الساعة 10:00 .

[2] محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، ج1، ص193 .

[3] خليل رابحي: 55 سنة، معالج شعبي، أمي، الرقيبة، تم اللقاء معه 2018/02/17 على الساعة 10:00 .

[4] فاطمة بن خليفة: 80 سنة، أمية، حي الشط، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/03/27 على الساعة 10:00 .

[5] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 .

[6] خديجة بوعفان: 65 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي 400 سكن، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/04/17 على الساعة 16:30 مساء .

[7] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 .

[8] ربيعة بوشمال: 61 سنة، أمية، حي الدشرة، أنسيغة، جامعة، تم اللقاء معها يوم 2017/11/4 على الساعة . 10:00.

– **العسل:** يدخل العسل في كثير من الوصفات العلاجية العشبية لعلاج عقم المرأة باعتباره مطهراً ومنشطاً.

– **البقر:** يفيد حليب البقرة البكر في علاج عقم المرأة بعد مزجه بالعسل الحر وشربه لمدة ثلاثة أيام.[1]

2-3 التداوي بالعناصر الطبيعية: كانت الكثير من العناصر المستمدة من البيئة الطبيعية علاجا لكثير من الأمراض، واستمدت المرأة من التراب والجبس والماء والملح علاجا لعقمها.

– **الماء:** من المعتقدات الشائعة لدى الشعوب أن للماء قدرة على الشفاء، وقد اعتقدت المرأة أن الماء يساهم في علاج عقمها، فاستخدمت المياه المقدسة كماء زمزم شربا واغتسالا، واستخدمت ماء المطر بمزجه مع الزعفران وشربه على الريق دون أن يعلم أحد بذلك.[2]

– **الحجارة:** تستخدم الحجارة بمختلف أنواعها لعلاج كثير من الأمراض، ومنها "التافزة" بعد تحويلها إلى جبس حيث تفيد في علاج الكسور وداء المفاصل، العقم...[3]، واستخدم الجبس كوسيلة لعلاج العقم عند المرأة التي تعاني ضعف وخمول في البويضات وعدم اعتدال في وضع الرحم.[4]

– **التربة:** استخدمت التربة في منطقة سوف كعلاج لأمراض المفاصل وهو ما يعرف عند العامة " التعريق " (تنطق القاف جيما مصرية)، ويساعد في معالجة المرأة التي تعاني من انتفاخ الرحم المسبب لعقمها بعد تسخينه والجلوس عليه وقد يضاف له بول الناقة أو ماء الحلبة بعد غليها.[5]

[1] أم الخير مومني : 70 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/04/09 على الساعة 15:00 .

[2] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00

[3] ينظر: الضيف الأزهر: المرجع السابق، ص 81، 82، 83.

[4] خيرة بن علي: 68 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي المجاهدين، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/01/25 على الساعة 16:00 .

[5] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00.

– **الملح:** يستخدم في الكثير من الوصفات العشبية التي تأخذها المرأة عن طريق المهبل، وتقول المعالجة "خديجة المشري" إن الملح يسهل الحمل لأنه يساعد في طرد الهواء من رحم المرأة ويساعد على فتح العروق وتسريحها.[1]

– **القمر:** لم نعثر على استخدام القمر في علاج عقم المرأة في مجتمع البحث، بينما كانت المرأة المتزوجة حديثا لدى بعض القبائل تقوم بالوقوف عارية في وعاء مملوء بماء تم تعريضه لضوء القمر حتى تتمكن من الحمل.[2]

2–4 التداوي بالممارسات اليدوية :

– الحجامة :

الحجامة لغة مشتقة من الفعل حجم أي مصّ، كقولهم (حجم الوليد ثدي أمه)، وبذلك يمكن تعريف الحجامة بأنها مص أو تسريب كمية من الدم من موضع أو مواضع معينة بغرض العلاج أو الوقاية فهي "المعالجة بمص الدم أو تسريبه".

والحجامة هي إحدى الممارسات الطبية القديمة التي انتشر استعمالها في العديد من المجتمعات القديمة ومنها المجتمعات العربية.[3]

وقد اعتقد مجتمع البحث في الحجامة علاج كثير من الأمراض كالصداع والشقيقة وآلام المفاصل والعقم، وهي من اختصاص أشخاص معينين، تقول المعالجة بالحجامة "نجاة جراية" أنه يمكن علاج عقم المرأة بواسطة الحجامة، كونها تساعد في تنشيط البويضات وتساعد على إخراج الهواء المسبب لانتفاخ الرحم المسبب للعقم، كما أنها تخلص الجسم من الدم الملوث، وعن موضع مص الدم تقول أن المكان الشائع لمص الدم في كافة الأمراض بين الكتفين وهي ما تسمى حسب اعتقادها "مزبلة دم

[1] خديجة المشري: 90 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي العواشير، بلدية الرباح، 2018/04/01، 16:00 .

[2] خزعل الماجدي: أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ص124 .

[3] ضحى بنت محمود بابلي: الطب البديل، مكتبة الملك فهد، السعودية، 1428 هـ، ص133، 134 .

الإنسان"، أما الحجامة الخاصة بالعقم عند المرأة تقول بأن مص الدم يتم من أسفل البطن، وأسفل الظهر.[1]

وتميز لنا المعالجة (ل.ث) بين نوعين من الحجامة لعلاج عقم المرأة وتقول: «إذا كان العقم بسبب مس من الجن فإن موضع مص الدم (الحجامة) يكون في أعلى الظهر وبين الكتفين، أما إذا كان المرض عضوي بسبب ضعف البويضات أو خلل في المبيض كأن يكون متوقفا عن النشاط، فإن موضع مص الدم يتم في أسفل البطن فقط (منطقة تواجد رحم المرأة)».[2]

[1] نجاة جراية: 51 سنة، معالجة بالحجامة، البياضة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/26 على الساعة 17:00.

[2] (ل.ث): 50 سنة، معالجة بالحجامة، حي المجاهدين، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/01/31 على الساعة 15:30.

ثالثا: العلاج الغيبي :

3-1 العلاج السحري :

أشار "وليام هاولز" إلى أن أهم أنواع السحر هو سحر التنبؤ بالغيب والسحر الخاص بالتداوي والعلاج، ويرد "هاولز" تلك الأهمية إلى أن المرض والشك هما دائما أشد وأقسى أسباب القلق الشخصي والاجتماعي وهذا هو نفسه سبب وجود المشتغلين بقراءة الكف وورق اللعب والعرافين والمنجمين.[1]

ويرتبط العلاج السحري بمرحلة تمر بها المجتمعات والثقافات ويطلق عليها مرحلة ما قبل العلمية ويسود فيها نوع من الطب الشعبي الاجتماعي الذي تعتمد طرقه وأساليبه العلاجية على ممارسات السحر والشعوذة والغيبيات مما أدى إلى ظهور مسميات محلية مثل الشامان أو الطبيب الساحر والمعالجين الروحانيين وقارئ البخت والكف وغيرهم من الدجالين وأصحاب المعرفة الطبية الشعبية[2] ويستخدم هذا النوع من الممارسة العلاجية السحر الأبيض الذي يحقق أهدافا عملية تحقق النفع وتتمثل أكثر صوره في التعاويذ والطلاسم والرقي.[3]

ويهدف السحر الطبي الوقائي إلى الوقاية من الأمراض قبل حصولها وأثناء حصولها عن طريق التعاويذ والرقى أو التمائم، وعن طريق التشخيص السحري الذي يرجع المرض إلى أسباب شيطانية فالمريض إنسان مؤمن بالآلهة والشياطين معا، ولذلك فهو يحمل استعدادا نفسيا للاعتقاد بأن الآلهة ستشفيه عن طريق تشخيص الشياطين التي تسبب الأمراض وطردها، وكان الساحر يستخدم كافة الآليات والوسائل، ومن ضمنها التعاويذ والتمائم والرقى ويستخدم الطقوس المناسبة لذلك، وتتلخص هذه الطقوس باستعمال ألوان رمزية معينة وطرد الشر بالقوة عن طريق عقد الحبال أو الخيوط ذات الألوان، واستخدام الدوائر والأرقام وإظهار القوى الجاذبة أو الدافعة لعناصر معينة والتطهير بالماء

[1] سامية حسن الساعاتي: السحر والمجتمع، دار النهضة، بيروت، ط2، 1983م، ص106 .

[2] محمد عباس إبراهيم: المرجع السابق، ص182 .

[3] سامية حسن الساعاتي: المرجع السابق، ص90 .

وإضرام النيران ...وكانت هناك أنواع من التمائم، وأنواع من الطقوس المرتبطة بها فكان بعضها يبدأ بدعاء الآلهة «يصف الكرب الذي يعانيه الآثم وأمله في الغفران وكان يرش على المريض ماءاً مقدساً وتلقى قطع من اللحم حتى يمسك بها الشيطان فيفك قبضته على جسم المريض».[1]

ويعتمد العلاج الدوائي السحري في المبالغة في إعداد المواد التي يصنع منها الدواء،كما تعتمد على عدة أشياء كعظام الطير الأزرق، وكبد ثور مبقع ...وشكلت العقاقير ذات المنشأ الحيواني أكثر الأدوية السحرية لما فيها جنوح نحو تفسير خرافي طوطمي...[2]

وقد اشتملت الممارسات السحرية التي لجأت إليها المرأة في مجتمع البحث لعلاج العقم من خلال الجمع الميداني، على الألوان والعقد وطرد الأرواح بالماء، وبيض الدجاج والديك الأسود ....

3-1-1 طقوس العلاج السحري :

أ- الفوهو (العلاج بالبديل): وهو التضحية ببديل حيواني أو رمزي عوضا عن المريض، وإرساله إلى العالم الأسفل أو ما يدل عليه، أو لإيهام الشياطين الممسكة بالمريض بأن المريض قد مات وعليها أن تغادره، أو لإشعارها بأن هناك بديلا عنه قد أرسل للعالم الأسفل وعليها أن تتركه وتمسك بهذا البديل وتعاقبه، وقد كانت فكرة البديل استمرارا لفكرة الأضاحي البشرية الموغلة في القدم، وهي تذكرنا بقصة النبي إبراهيم وابنه إسماعيل والتضحية بكبش بدلا من اسماعيل وغالبا ما يكون البديل في هذا الطقس حيوانا (جديا في الغالب) وقد يكون تمثالا أو عصا ...ومهما يكون البديل فإنه يعامل معاملة الميت في الأسفل وغالبا ما يجري الطقس في الصحراء كرمز للعالم السفلي.[3]

ب- التكفير: ومفهومه أكثر عمومية من (الفوهو)، فهو يتضمن التضحية بشيء من أجل انقاذ المريض، وقد يكون هذا الشيء خروفا أو جديا أو أرغفة من العجين تشبه شكل المريض وترش بالماء

[1] ينظر: خزعل الماجدي: بخور الآلهة، ص218- 220 .
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 234- 236 .
[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 230، 231 .

وتعزّم، أو خيوطا من الصوف الأسود والأبيض توضع على رأس الرجل المريض وقدمه ثم تلقى في البرية[1].

ج- التطهير: وهو إحدى طقوس الشفاء الأساسية، ويشمل تطهير جسد المريض أو بيئته، وكانت عملية التطهير تجري من خلال استعمال الماء والزيت أو الدخان أو نصب التماثيل والدمى.[2]

3-1-2 وسائل العلاج السحري: تتم الممارسة العلاجية السحرية باستخدام عدة وسائل وحمائل سحرية منها:

أ- الأحجبة :جمع حجاب وقد اشتهرت بها كثير من المجتمعات، والعادة أن تكون بحبر أحمر، أو أخضر ثم تطوى الورقة وتوضع في جلد أحمر، وغالبا ما تعلق تحت الثياب، وقد يتعمّد بعض الناس أن يكتبها بنجاسته حفاظا من العفاريت ويقولون إن الجان أسرع في إنجاز الأغراض من غيرهم[3]، وقد يكتب فيها معلم الصبية آيات قرآنية يعلقها الشخص لحجب المرض أو الحسد[4]، وللأحجبة أغراض مختلفة منها لتحقيق بعض المطالب أو منع الحسد ومنها العلاجية كعلاج الصرع والنزيف...[5]

ب- التعويذة: وهي من الوسائل التي تستخدم في علاج الأمراض لا سيما تلك التي تسببها القوى الشريرة من الأرواح الشريرة وهي الصيغة اللفظية التي يتلوها سادن السحر عند القيام بخدمته[6]، ويؤمر الشخص الذي تعمل التعويذة لصالحه بأن يضمنها في مكان معين[7]، ونجد من التعويذات السحرية التي استخدمت لأغراض طبية "أهرب يا عفريت داء الكلب من حامل الحجاب".[8]

---

[1] خزعل الماجدي: بخور الآلهة ، ص233 .

[2] المرجع نفسه، ص233 .

[3] ينظر: سامية حسن الساعاتي: المرجع السابق، ص81 .

[4] ينظر: محمد عيلان: المرجع السابق، ص182 .

[5] ينظر: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع: التراث والتغير الاجتماعي، الكتاب الثاني، ط1، 2002، ص65 .

[6] ينظر: أسامة عدنان يحي: المرجع السابق، ص223 .

[7] ينظر: سامية حسن الساعاتي: المرجع السابق، ص81 .

[8] جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: إمام عبد الفتاح، مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، 1993، ص107.

3-1-3 وسائط العلاج السحري: يستعين المعالج في الممارسات العلاجية السحرية بعدة وسائط:

أ- الماء : تعكس الممارسات العلاجية المرتبطة بالماء من حيث الكثرة والتنوع والانتشار مدى الحرص الشعبي على استخدام الماء في كثير من أشكال العلاج الشعبي[1]، فيستخدم الماء المعوذ في العلاج السحري برش المريض أو رش الأماكن المحيطة به، أو شربه أو الاغتسال به، بالماء بمختلف أشكاله.[2]

ب – الملح : اتخذ الملح رمزا مقدسا في العصور الأولى باعتباره طعاماً للإله بما يمثله لهم من القدرة على الفعل، بما يبرز من القيمة النفعية على المستوى الوظيفي بما يؤديه من دور مهم في حياة الانسان ولارتباط الانسان بالإله عن طريق الملح في تلك الأزمنة جعله يستخدم الملح في إزالة السحر، والعلاج من الأمراض التي لم يجد لها سبيلا إلى المعرفة العقلية في هذا الوقت، وخاطب الملح بوصفه طعام الآلهة التي يخشاها ويقدّسها : «أيها الملح يا من خلقت في مكان نظيف ... طعامك للإله جعلك (إنليل) ... بدونك لا تمد مائدة في (إيكور) ... بدونك لا ينشق البخور إله .... أنا فلان ابن فلان ... وقعت أسيرا للسحر وقعت محموما في أحابيله ... أيها الملح حل عني العقدة ... أرفع السحر عني وكخالقي ... أرفع المجد والتسبيح لك »[3]

وقد استخدم الملح في مجتمع البحث في العديد من ممارسات العلاج السحري سواء برشه بعد مزجه بالماء أو تبخيره ...ونجد في مجتمع البحث بعض الممارسات العلاجية السحرية التي نلمس فيها مخاطبة الملح للتخلص من العين الحاسدة:

ملـــح الـــــذِّكَر في عين من نِكَـــر
شـِـوانا الله بِشويـــه نَجِّينا منها دُكْهَا فيه
عين الحَسُود فيها بعرة وعُود حَاشَى القْعُود[4]

[1] ينظر: عبد الحكيم خليل سيد أحمد: دراسات في المعتقدات الشعبية، مكتبة الدراسات الشعبية، مصر، ط1، 2013، ص122 .
[2] ينظر: حكمت بشير الأسود ، قداسة الماء ورموزه في حضارة بلاد الرافدين، مجلة سومر، WWW.abualsoof.com
[3] عبد الحكيم خليل سيد أحمد: دراسات في المعتقدات الشعبية، ص67 .
[4] ينظر: هنية عوينات: المرجع السابق، ص 107.

ج- الرصاص : تستخدم مادة الرصاص في العلاج السحري، وقد يشير الرصاص إلى وهن المريض وضعفه نتيجة إصابته بالحسد، وقد تشير إلى ضعف عملية الحسد الذي سرعان ما أن يذاب الرصاص ويسكب فوق رأس المريض داخل وعاء معدني ما يفك الحسد أو السحر الذي أصيب به المريض المحسود أو المسحور.

ولصب الرصاص تقنية خاصة ،حيث يذوب على النار بواسطة ملعقة، يسكب بعدها في وعاء من الألمنيوم يحتوي على الماء موضوع فوق رأس المصاب فيترسم الأثر بشكل معين، ويسعى المحسود لتشبيهه بصاحب العين وتتكرر العملية ثلاث مرات حتى يزول الأثر.[1]

وتستخدم مادة الرصاص في مجتمع البحث للغرض نفسه وتسمى الممارسة "بضرب الخفيف" حيث تلجأ إليها المعالجة لكشف العين الحاسدة أو العمل السحري المسبب للمرض ومنها عقم المرأة[2] وهناك اعتقاد شعبي أن فاطمة بنت الرسول استخدمت "الخفيف" لكشف وفك السحر، فانفجر خلخالها وتبين أن السحر موجود هناك.[3]

د- البخور: كان إحراق البخور طقسا يوميا يجرى في المعابد، وقد لازم احراق البخور التعزيم وذلك لاعتقادهم أن مادة البخور وخاصة الحرمل لها القدرة على طرد الأرواح الشريرة، لأن مادة البخور عندما تملأ المكان تحاصر الأرواح وتجعلها تخرج من الأبواب.[4]

وقد رافق البخور ممارسات العلاج السحري التي تلجأ إليها المرأة العاقر في مجتمع البحث خاصة الحرمل والملح و... وأشهر الأبخرة التي استعملت لهذا الغرض "بخور سبعة وعشرين" أو كما يسمى "طلوق أشفاع"، وكلا التسميتان ارتبطتا بـ "صلاة ليلة القدر" و "صلاة التراويح"، حيث يوضع

[1] ينظر: عبد الحكيم خليل سيد أحمد: دراسات في المعتقدات الشعبية، ص60 .
[2] خضرة شنيبة: 37 سنة، معالجة شعبية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/25 على الساعة 10:00 .
[3] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 .
[4] خزعل الماجدي: متون سومر، ص315 .

في صرة أما الإمام والمصلين عند أداء صلاة التراويح في ليلة القدر، وتردد المرأة عند تبخيره" طلوق أشفاع يطيّر كل أوجاع" ،"بخور سبعة وعشرين يطيّر العين"، وقد تحمله المرأة كتميمة لحمايتها.[1]

3-2 العلاج السحري الديني:

نجد من الممارسات العلاجية التي تلجأ إليها المرأة بغرض الإنجاب، ما يمتزج فيه العلاج السحري بالديني، والتي تستدعي فيها القوى الغيبية الآلهة وأرواح الأولياء: زيارة الأضرحة والتبرك بالأولياء الصالحين، الحضرة الشعبية .

3-2-1 زيارة أضرحة الأولياء الصالحين :

كان الانسان البدائي في بداية حياته على الأرض ملتصقا بالطبيعة لبساطة حياته وتفكيره، فهو بحاجة إلى الواسطة أو الوسيلة التي تفصل بينه وبين تلك الظواهر الطبيعية وكان لا بد من اختراع الوسطاء سواء الخياليين منهم أو الحقيقيين فوجد الأولياء الذين كان يعتبرهم كواسطة بين الإنسان والله أو القوى الخفية الأخرى كالأرواح وغيرهم .

من هنا اصطنع الإنسان البدائي لنفسه دينا أو فلسفة يزيل عنه مخاوف الإحساس بالفناء وتحقق رغبته إلى الخلود، ومؤدى هذا الدين أو تلك الفلسفة هو الاعتقاد في أن روح الميت تحيا بعد خروجها من جسده في حياة متنقلة بين مأواها السماوي والعالم الأرضي، وأثرت فكرة أرواح الموتى في حياة الإنسان البدائي وتسلطت على تفكيره وراح يطلب منها العون في حالات كثيرة: زواج، ولادة وحتى في معاشاتهم وأرزاقهم[2]، واعتقدوا فيها الشفاء فزار المرضى المعابد طلبا للعلاج،[3] ومن هنا كان الشكل الأول من أشكال زيارة الأضرحة في المجتمعات الإنسانية.[4]

[1] زينب بن نصيب: 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 .

[2] ينظر: عبد الرزاق صالح محمود: زيارة الأضرحة والمراقد – دراسة اجتماعية طبية –، مجلة دراسات موصلية، العدد 19، 2008، ص125 .

[3] ينظر: أسامة عدنان يحي: المرجع السابق، ص 216 .

[4] عبد الرزاق صالح محمود : المرجع السابق، ص125 .

وانتشرت أضرحة الأولياء في معظم أنحاء منطقة سوف، حيث لا تكاد تخلوا قرية من ولي أو شيخ يعتقد ببركته وقدرته على طرد الجان ومنح الشفاء كضريح سيدي بن دويم لقبيلة الربايع، وضريح أولاد عطوة لقبيلة الفرجان، وضريح سيدي علي بن خزان بالدبيلة.[1]

وأشهر الأمراض التي من أجلها يذهب الناس إلى أضرحة الأولياء التماسا للشفاء الحمى بأنواعها والعقم، والأمراض الجلدية، والعصبية والنفسية و...، ومعروف أن هناك نوع من التخصص بين الأولياء في علاج هذه الأمراض.[2]

وقد اعتقدت المرأة العاقر في مجتمع البحث في زيارة الأضرحة والاستنجاد بالأولياء علاجا لعقمها، واعتقدت في كرامتهم الفعّالة في قدرتهم على منحها الشفاء والإنجاب، وقد تكون الزيارة موسمية (سنوية) وتستغلها المرأة فتنذر النذور وتطلب الشفاء، وقد تكون الزيارة فردية تقوم بها المرأة بهدف طلب الشفاء، وتتخذ الطريقة العلاجية المرتبطة بزيارة الأضرحة، أشكالا وطقوسا متعددة.

أ- طقوس الوقوف أمام الولي والنطق بالتعاويذ والنذور:

تتميز الأشياء الموجودة في الضريح ببركة الولي، ولذلك يحاول الزائر المريض أن يأخذ من هذه الأشياء معه إلى البيت للانتفاع بها في العلاج، فقد يصحب معه من ثمار الأشجار القائمة في الضريح أو الأحجار والمياه والتراب و...ومن الوسائل الفعالة للحصول على بركة الولي الطواف حول المقام، عددا وترا من الدورات سبعة أو ثلاثة على نحو ما هو شائع.[3]

تقول الراوية "فريحة الحويج" عن ذهاب المرأة التي تأخر حملها إلى ضريح "سيدي علي بن خزان" للتبرك به وطلب الشفاء «يجب أن تنوي المرأة نية الشفاء عند الذهاب، وأثناء الدخول لمكان الضريح تنزع المرأة حذاءها، وتضع ما تيسر من نقود أو حنة أو العنبر عند الضريح، وتطوف بالضريح سبعة أشواط وتقول عند الدعاء "يا سيدي علي بن خزان، يا ولايا الله والصالحين حل حزامي وعاوني،

[1] ينظر: أحمد زغب: الفولكلور – النظرية – المنهج –التطبيق، ص 206، ص 212 .
[2] ينظر: محمد الجوهري: علم الفولكلور، ج2، ص 90 .
[3] ينظر: المرجع نفسه، ص89 .

وكان ناب عني ربي وجبت نذبح جدي " ثم تقوم بحل حزامها ونفضه، وعند مغادرة الضريح تأخذ قليلا من تراب الضريح لترميه في بيتها أو تدسه بين الثياب، وهناك من تضع تراب الضريح في ماء الوضوء وتتوضأ به، وقد تأخذ المرأة قطعة من غطاء الضريح وتعلقها في ثيابها أو تربط به معصمها ليمنحها بركة الإنجاب».[1]

وقد يشيع عن أحد الأولياء بكرامته في القدرة على شفاء العاقر، فنجد كثيرا من النساء اللاتي تأخر حملهن في مجتمع البحث قد يذهبن للتبرك بأضرحة أولياء خارج منطقة سوف، في اعتقادهم أن ذلك الولي الصالح له القدرة على الشفاء من العقم، ومن بين الأضرحة التي اشتهرت في الشفاء من العقم "ضريح سيدي بالخير" المتواجد بولاية ورقلة تقول الراوية عن طقوس الدعاء والوقوف عند ضريح "سيدي بالخير" «ياسيدي بالخير نطلبك باش تحل حزامي، كان ناب عني ربي وجبت ولد نسميه "بالخير" ونذبحلك جدي، مع الطواف حول الضريح سبع مرات».[2]

ب– أنواع النذور: تختلف وتتنوع النذور التي تنذرها المرأة عند زيارة الضريح لطلب الإنجاب :

- الطعام: النذر بالطعام قد يكون "كسكس باللحم"، "دشيشة* "، أو "عصيدة" خاصة عند عرش "الدوايمة".
- الذبائح: النذر بالذبح ضروري كما تقول الراوية فريحة الحويج "لازم يسيل الدم" وتختلف الذبائح بحسب القدرة فقد يكون النذر بذبح ناقة أو خروف أو جدي وهناك من ينذر بذبح "ديك".
- قطعة قماش خضراء لكسوة الضريح .
- شموع .

[1] فريحة الحويج: 48 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/30 على الساعة 18:00 .

[2] خديجة بن خليفة: 61 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 .

* أكلة شعبية عرفت بها منطقة سوف وبعض المناطق المجاورة ورقلة، بسكرة، تعتمد أساسا على القمح أو الشعير المطحونين وتضاف لها بعض البقول الجافة حمص، فول .

- بخور، حنة، نقود.[1]

- وقد يكون النذر الذي تنذره المرأة هو إطلاق اسم الولي الصالح على "المولود" - في حال ما إذا أنجبت – وتقول الراوية أنها أطلقت اسم الولي "سيدي بالخير" على ابنها عندما أنجبت.[2]

كان المرض والعقم قديما لعنات الآلهة لا تقوم بنفسها بإحداث المرض، بل تأمر به، وتسخر كائنات العالم الأسفل للقيام به، وكان الشفاء كذلك يحدث بأمر يصدر عن الآلهة العليا الكبيرة وكان الكائن والمعزم يقوم بدور الوساطة بين المريض والآلهة ويتعهد نيابة عن المريض أنه سيقوم بواجباته نحو الآلهة كما يجب، ويتم ذلك بالصلاة والقرابين والأدعية في المعابد .

ولما كان المرض غضبا إلهيا يحل على الإنسان بسبب خطأ ارتكبه أو تقصير في أداء واجباته كان عليه أن يبدأ : بتطهير نفسه بالاغتسال والصلاة والأدعية[3] والتكفير بتقديم الأضاحي من القرابين بأنواعها الحيواني والنباتي والنذور كطقس غسل فم الإله وكسوته، فقد كان تمثال الإله يغسل، ثم يخلع الثياب التي ارتداها في الليلة السابقة ويلبس ثيابا جديدة[4] وطرد الأرواح الشريرة باستخدام الشموع والتبخير وتلاوة التعاويذ وعمل التمائم واستخدام التماثيل والدمى في البيت والمعبد لاسترضاء الأرواح الطيبة، وقد كان التطهير يمارس بواسطة كهنة مختصين في دور العبادة.[5]

3-2-2 الحضرة الشعبية :وهي من الاحتفالات الطقوسية الشعبية الشائعة في الكثير من الأوساط الشعبية وهي في البلدان العربية عامة والجزائرية خاصة، ولها مسميات عدة "الزردة"، "الوعدة" أو "الحضرة" وسميت بالحضرة لحضور الأولياء الصالحين عند استغاثة أتباعهم الأوفياء بعد وفاتهم بقرون، وترتبط الحضرة ارتباطا وثيقا بالمقدس من جهة وبالدنيوي الاستشفائي من جهة أخرى، كما تتشكل هذه الأخيرة من جمع غفير من الناس لا يأتون للفرجة فقط بل للتبرك وأداء الطقوس التعبدية ويعبرون

[1] فريحة الحويج: 48 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/30 على الساعة 18:00 .

[2] خديجة بن خليفة: 61 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 .

[3] ينظر: خزعل الماجدي: بخور الآلهة ، ص 143 ، 144 ، 233 .

[4] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص 30 .

[5] ينظر: خزعل الماجدي: بخور الآلهة، ص 144- 146 .

فيها عن حبهم للولي الصالح وتعلقهم بالكرامة من حيث هي علامة عن الإلهي، ويعتقدون أن حضورهم يجلب لهم البركة وسعة الرزق، وينتظر الناس موعد الحضرة بشوق شديد والتي تقام مرة واحدة من كل سنة وذلك لأخذ مرضاهم إليه بغية الاستشفاء وخاصة الذين يعانون العقم[1]، فكثيرا ما تستغل المرأة العاقر الحضرة التي تقام سنويا لعلاج عقمها، وقد حدثنا الراوي "شوشاني عبيدي عمر" عن الحضرة التي تقام خلال الزيارة السنوية "لضريح أولاد جار الله " المتواجد بمقبرة أولاد أحمد بالوادي، والتي تقام في نصف الخريف من كل سنة فيقول «خلال الزيارة تذبح الذبائح وتقام الحضرة، حيث يتم فيها إطلاق بخور الجاوي، والضرب على البندير*، وإذا تهوّل أحد الحضور وأصيب بالصرع، تسأله المرأة العاقر عن سبب عقمها وما عليها أن تفعل للإنجاب، ومن ثمة تجده يكشف لها عن سبب العقم وغالبا ما يكون السبب يعود إلى عمل سحري (ربط) أو حسد، ومن ثمة تجده يطلب منها ما عليه أن تفعل للتخلص من العقم»[2]، وقد يكشف لها أن سبب عقمها أنها نذرت نذرا لأحد الأولياء الصالحين ولم تنفذه.[3]

وتبدأ الحضرة في الغالب بالقصائد التي تمدح الرسول (ص) وكذلك قصائد خاصة بمدح الأولياء والمعنى الشامل لتلك القصائد يشير الاستنجاد بالشيخ الولي الصالح في حالات العسر، وتطلب منه للمساعدة في حالات المرض.

وتذكر قصائد المديح الديني كرامات الشيخ وقدراته الخارقة في نجدة المستغيثين وشفاء المريض وابصار الأعمى واسماع الأصم، ومن أشهر تلك القصائد قصيدة الشيخ "بالناوي الفرجاني"[4]

ونجد من المدائح تلك التي تصف ما يحدث أثناء الحضرة :

هيــا يــا لعمى قليل لمعمر بين هياييل

[1] ينظر: أحمد زغب: الفولكلور– النظرية – المنهج –التطبيق، ص177، 178 .

* الطبل .

[2] شوشاني عبيدي عمر: 60 سنة، راعي إبل، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 11:00

[3] خديجة بن خليفة: 61 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 .

[4] ينظر: هنية عوينات: المرجع السابق، ص 91 .

زقــزاوي حـــــــر على ضرب البندير

جويـــه حجـــــــر وطلقوه دار عضابيل

موشي نعطيك انعات وشقيت فيه رتمات

هيا يا لعمى قليـــل لمعمر بين هياييل [1]

وحضور البخور في الحضرة يعتبر "شكلا تواصليا مع الكائنات القدسية[2]، ولطرد الأرواح الشريرة، وكذلك الضرب على " البندير " فهو يشبه " طقس دق الطبول " في الطقوس الكنعانية التي كانت تمارس لغاية تطهيرية ولطرد الأرواح الشريرة.[3]

وتعتبر الحضرة الشعبية إحدى السبل التي ترى فيها المرأة علاجا لعقمها، من خلال "التوبة بحزامها" حيث« تقيم المرأة العاقر حضرة في بيتها لأحد الأولياء الصالحين، وأثناء المديح تعطي حزامها للحضّارة "للتوبة" به حتى تتخلص من العقم، وتنذر خلال الحضرة "إذا تحل حزامها" وأنجبت تقيم حضرة في فترة النفاس أو عند ختان المولود إذا كان ذكرا »[4]، فهي تعتقد في "التوبة*" بحزامها وسط إطلاق البخور والضرب على البندير والاستنجاد بالأولياء الصالحين ستتخلص من العقم بفك عقدة حزامها التي قد يكون سببها سحر أو حسد.

[1] عائشة بنت الصيفي: 71 سنة، أمية، الجديدة الغربية، تم اللقاء معها يوم 2018/3/4 على الساعة 18:30.

[2] ينظر: نور الدين الزاهي: المقدس الإسلامي، ص 57 – 59 .

[3] خزعل الماجدي: المعتقدات الكنعانية، ص260 .

[4] مريم عتير: 63 سنة، أمية، الرقيبة، تم اللقاء معها يوم 2018/04/01 على الساعة 18:00 .

* وهو المصطلح الذي يطلق عند العامة على حالة الهياج الشديد والدخول في نوبة من الصرع .

رابعـا : أسباب وحالات عقم المرأة وطرق علاجها

4-1 الأسباب الطبيعية (العضوية):

قد يكون سبب العقم نتيجة خلل جسدي أو وظيفي أو بإصابة الوظيفة التكاثرية التي تقلل من حظوظ الإنجاب أو تنفيها كلية[1]، وسميت بالطبيعية لأنه يمكن معرفة طبيعة وسبب العقم من خلال فحص المعالجة بالأعشاب وغالبا ما تكون امرأة اكتسبت الخبرة من خلال التجربة أو توارثتها من الجدات، وتقول المعالجة (ق.ض) أن هناك عدة حالات لعقم المرأة يمكن معرفتها من خلال فحص المرأة منها حالة العقم التي يستحيل فيها الإنجاب اطلاقا وتقول المعالجة عن هذه الحالة «إذا كان حجم الولاّدة عند المرأة في شكل وحجم الثؤلولة وملتصقة في سطح الرحم فإنها عقيم ولا يمكن أن تنجب ».[2]

وإذا كانت المرأة تعاني من انقطاع تام للعادة الشهرية فإنها عقيما عقما أبديا ويستحيل أن تنجب وذلك لتوقف الغدد المسؤولة عن إفرازها عن العمل والنشاط.[3]

وتقول المعالجة (ق.ض) بأن هناك حالات يستحيل فيها العلاج بالأعشاب وإنما تحتاج فيها المرأة إلى عملية جراحية وهي الحالة التي تكون فيها " الولاّدة" مسدودة بغشاء أو زائدة لحمية .

أما الحالات التي يتم معالجتها عن طريق الأعشاب الطبية فهي كثيرة، وقد قسّمناها إلى صنفين :

4-1-1 حالات العقم الأولي : وفي هذا الصنف حالات وأسباب كثيرة، فقد يكون عدم حمل المرأة بسبب الهواء المتجمع في داخل الرحم، وقد يكون بسبب الجراثيم والالتهابات أوتكيس المبايض أو بسبب اضطراب في الدورة الشهرية كعدم انتظامها أو تغير لونها إلى السّواد...[4]

---

[1] الطاهر براهمي: المرجع السابق، ص 72 .

[2] (ض.ق): 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00.

[3] الرايسة بيطة: 56 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي الجبل، جامعة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/20 على الساعة 9:30 .

[4] خديجة بوعفان: 65 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي 400 سكن، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/04/17 على الساعة 16:30 مساء .

أ- حالة انتفاخ الرحم: قد يكون سبب عدم إنجاب المرأة هو تجمع الهواء في الرحم والذي يؤدي إلى انتفاخه وتسميها المعالجات بـ "المستهوية"، وتقول المعالجة "بوعفان خديجة" أن تجمع الهواء في رحم المرأة يمنع دخول ماء الرجل لتلقيح البويضة ومن ثمة لا يحدث الحمل، وتقول بأنها أكثر حالات العقم انتشارا عند النساء[1]، وتقول المعالجة (ق.ض) «إذا تبين لي أن سبب عدم القدرة على الحمل هو وجود هواء داخل الرحم أمزج خليطا من الأعشاب بعد سحقها: نعناع، زعتر، الشيح والبصل الأحمر، الدهان والملح، وتجمع في قطعة قماش وأضعها في مهبل المرأة بعد انتهاء فترة الحيض مباشرة وأعيد لها نفس العملية في اليوم الثاني، ومن ثمة تتخلص من تجمع الهواء بعد خروجه في صورة ماء، ومن ثمة تحمل بإذن الله».[2]

وتقول المعالجة "بوعفان خديجة" «قد يخرج من رحم المرأة ماء ذو رائحة كريهة تشبه رائحة "ماء الحوت" وفي هذه الحالة أدرك أن المرأة تعاني من مرض الروماتيزم، أما إن كانت رائحة الماء عادية فالسبب هو تجمع الهواء بسبب تعرضها للبرد».[3]

وتقول المعالجة "الرايسة" أن أغلب الوصفات لتخليص المرأة من تجمع الهواء داخل الرحم هي عبارة عن تحاميل تأخذها عن طريق المهبل من ذلك «طحن عشبة " الشيح والنقد والكمون الأبيض والخزامة وجمعها في قطعة قماش وتوضع في المهبل دون أن تتعرض للهواء لأن " عشبة الخزامة لها قدرة على جلب الهواء للجسم وهو ما يزيد في تجمع الهواء بدرجة أكبر في الرحم ».[4]

وللتخلص من انتفاخ الرحم بسبب تجمع الهواء، تغلي المرأة مقدار 3 كلغ من الحلبة في الماء، ثم تفرغها في إناء كبير لتجلس فيها فترة من الزمن، ثم تخلد إلى النوم دون أن تخرج أو تتعرض للهواء.[5]

[1] خديجة بوعفان: 65 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي 400 سكن، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/04/17 على الساعة 16:30 مساء .

[2] (ض.ق): 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 .

[3] خديجة بوعفان: 65 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي 400 سكن، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/04/17 على الساعة 16:30 مساء .

[4] الرايسة بيطة: 56 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي الجبل، جامعة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/20 على الساعة 9:30 .

[5] أم الخير مومني: 70 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/04/09 على الساعة 15:00 .

ومن الممارسات العلاجية التي تلجأ إليها المرأة للتخلص من تجمع الهواء في الرحم تعريض الجسم للبخار «تحضر مقدار كيلو من القارص –الليمون– وتغرز فيه حوالي 100 غ قرنفل وتضعه في مقدار لتر من الماء، وتقوم بغليه ثم تعرض جسمها وخاصة أعضاءها التناسلية للبخار وتكرر العملية ثلاث مرات ويجب أن تنام في نفس الغرفة التي جرت فيها العملية، وفي صباح الغد تضع الدهان في مهبلها، وتمارس العملية في اليوم الأخير من الحيض»[1] وقد ذكرت "نضال فخري طه" ما يسمى "بالهبوة" لعلاج التهابات الرحم وطرد البرودة وهي عبارة عن تعريض جسم المرأة وخاصة الأعضاء التناسلية إلى البخار الخاص أو إلى بخار ناتج عن غلي أنواع معينة من النباتات.[2]

كذلك ذكرت نضال فخري طه عدة تحاميل لطرد البرودة من رحم المرأة وهو ما سمته بـ "طقس بيت النار"، ووصف المصريون لعلاج التهابات الرحم أنواعا مختلفة من اللبوس كما وصفوا الحقن المهبلية بعصير بعض النباتات كالثوم لعلاج انتفاخ عنق الرحم، أما المرض الذي سموه تآكل الرحم قد يكون – السرطان – فكان علاجه موضعيا، حيث وجدت آلات تشبه القرن المجوف على شكل منقرة أو منقرة الطير، وقيل أنها كانت تستعمل للحقن المهبلية والشرجية.[3]

ب– ضعف أو خمول البويضات : قد يكون سبب عقم المرأة وجود ضعف أو توقف تام في المبيض ومن ثمة تعاني المرأة من ضعف في الخصوبة وعدم الإنجاب، وتقول المعالجة "خيرة بن علي" أن عشبة "المردقوش " لها فعالية كبيرة في تنشيط بويضات المرأة «بعد 10 أيام من انتهاء فترة الحيض تقوم المرأة بغلي "المردقوش" في الماء وتشرب ثلاث كؤوس في اليوم الواحد، على أن تباعد بين فترات شربه بحوالي اثنتي عشر (12) ساعة، لأن تقريب الجرعات قد يحدث نزيفاً للمرأة»[4]، ومن الممارسات العلاجية التي تساهم في تنشيط المبيض عند المرأة "الحجامة".[5]

---

[1] (رشيدة.ر): 60 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/03/08 على الساعة 17:00 مساء .

[2] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص 26 .

[3] المرجع نفسه، ص27 .

[4] خيرة بن علي: 68 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي المجاهدين، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/01/25 على الساعة 16:00 .

[5] (ل .ث): 51 سنة، حي المجاهدين، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/01/31 على الساعة 15:30 .

ج- اعوجاج الولاّدة: قد يكون سبب عدم الإنجاب لدى المرأة وجود خلل في وضع الرحم، تقول المعالجة (ق.ض) «عندما أتفحص المرأة لمعرفة سبب العقم، قد يتبين أن هناك انحراف في وضع الولاّدة فقد تكون "نازلة" إلى الأسفل، وقد تكون منحرفة إلى أحد الأطراف، والحلبة هي أحسن وسيلة لتصحيح وضع الولاّدة بعد وضعها تحت الولاّدة في شكل "صرة"[1]، وتقول المعالجة "خديجة المشري" لتصحيح وضع "الولاّدة" «تطحن الحلبة، الطين، الزعتر، الإكليل، النعناع، البصل، الملح ويضاف لها الدهان إذا كانت المرأة تعاني من جفاف الرحم، وتقسم إلى ثلاث مجموعات لوضع كل واحدة في قطعة قماش "صرة" وتوضع حول الولادة لمدة ثلاثة أيام، حتى تأخذ الوضع الصحيح الذي يمكنها من الإنجاب»[2]، وقد تكون "الولاّدة" مقلوبة ولتصحيح وضعها تحضر المعالجة بيض "الدجاج العربي" وتضيف له الخزامة والإكليل والدهان وتضعه في مهبل المرأة، وهو ما يؤدي بها إلى أخذ وضعها الطبيعي الذي يمكن المرأة من الحمل.[3]

وقد تحدثت نضال فخري طه عن انحراف "أم الولاد" وكيفية تصحيحها بما يسمى "طقس طبق الرحم"[4]، وهو شبيه بما تعالج به الكثير من المعالجات المرأة التي تعاني عدم الاعتدال في وضع الرحم، تقول المعالجة" خيرة بن علي" عن هذه الطريقة أنها تجرى بعد انتهاء فترة الحيض مباشرة فتحضر الشيح والكروية والبصل والملح وبعد سحقه يوضع في قطعة قماش لوضعها في مهبل المرأة، ثم تحضر مادة "الجبس" وتمزجها بالماء حتى يصبح كالعجين ويوضع على ظهر المرأة من الأسفل بعد دهنه بالزيت، ولا يوضع "الجبس" فوق الظهر مباشرة وإنما يوضع فوق قطعة قماش أو الصوف، وتبقى المرأة على تلك الحال مدة من الزمن لينزع بعدها "الجبس" ثم تقمط المرأة، وهو ما يساعد في تصحيح وضع الرحم، وتكرر العملية مدة ثلاث أيام متتالية.[5]

[1] (ض.ق): 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 .

[2] خديجة المشري: 90 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي العواشير، بلدية الرباح، 2018/04/01، 16:00 .

[3] سعيدة غندير مبروك:51 سنة، أمية، حي الحرية، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/10 على الساعة 10:30 .

[4] ينظر: نضال فخري طه: المرجع السابق، ص 24، 25 .

[5] خيرة بن علي: 68 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي المجاهدين، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/01/25 على الساعة 16:00 .

ولتصحيح وضع الرحم في مصر القديمة يثبت في المهبل ما يعرف "بالفوزجة" وهو قرص على هيئة كرة[1]، وقد اعتقد القدماء المصريون أن أعضاء الحوض عائمة متجولة في التجويف الباطني وقد ترتب على هذا الاعتقاد حرصهم على إعادة الرحم إلى مكانه الطبيعي ومساعدته، وقد وصفوا سقوط الرحم وعالجوه[2]، وقد كانت القابلة (ساب-آسي) أي العارف بأمور الرحم، هي التي ظلت منفردة بهذا الاختصاص، ثم شاركتها الآسية الطبيبة في العمل ولا شك في أن هذه التخصصات الدقيقة اتضحت أكثر ومورست في الفترة الآشورية، وقد أطلق البابليون على هذا النوع من الأمراض (الأمراض النسائية وأمراض الولادة).[3]

4-1-2 حالات العقم الثانوي :

أ- الإجهاض المتكرر: هناك حالات قد تحمل فيها المرأة، إلا أن حملها لن يستمر طويلا ويجهض الجنين، وفي كثير من الأحيان قد تجهض دون أن تعلم بحملها إلا بعد إجراء الفحص الطبي، وعن سبب تكرر الإجهاض عند المرأة تقول المعالجات أن سبب ذلك يعود لارتفاع درجة حرارة "رحم المرأة"، وللتخلص من ذلك عليها أن تقوم بنقع عشبة "توقفت" في الماء وتشرب منه باستمرار بعد تصفيته، في اعتقادهم أن هذه العشبة " تبرد الرحم " وتقي المرأة من الإجهاض.[4]

ومن الممارسات العلاجية التي يعتقد فيها وقاية المرأة من حدوث الإجهاض المتكرر «تتناول المرأة التي تعاني تكرر الإجهاض عشبة "الفيجل" بعد سحقها، وتقشر رأس بصل أحمر وتغرس فيه سبع حبات " قرنفل " وتحمله المرأة في مهبلها»[5]، وتقول المعالجة (ق.ض) «تحفر المرأة حفرة وتقوم بإشعال النار وترمي فيها عشبة "الإكليل" وتعرض أعضاءها التناسلية للدخان المتصاعد فإنها ستتخلص من الإجهاض».[6]

---

[1] ينظر: كريستيان ديروش نوبلكور: المرجع السابق، ص 319.

[2] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص 25 .

[3] خزعل الماجدي: بخور الآلهة، ص 163، 164 .

[4] (ض.ق): 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 .

[5] سعدية شاقور: 68 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/02/23 على الساعة 17:30 .

[6] (ض.ق): 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 .

ولثبوت الحمل تحضر المرأة رئة الجمل وتقوم بشيِّها قليلا وتضيف لها عشبة "توقفت" والعدس، وتأكلها يوميا ليثبت الحمل وتتخلص من الإجهاض.[1]

ب- خروج الولاّدة: قد تنجب المرأة وتتعرض عقب ولادتها لعدة أعراض تمنعها من الإنجاب مرة أخرى، ومن بين هاته الأعراض خروج الولاّدة عن مكانها والذي قد يؤدي إلى استئصالها في كثير من الأحيان، وقد أوجدت المعالجة الشعبية طريقة علاجية تعتقد فيها إنقاذ المرأة من عقم مفاجئ، وتشرح المعالجة عن كيفية علاج هذه الحالة، والتي تتم بطريقة صعبة وشاقة بالنسبة للمرأة والمعالجة في نفس الوقت «تحضر المعالجة الحلبة في ثلاث قطع قماشية، وتأخذ المرأة وضع الوقوف على الرأس بإمساكها من قبل امرأة أخرى، وتقوم المعالجة بإحاطة ما حضرته من الحلبة حول عنق الرحم ثم تقمط المرأة وتبقى واقفة على تلك الحال لمدة ساعتين تقريبا، ثم تمدّد في فراش على الأرض وتقدم لها وجبة ساخنة مع "القنطس" و"الدهان"، وتبقى ممدّدة، وتقوم المعالجة بقرص المرأة من اصبع الرجل فإن لم تشعر بذلك فإن "الولاّدة" لم تأخذ مكانها بعد، وإن شعرت بالقرص فإن "الولاّدة" قد بدأت تأخذ مكانها الطبيعي ومن ثمة تنزع المعالجة القماطة عن المرأة وتُبقي ما في مهبلها مدة ثلاثة أيام، وبعد نزعها تكرر العملية مرتين وبنفس الطريقة، وأثناء مرحلة العلاج تتجنب المرأة التعرض للهواء مع عدم القفز من مكان عالي، وعدم حمل الأشياء الثقيلة الوزن».[2]

وقد نجد من العقاقير التي تلجأ إليها المرأة للإنجاب ما تختلط فيها العقاقير بالطقوس السحرية، منها أن تجمع المرأة أربعين (40) بيضة من بيض "الدجاج العربي*" وتقوم بطهو البيضات بعد تعريضها للبخار، وتأكل كل يوم بيضة علي الريق بعد أن تضيف لها الذكّار "غبار الطلع" الذي

[1] خديجة بوعفان: 65 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي 400 سكن، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/04/17 على الساعة 16:30 مساء .

[2] (ض.ق): 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 .

* الدجاج البيتي، وهو الدجاج الذي يعيش ويُربى في البيوت .

يستخدم لتأبير النخيل، وزوجها نفس الشيء[1]، وهذا العقار من قبيل السحر التشابهي فالبيضة هي بويضة المرأة التي تنقصها النطفة المخصبة من الرجل، فيستعاض عليها بحبوب اللقاح من النخلة المذكر.

4-2 الأسباب الغيبية وطرق علاجها :

وهي التي لم يتوصل إلى معرفتها العضوية، وفي هذه الحالة كثيرا ما تنسب المرأة الأسباب التي تمنعها من الإنجاب إلى تدخل طرف خارجي كعمل سحري أو الإصابة بالعين أو مس الجان، ومن المعتقدات الشائعة أن الجان قادرون على الدخول في رحم المرأة ليأكلوا الجنين أو يحول دون وصول المني إلى الرحم، ويعتقدون أن يكون هذا بفعل انس استعمل السحر[2] ومن المعتقدات الشائعة في مجتمع البحث "الحمل الكاذب"، حيث تحمل المرأة ويأتيها المخاض في صورة طبيعية إلا أنها لا تلد طفلا، وإنما يخرج من رحمها مجرد ماء عفن ويرجعون ذلك لعمل الجان.[3]

ولما كان سبب العقم غيبي، كانت الطرق العلاجية السحرية شائعة كحل لمشكل العقم، كحمل الحجاب، التمائم، الرقى، زيارة الأضرحة، والحضرة الشعبية ...

فإذا لم يظهر أي عارض طبيعي يسبب عقمها كثيرا ما تلجأ المرأة في مجتمع البحث للعلاج السحري، فتذهب إلى الطالب فيعطي لها حجابا تعلقه في حزامها تحت الثياب ليخلصها من "التابعة" وفي اعتقاده أنه يطرد الجن الذي يمنعها من الحمل، ويجب أن لا تنزعه طيلة حياتها إلا إذا أرادت التوقف عن الإنجاب[4]، وكثيرا ما يستعين المعالج بالأحجبة والتعزيم بطلب دجاجة سوداء حتى يكشف لها سبب العقم ولكي تساعده في شفاء المريضة وتمكينها من الإنجاب.[5]

وتقول "خضرة شنيبة" «إذا تبين لي أن سبب عقم المرأة هو نتيجة عمل سحري "ربط" أطلب منها أن تحضر لي "بيضة الخميس" و"حزام النيرة اتاع المنسج" وأقوم بإحداث عقد في الحزام بنفس

[1] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 .

[2] الطاهر براهمي: المرجع السابق، ص 85 .

[3] (ض.ق): 64 سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 .

[4] فريحة الحويج: 48 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/30 على الساعة 18:00 .

[5] خليل رابحي: 55 سنة، معالج شعبي، الرقيبة، تم اللقاء معه يوم 2018/02/17 على الساعة 10:00 .

عدد سنوات عقمها (فإذا لم تنجب لمدة عشر سنوات نعقد الحزام عشرة عقد) وتتحزم به المرأة وتأخذ البيضة وتضعها تحت رأسها، وفي يوم الغد تقوم بإشعال النار وترمي فيها البيضة، فإذا انفجرت بصوت قوي فإن الربط المسبب للعقم قد تخلصت منه، أما إذا أحدثت صوت خافت ولم تنفجر فإن ذلك يوحي بعدم تخلص المرأة من مشكلة العقم»[1]، وكثيرا ما يدخل السحر في الغزل والحياكة من خلال الأعداد والعقد المربوطة، فالأعداد ضرورية للنسج وقد يتحول تكرارها إلى نوع من التعاويذ السحرية وربط العقد وحلها آلية من آليات السحر.[2]

ومن الممارسات العلاجية السحرية التي تكشف وتعالج عقم المرأة "ضرب الخفيف" تقول "خضرة شنيبة" «أضع "الخفيف" في إناء وأمرره سبع مرات فوق رأس المرأة التي لم تنجب، ثم أضعه على النار، ومن شكل "الخفيف" يتبين لي سبب العقم إن كان بسبب العين أو عمل سحري، ومن ثمة أطلب منها أن تبخر بالفيجل، والحرمل، والكمون الأسود، والفسوخ، وملح الذِّكَر، والعرعار وشحمة الماعز، وكذلك يجب أن ترش عتبة الماء الممزوج بالحرمل والفيجل والملح والحنة والكمون الأسود، باعتباره يحرق الجن ويطرده».[3]

وقد يطلب من المرأة أن ترمي البصل والحرمل والملح والشب في النار لطرد الجان المسبب لعقمها[4]، والاعتقاد في قدرة البصل على طرد الجان كان شائعا في "سومر" فمن العادة أن تقشر بصلة وترمى قشورها في النار وتقرأ أثناء ذلك تعويذة تقضي بحرق الشيطان كالبصلة: «كهذه البصلة التي يقشرها ويرميها في النار فتلتهمها النيران تماما ولن تمسك جذورها في التربة ولن تتفتح براعمها، حتى لا تستعمل لطعام إله أو ملك، ولعل القسم واللعنة والمرض والتعب والذنب والخطيئة والشر

[1] خضرة شنيبة: 37 سنة، معالجة شعبية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/25 على الساعة 10:00 .

[2] خزعل الماجدي: معتقدات ما قبل التاريخ، ص 128 .

[3] خضرة شنيبة: 37 سنة، معالجة شعبية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/25 على الساعة 10:00 .

[4] جمعة شنيبة: 60 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/29 على الساعة 17:30 .

والإثم والمرض الذي في جسمي أو في لحمي أو في أطرافي ينتشر كهذه البصلة لتلتهمها النار تماما ... اليوم لتبتعد اللعنة بعيدا حتى أرى النور».[1]

ومن الممارسات العلاجية التي تلجأ إليها المرأة العاقر، إذا اعتقدت أن سبب عقمها يرجع لأمور غيبية "الرقية"، وهي إحدى وسائل العلاج المتبعة في البلدان الإسلامية، والتي يعالج بها الأمراض التي يرجع سببها إلى أمور غيبية من سحر ومس الجان، وتكون معظم الرقى بآيات من القرآن الكريم خاصة الرقى بفاتحة الكتاب وآية الكرسي وأواخر سورة البقرة والمعوذتين "سورة الفلق" و"سورة الناس" وكذلك "سورة الإخلاص" وبعض الآيات المتعلقة بالسحر والحسد وطرد الجان، وعند رقية المريض يضع الراقي يده على رأس المريض أو جبينه، وإذا أحس المريض بألم في أحد أعضاء جسمه يضع الراقي يده عليها ويواصل الرقية، وعند رقية المرأة بسبب السحر أو المس أو العين المسبب لعقمها تشعر المرأة بآلام في الرحم، ويتجنب الراقي وضع يده على رأس المرأة أو أي موضع في جسمها، وعادة ما يطلب منها اتباع عدة خطوات :

- تدليك الحوض وأسفل الظهر بزيت الزيتون المرقي الممزوج بالحرمل.
- شرب زيت الزيتون المرقي .
- شرب الماء المرقي ورش البيت بالماء المرقي والاغتسال به.[2]
- قراءة المرأة سورة البقرة يوميا، وسورة المعارج، والصافات مع المداومة على أذكار الصباح والمساء.
- وقد يطلب من المرأة كتابة بعض الآيات من سورة المجادلة بالزعفران والماء في أسفل البطن.[3]

[1] خزعل الماجدي: بخور الآلهة، ص230 .

[2] رشيد حويذق: 70 سنة، معالج بالرقية، الدريميني، الدبيلة، تم اللقاء معه يوم 2018/03/24 على الساعة 10:00 صباحا

[3] هذه المعلومة استقيناها من امرأة تعتقد أنها عانت من العقم مدة ثلاث سنوات بسبب عمل سحري، وتقول أن هذه الممارسة كانت سببا في تخلصها من العقم .

خامسا: المتخصصون في الممارسات العلاجية الشعبية لعقم النساء :

يلعب المعالجون الشعبيون دورا أساسيا في الحفاظ على الممارسات العلاجية الشعبية واستمرارها، ويتعاظم هذا الدور كلما كانت الخدمات العلاجية التي يقدمونها تعود عليهم بالمنفعة، سواء أكانت هذه المنفعة، مادية أم أدبية، فالمحترفون منهم يجدون فيها موردا أساسيا للرزق، وغير المحترفين الذين يقدمون هذه الخدمات تطوعا وابتغاء لمرضاة الله أو كسب محبة الناس، ورغم عدم تقاضيهم أجورا مادية، فهم يتلقون الأجر في صور أخرى كتدعيم مكانتهم الاجتماعية في المجتمع المحلي، واكتساب بعض مقومات القوة الاجتماعية، بل قد يكون الأجر مما يدخل في قضاء المصالح والخدمات، ومن ثمة فإنهم يحافظون بدورهم على هذه الممارسات العلاجية ويعملون على بقائها واستمرارها، وسنلقي الضوء على ذوي الاختصاص في هذا النوع من الممارسات العلاجية الشعبية لداء العقم عند المرأة.[1]

5-1 المعالج بالأعشاب: وهو الشخص المعترف به من قبل الجماعة التي يعيش فيها على اعتبار أنه شخص مؤهل لأداء عملية العلاج والتطبيب من خلال استعمال النباتات والحيوانات والمواد المعدنية ووسائل أخرى معينة[2]، وفي مجتمع البحث وفي ما يتعلق بعلاج العقم، غالبا ما تكون المعالجة امرأة مختصة بعلاج مختلف أمراض النساء، اعترف لها المجتمع بخبرتها لذلك تقصدها النسوة للعلاج والاسترشاد، وتستعين في ممارساتها العلاجية باستخدام العناصر النباتية والحيوانية والطبيعية ... وغالبا ما يكون العمل الذي تؤديه دون مقابل.

5-2 الطُلبة (الطالب): في الأصل يقصد بالطالب حافظ القرآن الذي يشتغل بتحفيظه للصبية ويؤم الناس في الصلاة، وقد يتولى قراءة الرقى اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وتتمثل غالبا في قراءة القرآن على المريض أو بالقراءة في الماء ليشربه إياه، وقد يعطيه حجابا يعلقه ليحميه من الأضرار، وقد يشيع أن الطالب يده فيها البركة وتمنح المريض الشفاء يأتي إليه الناس حتى من القرى البعيدة، وقد

[1] مجموعة من أساتذة علم الاجتماع: المرجع السابق، ص 125 .

[2] نجلاء عاطف خليل: المرجع السابق، ص 335 .

يتمادى الطالب ويستعين في أعماله على أحد كتب السحر لأنها مغلفة بطابع ديني ومنسوبة إلى علماء معروفين كالشيخ السيوطي[1]، ففي مجتمع البحث كثيرا ما يكتب الطالب حجابا للمرأة العاقر لتعلقه في حزامها ويعطيها أعشاب تبخر بها خاصة الحرمل والفسوخ، وعلى المرأة أن تنوي نية الشفاء على يد ذلك "الطالب".[2]

5-3 الطيّاحة: يقصد بها تلك المعالجة التي تقوم بعلاج الأشخاص المصابين بالعين والحسد والمس وتعددت تسمياتها واختلفت من منطقة لأخرى فقد تسمى الكركابة، والشبّاحة ...إلخ، وتستعين "الطيّاحة" في علاج المرضى بوسائل خاصة غالبا ما تكون قد ورثتها عن أمها أو جدتها، وتعتقد أن في هذه الوسائل شيئاً من البركة والقداسة لا تكون في غيرها من الأدوات، وعن كيفية اكتساب الخبرة تقول بأنها "معطية لها من عند أمها"، وأثناء العلاج تنزع المعالجة الخمار "المرحمة" التي تعصب بها رأسها وتضعه على الأرض وتقيس مقدار"ذراع" وتعين المكان بشوكة، وتقيس ذراعا آخر وتعينه بشوكة ثانية، وتعين وسط الخمار بإبرة وتطويه وتبدأ بالتطييح على المعيون وتلوذ الخمار على الشخص المريض وتردد: يا بن دويم يا علّى مولى* يا جديداتي يا عميماتي، يا عَطَّيات الحليب الصافي يا الجرونيات اللّولات يا الصافيات المقبولات وتردد:

كانك من النساء أخرجي من الكساء

وكانك من الرجال أخرجـي من لحبال

ثم تقيس خمارها من جديد فإذا وجدت مقدار الذراع نقص فإن النفس بدأت تنقص، وتكرر العملية إلى أن ينقص الذراع تماما، ثم تأخذ الملح وتسبعه فوق رأس المريض سبع مرات ثم تضعه في الماء وتدهن به جسم المريض، ثم تضع ماءاً وملحاً في إناء وتضيف له الشوكتين والإبرة وتردد الصلاة على النبي وتستنجد بأولياء الله الصالحين، ثم تنزع الشوكتين وترمي بذلك الماء خارج البيت وتقول: "خوذها يا

[1] أحمد زغب: جماليات الشعر الشفاهي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007/2006، ص107، 108 .

[2] فريحة الحويج: 48 سنة، أمية، جديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/30 على الساعة 18:00 .

* ولي صالح في بن قشة الشرقية ، وهو جد قبيلة الفرجان .

من عطيتها في جناحك أديتها" أو "خوذها يا من عطيتها نايا بعتها وانت شريتها "وتعطي للمريض بخور أشفاع مع عشبة " داد النبي " ليبخر بها وقت غروب الشمس.[1]

5-4 الشبّاحة : وهي التي تكشف عن العمل السحري المعمول لجلب الأضرار للآخرين كتعطيل الفتاة عن الزواج أو حرمان المرأة من الإنجاب، وكثيرا ما تكشف عن العمل السحري باستخدام "الخفيف"، وتستعين في ممارساتها العلاجية ببيضة الخميس، والأبخرة بمختلف أنواعها فسوخ، حرمل وشحمة الماعز، ملح ....

5-5 الحجّام: كانت ممارسة الحجامة ترتبط بالحلاق لأنها إحدى اختصاصاته المعترف له بها شعبيا ويستعين في الغالب بشفرة الحلاقة بدلا من استعمال المشرط أو المبضع، ويلجأ إليها الكثيرون لعلاج كل الأمراض[2] ومنها علاج العقم عند المرأة*، وتتم العملية بحقن الدم بواسطة "المغايث" من المنطقة المناسبة وبحسب الحالة، ثم يتم شلط المكان بواسطة شفرة حلاقة وتعيد "المغايث" لمكانها لامتصاص الدم، ثم يطهر المكان ويلف بقطن وتؤكد الحجّامة تجنب غسل المكان بالماء، وعدم شرب الحليب بعد نزع الدم.[3]

5-6 التقّازة : وهي المرأة التي تحاول استشفاف المغيبات والمجهول، من خلال علامات تدل على الأشياء المراد استشفاف أنبائها والاطلاع على ما يحيط بها بتوارثها عن الآباء والأجداد، وتسمى هذه الممارسة "التاقزة" ويعنون بها التخمين والتكهّن، والتاقزة ضروب كما قال المرزوقي نجد: التاقزة بالشبر، والتاقزة بالفول، والتاقزة بخط الرمل[4]، وقد استخدمت المرأة في مجتمع البحث ممارسة "التاقزة بالشبر" لاستشفاف وتحقيق ما يحيط بها ومنها ما يتعلق بالعقم، ويشيع عن هذا المعتقد الشعبي أن فاطمة بنت الرسول (صلى الله عليه وسلم) استخدمت "التاقزة بالشبر" عندما ضاعت إبل والدها، وبمجرد أن

[1] فريحة الحويج: 48 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/30 على الساعة 18:00 .

[2] عزي بوخالفة: من قاموس العادات والتقاليد الجزائرية، ج 1، دار سنجاق الدين للكتاب، (د.ط)، (د.ت)، ص 338 ،339 .

* في مجتمع البحث غالبا ما ترتبط ممارسة الحجامة بامرأة، خاصة إذا تعلّق الأمر بمرض العقم عند المرأة.

[3] شرح طريقة الحجامة نقلت من خلال الملاحظة المباشرة بالحضور عند المعالجة بالحجامة نجاة جراية الساكنة ببلدية البياضة.

[4] ينظر: محمد المرزوقي: المرجع السابق، ص 165، 166 .

استخدمتها في الصباح جاءتها الإبل في المساء، وشرحت لنا الراوية طريقة "التاقزة بالشبر": تردد المرأة عند استعمال التاقزة بالشبر وعند البدء في عملية القيس وبعد أن تبلل أصابعها بريقها، تردد المرأة:

لقزانة يا حنانة، لا حطيتك لا عن شرقي لا عن غربي، راني حطيتها عن الميت اجي ولا ما يجيشي وتقيس بالشبر ثلاث مرات من رأس الكتف إلى طرف الصبع الأوسط وتكون ثلاث أشبار بالضبط ثم تردد: لقزانة يا حنانة مِشي سوال الميت، جِي سوال الحي، لا حطيتك لا عن غربي لا عن شرقي حطيتك عن (تذكر المرأة ما تريده أن يتحقق، كالعقم مثلا تقول: حطيتك عن نجيب زريعة* ولاّ لا) كان صدقتي نحنيك، وكان كذبتي نكويك، الناس تسميك لقزانة ونايا نسميك لميمة الحنانة، وتقيس بالشبر فإذا زاد الشبر عن طرف الصبع الأوسط فإنها ستنجب ».[1]

* يقصد من العبارة، أن المرأة تسأل القزانة هل تنجب الأطفال أم لا ؟

[1] خيرة بن خليفة: 67 سنة، أمية، الدبيلة، تم اللقاء معها يوم 2018/04/02 على الساعة 11:00 صباحا .

سادسا – الطقوس السحرية التي تلجأ إليها المرأة العاقر

6-1 طقوس سحرية للتخلص من العقم الأولي :

بعد ترددها على المتخصصين في الممارسات العلاجية الشعبية، وعدم تمكنها من الإنجاب، تلجأ المرأة إلى ممارسة طقوس سحرية تعتقد أن فيها حلا لمشكلة العقم:

6-1-1 تخطي قبر المقتول بالحديد: كان هناك اعتقاد شائع في الأوساط النسوية وهو "تخطي المرأة العاقر قبر المقتول بالحديد" والدعاء بطلب الإنجاب، تقول الراوية "بن نصيب زينب" «أن زوجة أخيها لم تنجب لمدة 12 سنة، ذهبت رفقة والدتها إلى المقبرة لتخطي قبر شخص قتل بالسكين حديثا، وكان ذلك وقت الاستعمار الفرنسي حيث تخطت قبراً يعود لأحد خونة الوطن، قتل خلال تلك الأيام بسكين، وحملت معها الخبز وضعته عند القبر، وتخطت القبر وقامت بالدعاء "يا ربّي احل حزامي وينوب عني" »[1]، وهناك اعتقاد شائع في "رام الله" بفلسطين أن من قتل ظلما تبقى روحه قلقة مضطربة وتنوح في نفس المكان الذي قتل فيه، لذلك كانت المرأة العاقر تقف قدام القبر وتدعو قبر المقتول أن يخلصها من العقم[2]، وشاع في جاهلية العرب أنه إذا أرادت المرأة المقلاة أن يعيش ولدها، في امكانها ذلك إذا تخطت القتيل الشريف سبع مرات، وعندئذ يعيش ولدها.[3]

وارتباط حل عقدة العقم بالموتى نجدها في مصر حيث تذهب المرأة العاقر إلى المدافن (الجبانة) وتشق المدافن أو تدور حول القبور، أو تخطو فوق الخشبة التي يحملون عليها الميت عددا من المرات أو تخطو على الليفة والصابونة اللتين استخدمتا في تغسيل الميت[4]، أو تتخطى جثة قتيل.[5]

---

[1] زينب بن نصيب: 89 سنة ، حي النور، الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 18:00 .

[2] نضال فخري طه: المرجع السابق، ص36 .

[3] جواد العلي: المفصل في تاريخ العرب قبل لإسلام، ج 8، دار العلم للملايين، بيروت، ط، 1971، ص411 .

[4] أشرف أيوب معوض: طقوس الخصوبة في المجتمع المصري، مجلة الثقافة الشعبية، ع 28، شتاء 2015 .

[5] فوزية ذياب: المرجع السابق، ص 305 .

وقد اعتقدت العقائد القديمة ومنها الأرواحية أن جميع ما يصيب النفس الانسانية من نجاح وتوفيق أو من آلام ومصائب والصحة والمرض والسعادة والشقاء إنما يرجع إلى أرواح الموتى، وبذلك أصبح الإنسان ملزما بأن يرضيها ويتقرب منها.[1]

6-1-2 طقس تخطي حفرة "المشيمة": من الطقوس السحرية التي تلجأ إليها المرأة العاقر والتي تعتقد أن فيها إمكانية الإنجاب «عند ولادة إحدى النسوة من القريبات أو الجارات تتخطى المرأة العاقر "المشيمة" عند وضعها في الحفرة سبع مرات وتدعو "يارب يحل حزامي على خير ونوعدك إذا جبت نديرلك "وعدة" أو "ضيفة"»[2]، وعن ارتباط "المشيمة" و "الحبل السري " بإنجاب العاقر، يطلب في بعض بلاد الخليج من المرأة المربوطة والتي تعرضت لسحر منعها من الحمل والإنجاب قطع الحبل السري لمولود جديد.[3]

6-1-3طقس تقليد الحمل: تقول الراوية "جمعة شنيبة" « إذا أرادت المرأة الإنجاب تتحزم بحزام و تضع تحت الحولي شيئا وكأنها تحمل جنينا ثم تخلد إلى النوم، وفي الصباح تحل رباط الحزام »[4] وهو يندرج ضمن السحر التشابهي، وهو ما يشبه " طقس تقليد الولادة "الذي ذكرته "نضال فخري طه" «تمثل المرأة نفسها وكأنها تحمل طفلا ثم تضعه داخل ملابسها وتخرجه من تحتها كتقليد لعملية الولادة».[5]

والمرأة عند الباكتا في جزيرة "سومطرة" والتي تتمنى الإنجاب تضع من الخشب دمية لطفل تحملها في حجرها على أمل أن يؤدي ذلك إلى تحقيق أمنيتها وفي جزر "البابار" ترغب المرأة في أن يكون لها ولد فتطلب من أحد الرجال من أصحاب العائلات الكبيرة العدد أن يصلي من أجلها لروح الشمس ثم تصنع عروسة من القطن الأحمر وتضمها بين ذراعيها، كما لو كانت ترضعها،

[1] خزعل الماجدي: بخور الآلهة، ص49، 50 .

[2] جبارية مولى: 61 سنة، الصحين، الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 12:00 .

[3] أحمد زغب: الفولكلور– النظرية – المنهج – التطبيق، ص71 .

[4] جمعة شنيبة: 60 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/29 على الساعة 17:30 .

[5] ينظر: نضال فخري طه: المرجع السابق، ص35 .

ويمسك ذلك الرجل المعيال، بإحدى الدواجن من ساقيها، ويرفعها فوق رأس المرأة وهو يتمتم: «أي أوبيليرو (روح الشمس) خذ هذا الطائر، ودع الطفل يسقط، دعه ينزل إني أضرع إليك ...ثم يسأل المرأة: هل جاء الطفل فتجيبه نعم، وهو يرضع، بالفعل، ويرفع الطائر فوق رأس الزوج وهو يردد بعض العبارات السحرية وأخيرا يذبح الطائر، وحينئذ ينتشر الخبر في القرية بأن فلانة ولدت طفلا، فتسرع النساء إلى البيت مهنئات، فالتظاهر بالولادة كما يقول فريزر طقس سحري تشابهي وإن كان ههنا مدعما بالطقوس الدينية مثل الصلاة والقرابين».[1]

6-1-4 طقس جمع النقود لشراء "حزام" أو "قفل": من المعتقدات الشعبية الشائعة إذا أرادت المرأة العاقر في مجتمع البحث الإنجاب، تقوم بجمع النقود من عند أربعين امرأة لم يجدن عائقا في الإنجاب وتزوجن لمرة واحدة في حياتهن، وتشتري بتلك النقود حزاماً وتتحزم به لمدة سبعة أيام.[2]

وإذا أرادت المرأة الإنجاب تقوم بجمع النقود من عند سبعة(7) نساء أنجبن كثيرا من الأبناء، ولم يتزوجن أكثر من مرة، وتشتري بها قفلاً وتأخذه لإمام المسجد ليصلي عليه تبركا بذلك على أن يكون "القفل" مغلقاً، ثم تأخذه وتردد "عاهدتك ما نحلك إلا إذا حليتلي حزامي" ثم تحتفظ به، وإذا أنجبت عليها أن تفي بوعدها وتفتح القفل، حتى لا يؤذى المولود.[3]

ومن الطقوس المشابهة "تجمع المرأة النقود من عند أربعين امرأة أنجبت كثيرا من الأبناء وتزوجن مرة واحدة في حياتهن، وتجمعها في صرة واحدة وتضعها ليلا عند عتبة المسجد، وعندما يأتي الإمام عند صلاة الفجر يفتح الصرة بمجرد أن يراها، ومن ثم تتخلص من الربط".

ويعتقد أن المرأة العاقر إذا أحضرت خيط صوف أخضر وأعطته لأربعين امرأة اسمها "فاطمة" وأنجبن كثيرا من الأبناء، على أن تعقد كل واحدة عقدة وتتحزّم به المرأة لمدة سبعة (7) أيام، ثم تعيد الحزام لكل واحدة لحل العقد من جديد، فإنها ستنجب.[4]

---

[1] ينظر: جيمس فريزر: المرجع السابق، ص 112، 113 .

[2] سعيدة غندير مبروك: 51 سنة، أمية، حي الحرية، الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/10 ، على الساعة 10:30 .

[3] جبارية مولى: 61 سنة، أمية، الصحين، الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/12/08 على الساعة 12:00 .

[4] مريم بن خليفة: 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 .

6-1-5 طقس "لالة سعيدة": قبل الشروع في تفاصيل هذا الطقس، هناك أسطورة نسجت حول "لالة سعيدة" «سعيدة هي امرأة تزوجت، وتوفيت وهي عروس (أي بعد زواجها مباشرة)، وعندما دفنت نبت في مكان القبر شجرة مباركة اعتقد فيها أنها تمكن المرأة العاقر من الإنجاب إذا أكلت منها، وسميت بشجرة "لالة سعيدة"، أما عن الممارسة الطقوسية التي تجد فيها المرأة حلا لمشكلة العقم تقول الحاجة "زينب بن نصيب" «إذا أرادت المرأة العاقر الإنجاب تنفصل عن زوجها بالمكوث في بيت أهلها، لتدخل "لالة السعيدة" وتكون المدة ثلاث أو خمس أو سبعة أيام على أن تصادف البداية يوم الأحد أو الخميس، وتستحم المرأة في ذلك اليوم وتلبس لباسا جديدا، ويكون الفستان أخضر اللون، أما اللباس الداخلي ذو لون أبيض، وتفترش فراش جديد وتخضب يديها ورجليها وتكحل بالإثمد وتطلق البخور، وتأخذ كل أشكال زينة العروس ويحضر في اليوم الأول طبق الكسكس باللحم ويكون "مسّوس"، وتضع بجانب فراش النوم قارورة بها عشبة "لالة السعيدة" ممزوجة بالماء وتغطيها بغطاء أحمر، وفي كل صباح تنزع الغطاء وتطلق الزغاريد في القارورة ثم تشرب منها وتعيد نفس الشيء ليلا، وطيلة تلك الأيام يزرنها النسوة من القريبات والجارات ويحملن معهن الهدايا (صابون، عطر، حنة، شموع ...) ويجب أن لا ترى ولا تنام مع ذكر في تلك الفترة، مع طهو الخبز الخالي من الملح وتوزيعه على الجيران وكل من يزورها، وتردد المرأة طالبة العون من "لالة السعيدة ":

لالّة السّعيدة يا لالّة تشتي الروايح والحنّـــة
لالّة السّعيدة يا لالّة أعزّ من أمي و ابايـــا
لالّة السّعيدة يا زينة اعطّف قلبك علينـــــا
لالّة السعيدة يا جارة حطيني في عشة مقيمة
لالّة السّعيدة يا لالّـة تشتي الروايح والحنـــة[1]

وهذا الطقس يشبه تمثيل إعادة مراسم الزواج في مصر بالنسبة للمرأة المتزوجة حديثا ولم تحمل، «فإذا كانت الفتاة متزوجة حديثا التي يعتقد أنها غير قادرة على الحمل فإنه غالبا ما يعاد تمثيل مراسم

[1] زينب بن نصيب: 89 سنة ، أمية ، حي النور ، الوادي ، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 .

الزواج بالنسبة لها، ويتم ذلك في المنزل وعلى نطاق محدود، وتقوم به سيدات غير حائضات، وبنفس الطريقة التي تتم بها المراسم الحقيقية، كما تقوم الزوجة أيضا بصنع دميتين إحداهما تمثلها والأخرى تمثل الزوج ولا يشارك في هذه العملية إلا الصديقات والأقارب من السيدات، حيث يتم وضع الدميتين في الفراش ».[1]

والطقوس السحرية التي تمارس من قبل المرأة بغرض الإنجاب كثيرة، فعند ولادة إحدى النسوة من قريبات المرأة العاقر يتم الاتفاق عن عدم ذكر جنس المولود ويؤتى بالمرأة العاقر لتأكل دقيق وضع في يد المولود[2]، وقد يطلب من المرأة العاقر أن تلبس لباس امرأة أخرى أثناء المخاض مدة سبعة (7) أيام دون أن يغسل[3]، وهذا من قبيل السحر التشابهي الذي أشار إليه "جيمس فريزر" أن المرأة العاقر عند عرب مؤاب كثيرا ما تستعير رداء امرأة أخرى ذات أطفال كثيرين أملا في أن يساعدها ذلك في اكتساب شيء من خصوبة صاحبته الأصلية.[4]

وفي مجتمع البحث إذا أرادت المرأة الإنجاب تشرب ماء ممزوجا بالحنة من يد امرأة أنجبت كثيرا من الأبناء[5]، وهذا التقليد يشبه ما في البحرين والكويت فيطلب من المرأة النفساء أن تطعم بيدها المرأة التي مضى على زواجها زمن دون أن تحمل، أو تعطيها لقمة من غذائها وتطعمها بيدها خلال الأربعين يوما، أو تحلب فوق رأسها[6] وتخبرنا إحدى الراويات أن المرأة إذا أرادت الإنجاب عليها أن تغسل لباس الاحرام الذي يلبسه الحاج أثناء الحج وتشرب من ذلك الماء[7]، وقد تلبس المرأة حزام الحاج مدة أربعين يوما وتتغطى بلباس الإحرام مدة ثلاثة أيام رفقة زوجها.[8]

---

[1] عبد الحكيم خليل سيد أحمد: دراسات في المعتقدات الشعبية، ص25 .

[2] خديجة بن خليفة: 61 سنة، أمية، حي النور، الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/30 على الساعة 18:00 .

[3] فريحة الحويج: 48 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/30 على الساعة 18:00 .

[4] ينظر: جيمس فريزر: المرجع السابق، ص 166 .

[5] فاطمة بن خليفة: 80 سنة، أمية، حي الشط، الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/03/27 على الساعة 10:00 .

[6] ينظر: فاطمة عيسى السليطي: المرجع السابق، ص 118 .

[7] خيرة بن خليفة: 67 سنة، أمية، حي باب الوادي، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/04/02 على الساعة 11:00 صباحا .

[8] أم الخير مومني: 70 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/04/09 على الساعة 15:00 .

6-2 طقوس سحرية للتخلص من العقم الثانوي :

حالات الإجهاض المتكرر الذي قد تتعرض إليه المرأة والتي أدرجناها ضمن حالات العقم الثانوي لها نصيب وافر من الطقوس السحرية التي يعتقد فيها تخلص المرأة من الإجهاض، فإذا كانت المرأة عاقراً بسبب تكرر الإجهاض «تجمع النقود من عند سبع نساء أنجبن كثيرا من الأبناء ودون أن تجد إشكالية في الإنجاب وتشتري بها "قفلاً"، وبمجرد حملها تذهب إلى المقبرة برفقة ولد اسمه "محمد" أو "علي" وتحمل القفل مفتوحاً وتبدأ المرأة والطفل عملية غلق القفل وفتحه بالتناوب، المرأة تغلق والولد يفتح وتكرر العملية عدة مرات حتى تكون آخر مرة غلق المرأة للقفل، وعند دخول الشهر التاسع من الحمل تكرر العملية بطريقة عكسية مع نفس الولد وفي نفس المكان، وتبدأ المرأة بفتح القفل والولد يغلق وتكرر العملية عدة مرات على أن تكون آخر مرة فتح المرأة للقفل، ومن ثمة تلد مولودها دون أن يجهض».[1]

نلاحظ ما يسمى بالسحر التشابهي في هذا الطقس، فالإغلاق بواسطة القفل أو بواسطة المفتاح، هو إغلاق رمزي يؤدي إلى إغلاق فعلي لرحم المرأة يمنع إجهاض الجنين.

وفي مصر يصنع الحداد قفلاً يسمى "قفل الظهر" للمرأة التي تعاني تكرر الإجهاض، تعلقه في خيط متين وتلبسه الحامل أول مرة في صلاة الجمعة وتراعي ألا تخلعه لأي سبب من الأسباب كما تراعي أن يكون دائما في وسط ظهرها، سواء في حالة نومها أو يقظتها إلى أن تنتهي مدة الحمل الطبيعية وتحدث الولادة.[2]

وهناك من النساء من تلد بصورة طبيعية ولكن المولود لا يعيش طويلا وتسمى في مجتمع البحث "مرا ما اتْعَيشّي*"، وتسعى هنا المرأة لممارسة بعض الطقوس حيث "تجمع النقود من عند سبع نساء رزقن أطفالا دون التعرض لأي عارض وتشتري بها لباساً للمولود، وعند ولادته يلبس ذلك اللباس ليعيش ويجب أن يسمى "الساسي" أو "ساسية"، ويجب أن لا تأكل من نفس البيت لمدة

[1] مسعودة بية: 59 سنة، أمية، حي النور، الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/09 على الساعة 15:00 .

[2] فوزية ذياب: المرجع السابق، ص 310.

* بمعنى امرأة لا يعيش لها أولادا .

سبعة أيام[1] وأشار "أحمد زياد محبك" إلى هذا الطقس «تجمع المرأة سبع قطع صغيرة من القماش مختلفة الألوان من سبع نساء، تدعى كل واحدة منهن فاطمة وتخاط من تلك القطع، ثوب يلبس به المولود فور ولادته ويسمى ذلك الثوب "ثوب لالة فاطمة"، ويتم اللجوء إلى مثل ذلك الثوب، حين تتكرر وفاة الولد، عقب الولادة، أملا أن يبقى المولود ويعيش».[2]

وهكذا كان العقم ظاهرة عرفتها جل المجتمعات الإنسانية، حاول البشر منذ القدم علاجها بمختلف الطرق والأساليب، والعقم بمختلف معانيه يصيب المرأة كما يصيب الرجل إلا أن المرأة كانت أسوأ حظا من الرجل وحمّلت مسؤولية العقم في ظل مجتمع ذكوري يرى مكانتها أقل من الرجل لذلك نجدها التمست سلوكات وممارسات علاجية شعبية مختلفة يؤسسها المعتقد الشعبي رغبة في تجاوز مشكل العقم .

[1] سعيدة غندير مبروك:51 سنة، أمية، حي الحرية، الوادي ، تم اللقاء معها يوم 2018/02/10 على الساعة 10:30 .

[2] أحمد زياد محبك: المرجع السابق، ص 241 .

خاتمـــــــــة

في ختام هذا البحث، وبعد الغوص في ثنايا الدراسة، توصلنا إلى نتائج عدة أهمها:

- المرأة منذ ميلادها تجد نفسها محاطة بجملة من العادات والمعتقدات والطقوس .
- على الرغم من التقدم والتطور العلمي الذي تشهده المجتمعات لا تزال المعتقدات الشعبية تسيطر على فئات كبيرة من المجتمع، فحاول المجتمع معالجة ظاهرة إنجاب البنات من خلال ممارسة عدة طقوس سحرية، وما أثار انتباهنا هو اشتراك المجتمعات بمختلف مشاربها في كثير من هذه الطقوس.
- تعتبر مرحلة بلوغ الفتاة طقس من طقوس العبور، حيث تنفصل الفتاة عن مرحلة الطفولة لتندمج في وسط الكبار، كذلك يعتبر زواجها طقس من طقوس العبور تنتقل فيه الفتاة إلى عالم النسوة.
- على الرغم من مساهمة المدرسة العربية بحق التراث الشعبي والذي مثلته البحوث المصرية في عالم الفولكلور بفضل جهود بعض مفكريها ودارسيها، إلا أننا لم نعثر على دراسة عالجت موضوع عقم المرأة وعلاجه في الطب الشعبي .
- تركت ظاهرة العقم في الوسط الشعبي النسوي آثارا بالغة في نمط تفكيرهن وانعكست جهرا في ممارساتهن الفعلية والخطابية.
- لم تترك المرأة طريقا لعلاج العقم إلا وسلكته، فقد لجأت إلى المحيط العائلي من النساء اللائي أنجبن من قبل حتى يقدمن لها النصح، ثم بدأت بالتردد بين المتخصصين في علاج العقم بالطرق الشعبية التي تبلورت في العلاج الشعبي بشقيه الطبيعي الذي تضمن العلاج بالأعشاب والحيوان والممارسات اليدوية، والغيبي الذي تضمن العلاج السحري من أحجبة ورقى والعلاج السحري الديني حيث اعتقدت المرأة في زيارة الأضرحة والحضرة الشعبية علاجا لعقمها .
- تعالج المرأة عقمها طبيعيا بإشراف المعالجة المتخصصة على خلاف الأمراض الأخرى التي نجد علاجها يتداول وينتشر بكثرة بين أفراد المجتمع .

- لجأت المرأة إلى ممارسة عدة طقوس سحرية اعتقدت فيها حلا لمشكل العقم.
- كثرة الممارسات العلاجية الشعبية وتنوعها وانتشارها يعكس بوضوح مدى الحرص الشعبي على توفير أسباب الخصوبة، وإزالة العقم لتمكين المرأة من الإنجاب.
- لم تكن غاية المرأة من علاج العقم رغبة في تحقيق غريزة الأمومة فحسب، وإنما حفاظا لمكانتها الاجتماعية وإرضاء الزوج والمجتمع .
- تشابه الممارسات العلاجية بين المجتمعات الشرقية، وحتى العالمية لعلاج العقم يدل على وحدة العقل البشري، وأهمية الإنجاب كحاجة أساسية لدوام النوع، والحلول السحرية والدينية كانت الملجأ الوحيد حيث انعدمت الأسباب العلمية .

وفي نهاية الأمر رغم ما بذلناه من طاقة وجهد لإنجاز هذا البحث المتواضع فإنه يترك الباب مفتوحا للدارسين والباحثين الجامعيين لإضافة دراسات تتعلق بالجوانب الآتية :

- دور العادات والمعتقدات الشعبية في تنشئة المرأة .
- المرأة بين المعتقد الشعبي والمعتقد الديني .

قائمة المصادر

والمراجع

أولا :المصادر المسموعة :

أ- الموردات :

1. بوشمال ربيعة، 61 سنة ،أمية، حي الدشرة، أنسيغة، جامعة، تم اللقاء معها يوم 2017/11/04 على الساعة 10:00 صباحا .

2. بوصبيع إبراهيم فاطمة، 62 سنة، تقرأ وتكتب ،حي الكوثر، البياضة، تم اللقاء معها يوم 2018/02/01 على الساعة 10:00 صباحا .

3. بوعفان خديجة، 65 سنة، معالجة أمراض نساء بالأعشاب، حي 400 سكن، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/04/17 على الساعة 16:30 مساء.

4. بيصة تبر، 65 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/28 على الساعة 14:00 .

5. بيطة الرايسة،56 سنة، معالجة أمراض نساء بالأعشاب، حي الجبل، بلدية جامعة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/20 على الساعة 09:30 صباحا .

6. جراية نجاة،51 سنة، معالجة بالحجامة، البياضة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/26 على الساعة 17:00 مساء .

7. جوادي مريم،59 سنة، أمية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 13:00 .

8. الحويج فريحة، 48سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/30 على الساعة 18:00مساء.

9. بن خليفة خديجة، 61 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .

10. بن خليفة خيرة، 67 سنة، أمية، الدبيلة، تم اللقاء معها يوم 2018/04/02 على الساعة 11:00 صباحا.

11. بن خليفة الزهرة، 75 سنة، أمية، حي باب الوادي، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/03 على الساعة 15:00.

12 . بن خليفة فاطمة، 80 سنة أمية، حي الشط، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/03/27 على الساعة 10:00 صباحا .

13. بن خليفة مريم، 64 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/10/28 على الساعة 18:00 مساء .

14. خنوفة بريكة، 71 سنة، أمية، الدبيلة، تم اللقاء معها يوم 2018/02/24 على الساعة 13:00 ظهرا.

15. (ر.رشيدة)، 60 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/03/08 على الساعة 17:00 مساء .

16. سديرة النايمة ، 65 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/01/31 على الساعة 15:00.

17. شاقور سعدية، 68 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/02/23 على الساعة 17:30مساء.

18. شنيبة جمعة، 60 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/29 على الساعة 17:30 مساء.

19. شنيبة خضرة،37 سنة، معالجة شعبية، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/03/25 على الساعة 10:00 صباحا .

20. بنت الصيفي عائشة، 71 سنة، أمية، الجديدة الغربية، تم اللقاء معها يوم 2018/03/04 على الساعة 18:30 مساء .

21. (ض .ق)، 64 سنة، معالجة أمراض نساء بالأعشاب، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 10:00 صباحا .

22. عتير مريم، 63 سنة، أمية، الرقيبة، تم اللقاء معها يوم 2018/04/01 على الساعة 18:00 مساء .

23. بن علي خيرة، 68سنة، معالجة أمراض النساء بالأعشاب، حي المجاهدين، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/01/25 على الساعة 16:00 مساء .

24. غندير مبروك سعيدة، 51 سنة، أمية، حي الحرية، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/10 على الساعة 10:30 صباحا .

25. (ل.ث)، 50 سنة، معالجة بالحجامة، حي المجاهدين، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2018/01/31 على الساعة 15:30 .

26. المشري خديجة، 90 سنة، معالجة أمراض نساء بالأعشاب، حي العواشير، بلدية الرباح، تم اللقاء معها يوم 2018/04/01 على الساعة 16:00 .

27. منصوري خضرة، 73 سنة، أمية، الجديدة تم اللقاء معها يوم 2018/02/26 على الساعة 15:00 مساء .

28. مولى جبارية، 61 سنة، أمية، الصحين، بلدية الطريفاوي، تم اللقاء معها يوم 2018/02/08 على الساعة 12:00 .

29. مومني أم الخير، 70 سنة، أمية، الجديدة، تم اللقاء معها يوم 2018/04/09 على الساعة 15:00مساء.

30.بن نصيب زينب، 89 سنة، أمية، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معها يوم 2017/12/10 على الساعة 19:00 مساء .

ب- **الموردون** :

1. حويذق رشيد، 70 سنة، معالج بالرقية، الدريميني، الدبيلة، تم اللقاء معه يوم 2018/03/24 على الساعة 10:00 صباحا .

2. بن خليفة لزهاري، 72 سنة، حي النور، بلدية الوادي، تم اللقاء معه يوم 2017/10/29 على الساعة 17:00 مساء .

3. دويم صالح، 55 سنة، شاعر، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 13:00 .

4. رابحي خليل، 55 سنة، معالج شعبي، الرقيبة، تم اللقاء معه يوم 2018/02/17 على الساعة 10:00

5. ريغي عبد الكريم، 57 سنة راعي إبل، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 11:00 .

6. شوشاني عبيدي عمر، 60 سنة، راعي إبل، دوار الماء، تم اللقاء معه يوم 2017/12/19 على الساعة 11:00.

ثانيا : المعاجم

أ– المعاجم اللغوية :

1. الأزهري، **تهذيب اللغة**، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م .

2. البستاني (بطرس ــ)، **قطر المحيط**، ج2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت) .

3. الفيروز أبادي (مجد الدين ــ)، **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، 2008 .

4. المنجد في اللغة والأعلام، **دار المشرق**، بيروت ،ط48 ،2014 .

5. بن منظور (محمد بن مكرم ــ)، **لسان العرب**، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت) .

ب– معاجم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ،موسوعات ،قواميس :

1. إدزارد (ديتز أوتو ــ)، **قاموس الآلهة والأساطير**، ج1، تر: محمد وحيد خياطة، دار الشرق العربي، سورية، (د.ط)، (د.ت) .

2. أمين (أحمد ــ)، **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، دار كلمات عربية، مصر، (د.ط)، 2013 .

3. البعلبكي (منير ـ)، **موسوعة المورد العربية**، المجلد الثاني، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

4. بوخالفة (عزي ـ)، **من قاموس العادات والتقاليد الجزائرية**،ج1، دار سنجاق الدين للكتاب، (د.ط)، (د.ت) .

5. بونت (بيار ـ) وميشال إيزار وآخرون، **معجم الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا**، تر: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2011 .

6. حرب (طلال ـ)، **معجم أعلام الأساطير والخرافات**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

7. دغيم (سميح ـ)، **موسوعة الأديان السماوية والوضعية**، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995 .

8. سليم (مصطفى شاكر ـ)، **قاموس الأنثروبولوجيا**، جامعة الكويت، الكويت، ط1، 1981.

9. شميت (شارلوت سيمورـ)، **موسوعة علم الإنسان**، تر: مجموعة من المترجمين، (د.ط)، (د.ت) .

10.صدقة (جان ـ)، **معجم الأعداد**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1994 .

11.عجينة (محمد ـ)، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها**، ج2، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

12.كانا فاجيو (بيار ـ)، **معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا**، تر: أحمد الطبال، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

13.لوكر (مانفرد ـ)، **معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة**، تر: صلاح الدين رمضان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000 .

14. ميتشل دينكل، **معجم علم الاجتماع** ،تر: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت ،لبنان، ط2، 1986.

15. هولكترانس (إيكه ـ)، **قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور**، تر: محمد الجوهري وحسن الشامي، الأمل للطباعة والنشر، (د.ط)، 1999 .

16. ويستر مارك (إدوارد ـ)، **موسوعة تاريخ الزواج**، تر: مصباح الصمد وآخرون، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001 .

ثالثـا: الكتب

أ– الكتب المقدسة :

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

2. الكتاب المقدس .

ب– الكتب المنشورة :

1. إبراهيم (محمد عباس ـ)، **الأنثروبولوجيا الطبية**، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1992.

2. إبراهيم (نبيلة ـ)، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت) .

3. الأحمد (سامي سعيد ـ)، **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2013 .

4. الأمين (أحمد ـ)، **حيزية الملحمة الجزائرية**، دار المصباح، برج الكيفان، الجزائر، (د.ط)، (د.ت) .

5. إلياد (ميرسيا ـ)، **الأساطير والأحلام والأسرار**، تر: حسيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، سورية، (د.ط)،2004 .

6. إلياد (ميرسيا ـ)، **مظاهر الأسطورة**، تر:نهاد خياط، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط1،1991.

7. بابلي (ضحى بنت محمود ــ)، **الطب البديل**، مكتبة الملك فهد، السعودية، 1428 هـ .

8. الباتانوني (كمال الدين حسن ــ) والباتانوني (حسن كمال الدين ـ)، **المعارف التراثية في صحاري الوطن العربي**، مطبعة بن دسمال، دبي، (د.ط)، 2006.

9. بارندر (جفري ـ)، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، تر:إمام عبد الفتاح، مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، 1993 .

10. باقر طه، ملحمة كلكامش، المكتبة العربية، نسخة PDF .

11. بوتارن (قادة ـ)، **الأمثال الشعبية الجزائرية**، تر: عبد الرحمان الحاج صالح، ديوان المطبوعات الجزائرية، (د.ط)، (د.ت).

12. بورديو (بيارـ)، **الهيمنة الذكورية**، تر: سلمان قعفراني ،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009.

13. الترمانيني (عبد السلام ــ)، **الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1996 م .

14. التيجاني (ثريا ـ)، **دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري**، دار هومة للطباعة والنشر الجزائر، (د.ط)، (د.ت) .

15. الجوهري (محمد ــ)، **الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية**،ج1، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، ط1، 1978.

16. الجوهري (محمد ــ)، **علم الفولكلور**، ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1990 .

17. الجوهري (محمد ــ) وآخرون، **الطفل والتنشئة الاجتماعية**، القاهرة، (د.ط)، 2008 .

18. حرب (طلال ـ)، **أولية النص**، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999.

19. حسان (الجيلاني ــ)، **من التراث الغنائي بوادي سوف**، دار الشهاب ،الجزائر، (د.ط)، (د.ت) .

20. حواس (عبد الحميد ــ)، **أوراق الثقافة الشعبية**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (د.ط)، 2005 .

21. خدوسي (رابح ـ)، **موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية**، دار الحضارة، (د.ط)، 1997 .

22.ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ــ)، **مقدمة بن خلدون**، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

23.خليل (نجلاء عاطف ــ)، **علم الاجتماع الطبي**، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، (د.ط)، 2006 .

24.خليل سيد أحمد (عبد الحكيم ــ)، **دراسات في المعتقدات الشعبية**، مكتبة الدراسات الشعبية، مصر، ط1، 2013 .

25.خورشيد (فاروق ــ)، **أديب الأسطورة عند العرب**، مطابع السياسة، الكويت، (د.ط)، 2002 .

26.ديورانت (ول وايرل ــ)، **قصة الحضارة**،ج1، تر: زكي نجيب محمود، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

27.ذياب (فوزية ــ)، **القيم والعادات الاجتماعية**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1980 .

28.الربيعو (تركي علي ــ)، **العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الاسلامية**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1995.

29.ريفير (كلود ــ)، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان**، تر: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة ،ط1، 2015 .

30.الزاهي (فريد ــ)، **الجسد والصورة والمقدس في الإسلام**، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 1999.

31.الزاهي (نور الدين ــ)، **المقدس والمجتمع**، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)،2011 .

32.زغب (أحمد ــ)، **الألعاب الشعبية** ،مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2016 .

33.زغب (أحمد ــ)، **الفولكلور النظرية – المنهج – التطبيق**، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2015.

34.زغب (أحمد ــ)، **لهجة وادي سوف**، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2012 .

35.زكي (أحمد كمال ــ)، **الأساطير**، مكتبة الأسرة، مصر، (د.ط)، 2002 .

36.الساعاتي (سامية حسن ــ)، **السحر والمجتمع** ،دار النهضة ،بيروت، ط2 ،1983م .

37.ساكر (محمد ــ)، **العادات والتقاليد في وادي سوف ما بين 1945–1962**، مطبعة الوادي، الوادي، ط1، 2016 .

38.الستاتي (عصام ــ)، **شم النسيم**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2006 .

39.ستروس (كلود ليفي ــ)، **الإناسة البنيانية**، تر: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995.

40.ستيتكيفيتش (ياروسلاف ــ)، **العرب والغصن الذهبي**، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ،ط1 ،2005 .

41.سعد الله (أبو القاسم ــ)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

42.السعفي (وحيد ــ)، **القربان في الجاهلية والإسلام**، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2007 .

43.سليم (أحمد أمين ــ)، **دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د.ط)، 1992 .

44.السواح (فراس ــ)، **الأسطورة والمعنى**، دار علاء الدين، دمشق، ط2، 2001 .

45.السواح (فراس ــ)، **دين الإنسان**، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، ط 4، 2002 .

46.السواح (فراس ــ)، **مغامرة العقل الأولى**، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1996.

47.شبل (مالك ــ)، **الجنس والحريم**، تر :عبد الله زارو، افريقيا الشرق، المغرب، 2010 .

48.بن الشيخ (التلي ــ)، **منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1990 .

49. الصباح (محمد علي ــ)، **القصص الشعبي في مؤلفات كلام الراسي**، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1990 .

50.ضيف (الأزهر ــ)، **البيئة والمجتمع–دراسة تحليلية للصحة والمرض في وادي سوف–** مطبعة اقرأ، قسنطينة، ط1، 2010.

51.الضيفاوي (الساسي بن محمد ــ)، **ميثولوجيا آلهة العرب قبل الإسلام**، المركز الثقافي العربي، ط1، 2014.

52.عباس (عبد الهادي ــ)، **المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها**، ج1، دار طلاس، دمشق، ط1، 1987.

53.عزيز(كارم محمود ــ)، **أساطير التوراة الكبرى**، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1999.

54.العلوي (هادي ــ)، **فصول عن المرأة**، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط1، 1996 .

55.العلي (جواد ـ)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**،ج4، جامعة بغداد، ط2، 1993.

56.العلي (جواد ـ)، **المفصل في تاريخ العرب قبل لإسلام**، ج8، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1971.

57.بن علي (محمد الصالح ـ)، **جماليات العمارة التقليدية في وادي سوف**، ج1، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2013 .

58.بن علي (محمد الصالح ـ)، **من روائع الشاعر الشعبي علي عناد**، إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، الوادي، ط1، 2008 .

59.بن علي (محمد الصالح ـ)، **الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية**، الجزائر، (د.ط)، 2012 .

60.بن علي (محمد الصالح ـ) وحمادي محمد نافع، **الشاعر الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره**، من إصدارات دار الثقافة، مطبعة مزوار، الوادي، 2006 .

61.عماد (عبد الغني ـ)، **سوسيولوجيا الثقافة–المفاهيم والاشكاليات ...من الحداثة إلى العولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006 .

62.بن عمارة (محمد ــ)، **العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية –وادي سوف أنموذجا –** منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، ط1، 2010 .

63.العوامر (إبراهيم محمد الساسي ــ)، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، المعارف للطباعة، (د.ط)، (د.ت).

64.عيلان (محمد ــ)، **التراث الشعبي الجزائري**، وزارة الثقافة، الجزائر، (د.ط)،2007 .

65.الغذامي (عبد الله ــ)، **ثقافة الوهم**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.

66.الغزالي (محمد ــ)، **قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة**، دار الهناء للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2001 م .

67.غنابزية (علي ــ)، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية**، دار هومة للطباعة والنشر، (د.ط)،2017 .

68.فريزر (جيمس ــ)، **الغصن الذهبي –دراسة في السحر والدين–**ج1، تر: أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للنشر والتوزيع، مصر، (د.ط)،1971 .

69.فوازان (أندريه روجيه ــ)، **مونوغرافيا سوف**، تر: أبو بكر مراد، دار المعرفة، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

70.فيّاض (محمد ــ)، **المرأة المصرية القديمة**، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1995.

71.القيّم (علي ــ)، **المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة**، مكتبة المهتدين، ط1997،2.

72.كالفي (لويس جان ــ)، **التقاليد الشفهية**، تر: رشيد برهون، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1، 2012.

73.كامبل (جوزيف ــ)، **قوة الأسطورة**، تر: حسن صقر وميساء صقر، دار الكلمة للنشر والتوزيع، سورية،ط1، 1999 .

74. كحالة (عمر رضا ــ)، **المرأة في القديم والحديث** ،ج1، مؤسسة الرسالة، سورية، ط1، 1979.

75. كريمر (صمويل ــ)، **من ألواح سومر**، تر: طه باقر، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

76. كوتسينغا (يوهان ــ)، **ديناميكية اللعب**، تر: صديق محمد جوهر، هيئة أبو ظبي للتراث، أبو ظبي، ط1، 2012 .

77. كيّال (باسمة ــ)، **تطور المرأة عبر التاريخ**، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1981.

78. لوبون (غوستاف ــ)، **الآراء والمعتقدات**، تر: عادل زعيتر، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت) .

79. الماجدي (خزعل ــ)، **أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997 .

80. الماجدي (خزعل ــ)، **بخور الآلهة**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998 .

81. الماجدي (خزعل ــ)، **الدين المصري**، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1999 .

82. الماجدي (خزعل ــ)، **متون سومر**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998.

83. الماجدي (خزعل ــ)، **المعتقدات الكنعانية**، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2001 .

84. مانكه (ليز ــ)، **التداوي بالأعشاب في مصر القديمة**، تر: أحمد زهير أمين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1993.

85. مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، **التراث والتغير الاجتماعي**، الكتاب الثاني، ط1، 2002 .

86. مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، **الصحة والبيئة – دراسة اجتماعية أنثروبولوجية –** جامعة القاهرة، كلية الآداب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، مصر، 2001، ط1 .

87. مجموعة من المؤلفين، **القمر أساطير وطقوس**، تر: محمد خير محمود البقاعي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

88. مجموعة من المختصين، **وادي سوف – دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة–**، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2008 .

89. محبك (أحمد زياد ــ)، **من التراث الشعبي**، دار المعرفة ،بيروت ،لبنان، ط1، 2005 .

90. المرزوقي (محمد ــ)، **مع البدو في حلهم وترحالهم**، الدار العربية للكتاب، تونس ،ط2، 1984.

91. مصباحي (بلقاسم ــ)، **حماية الإنسان من العين والسحر والجان**، دار الهداية، قسنطينة، (د.ط)، (د.ت).

92. المعادي (زينب ــ)، **المرأة بين الثقافي والقدسي**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 1992.

93. المنصوري (أحمد بن الطاهر ــ)، **الدر الموصوف في تاريخ وادي سوف**، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

94. مياسي (إبراهيم ــ)، **الصحراء الجزائرية في ضلال وادي سوف**، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ط)، 2014.

95. ميل (جون استوارت ــ)، **استعباد النساء**، تر :إمام عبد الفتاح، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1998.

96. نوبلكور (كريستيان ديروش ــ)، **المرأة الفرعونية**، تر: فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2009 .

97. هوك (صاموئيل هنري ــ)، **منعطف المخيلة البشرية**، تر : صبحي حديدي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1983م .

98. واعراب (مصطفى ــ)، **المعتقدات السحرية وطقوسها في المغرب**، دار الحرف للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007 .

99. يحي (أسامة عدنان ــ)، **السحر والطب في الحضارات القديمة**، آشور بانيبال للكتاب، العراق، ط1، 2016 .

رابعا : الرسائل والأطروحات

1. براهمي (الطاهر ــ)، **العقم بين الطب الشعبي والطب الرسمي في المجتمع الجزائري**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2016/2015 .
2. بلعربي (فاطمة ــ)، **توظيف المعتقد الشعبي في دراسة القصص القرآني**، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2012 /2013 ،
3. بوخنوفة (شهيرة ــ)، **أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع في منطقة خراطة**، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، 2012/2011 .
4. تركية (منال ــ)، **الممارسات الشعبية لعلاج داء العقم لمنطقة تقرت**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016/2015.
5. الحمداني (هاني عبد الغني عبد الله ــ)، **الحياة الاجتماعية في المملكة الحثية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب جامعة الموصل، 2012 .
6. زغب (أحمد ــ)، **جماليات الشعر الشفاهي**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007/2006 .
7. زين (نسيمة ــ)، **الرواسب الثقافية وعلاقتها بالصراع التنظيمي**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2014/2013 .
8. سبوح (رشيد ــ)، **المعتقدات الشعبية في الجزائر – ظاهرة العين نموذجا–** رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2001/2000 .
9. علاء عبد الهادي (سارة ــ)، **العقم لدى النساء**، شهادة مقدمة لنيل شهادة البكلوريوس في العلوم، جامعة بابل.

10. عوينات (هنية ــ)، **المعتقدات الشعبية في طب الأطفال**، مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، كلية الآداب واللغات، 2015/2014 .

11. فخري طه (نضال ــ)، **الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، كلية الدراسات العليا، 2009 .

12. لبيهي (خديجة ــ)، **المضامين التربوية للتنشئة الاجتماعية للمرأة في الثقافة الشعبية المكتوبة**، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2015/2014 .

13. محمد صالح (أحمد فاروق ــ)، **دور الخدمة الاجتماعية في مواجهة الممارسة غير السوية للطب الشعبي مع المسنين**، تصور مقترح، جامعة القاهرة، كلية الخدمة الاجتماعية، فرع الفيوم، 2002 .

14. الهلي (مصباح ــ)، **المعتقدات الخرافية الشائعة في التنشئة الاجتماعية للأبناء**، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، 2006/2005 .

خامسا: أعمال الملتقيات

1. ألفاها (رينيه لابات ــ)، **الطب البابلي الأشوري**، ترجمة: وليد الجادر، محاضرة ألقيت بالفرنسية في باريس، (د.ت).

2. جمعية الصحة العالمية الثانية والستون ،البند 12-4 ،الوثيقة ج 8/62 ،22 ماي 2009 .

3. خليل سيد أحمد (عبد الحكيم ــ)، **التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي**، المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبي الفلسطيني، جامعة النجاح، فلسطين، 2012/10/06.

4. غنابزية (علي ــ)، **دور العادات والتقاليد في تثبيت هوية المرأة بمجتمع وادي سوف**، الملتقى الوطني الثالث حول الهوية والتراث في زمن العولمة، تنظيم دار الثقافة بالوادي، يومي 2 و3 ماي 2010 .

سادسا : المجلات

1. بوزيد (عز الدين ــ)، **رياضة الطفل التراثية تحدثنا عن ثقافة المجتمع**، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد25، ربيع 2014 .
2. حسين (محمد حسين ــ)، **ثقافة حب إنجاب الذكر في البحرين**، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 10، صيف 2010.
3. حمزاوي (سعيدة ــ)، **العادات والمعتقدات في الأغنية الشعبية الأوراسية**، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 10.
4. خليف (بشير ــ)، **شعائر الموت ومعتقداته في تراث المشرق – مقاربة أنثروبولوجية –** مجلة الثقافة الشعبية، البحرين العدد 8، 2010 .
5. السليطي (فاطمة عيسى ــ)، **الاستعداد لمراحل الحمل والولادة قديما في البحرين**، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد4، شتاء 2009 .
6. العبدولي (سعيد حسين ــ)، **ميكرو سوسيولوجيا الجريمة من خلال الممارسة السحرية والشعوذة**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد5، فيفري2014 .
7. عثماني (الجباري ــ)، **مظاهر من العادات والتقاليد في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف في أواخر القرن 19م**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد2، 2013 .
8. عثماني (الجباري ــ)، **منظومة التسمية في مجتمع وادي سوف**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد 04، جانفي2014 .
9. القلسي (عبد الرزاق ــ)، **الطب الشعبي في تونس وعلاقته بجسد المرأة**، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 34، صيف 2016.
10. محمود (عبد الرزاق صالح ــ)، **زيارة الأضرحة والمراقد –دراسة اجتماعية طبية–**، مجلة دراسات موصلية، العدد19، 2008 .

11. معوض (أشرف أيوب ـــ)، **طقوس الخصوبة في المجتمع المصري**، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 28، شتاء 2015 .

سابعا: المواقع الإلكترونية

1.الأسود (حكمت بشيرـ)، قداسة الماء ورموزه في حضارة بلاد الرافدين، مجلة سومر، **WWW.abualsoof.com**

2.الباقر (هيثم ـ)، تعريف المرأة، الحوار المتمدن، العدد 4742 **WWW.ahiwar.Org**

3.بوخريص (فوزي ـ)، صورة المرأة في الأمثال الشعبية، **WWW.aljabriabed.net**

4.بوطقوقة (مبروك ـ)، الجسد الأنثوي بين المعتقد الشعبي والمعتقد الديني **WWW.Mahapross.com**

5.يحي جبر، التراث الشعبي الفلسطيني حلقة وصل، دائرة المعارف الفلسطينية **WWW.encynajah.com**

6.رستم (إياد ـ) وميرنا حسين مصطفى، دلالات اليد في المعتقدات الدينية والمنحوتات السامية، الجامعة الهاشمية معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث، الزرقاء، الأردن **https** :// **eis.hu.edu.jo**

7. الشوشي (ربى زياد ـ)، الضلع الأعوج أسباب خلق المرأة **WWW.ultrasmart.com**

8. حمدي يحظية، المرأة في المعتقد الشعبي **WWW.Saharablog sport.com**

ثامنا: البرامج التلفزيونية

1. حصة "عندي ما نقلك"، حصة أسبوعية على قناة الحوار التونسي، تقديم علاء الشابي، 2018/02/23 على الساعة 21:00 .

فهرس الموضوعات

العنـــــاويــن	الصفحة
شكر وعرفان	
المقدمـــــــة	**أ–و**
مدخل الدراسة	38-07
أولا – مجتمع وادي سوف	08
ثانيا – تحديد المصطلحات	13
الفصل الأول : المرأة بين الواقع و المعتقد الشعبي	90-39
أولا – المرأة في الثقافات الإنسانية	40
ثانيا – إنجاب البنت في المعتقد الشعبي	46
ثالثا – عادات ومعتقدات تنشئة البنت في مرحلة الطفولة	61
رابعا – طقوس بلوغ الفتاة	69
خامسا – الفتاة وطقوس الزواج	72
سادسا- المرأة والإنجاب	85
الفصل الثاني : عقم المرأة والطب الشعبي	136 -91
أولا – المرأة والعقم	92
ثانيا – العلاج الطبيعي	96
ثالثا – العلاج الغيبي	106
رابعا- أسباب وحالات عقم المرأة وطرق علاجها	117
خامسا – المتخصصون في الممارسات العلاجية الشعبية	126
سادسا- الطقوس السحرية التي تلجأ إليها المرأة العاقر.	130
خاتمة	137
قائمة المصادر و المراجع	157-140
فهرس الموضوعات	**158**
ملخص الدراسة	

ملخص الدراسة :

إن المعتقدات الشعبية موضوع رحب شاسع، يصعب معالجته في كل أصنافه، لذلك حاولنا أن نحصر مجال البحث في جانب واحد يتعلق بالمرأة وتعاملها مع العقم في المعتقد الشعبي من الناحية العلاجية، وكان اختيارنا لهذا الجانب لما له من تأثير على حياة المرأة بصورة خاصة، دفعها للتمسك بمعتقدات تمثل ترسبات قديمة ترى فيها حلا لمشكل العقم .

ومن خلال الإجابة عن إشكالات الدراسة حاولنا إزالة الغموض عن أهم مصطلحات الدراسة، واتضح لنا أن المعتقدات الشعبية هي أفكار خبيئة في الصدور، تتعلق بعالم المقدسات، لا تظهر إلا من خلال حركات وإيماءات تمثلها الطقوس .

والمرأة كعماد للمجتمع، حددت المعتقدات تحركاتها ومهمتها في الحياة بشكل لا يجب أن تحيد عنه حتى مع ظهور بعض التغيرات في العصر الحالي، فحاولت المرأة بسبب وقوعها ضحية النوع أن تمارس طقوس سحرية متعددة لإرضاء المجتمع، فحاولت التقليل من إنتاج الجنس الأنثوي من خلال ممارسة طقوس سحرية لإنجاب الذكر، وحاولت حماية عفتها من خلال ممارسة طقوسا سحرية حتى لا تدنس شرف العائلة، ولم تغفل عن ممارسة الطقوس للحصول على الزوج والإنجاب .

وكان العقم من بين الكوارث التي حلت بالمرأة بصفة خاصة، لذلك سعت لتجنبه والتخلص منه بمختلف الوسائل، فحاربت المرأة العقم باللجوء إلى الطبيعة من نبات وحيوان و...وممارسات يدوية، ولجأت إلى العلاج الغيبي؛ عندما اعتقدت أن سبب عقمها بسبب تدخل الأرواح الشريرة من سحر وحسد و...

وكان الأدب الشعبي، من أمثال وقصص وشعر وأهازيج، خزّان لكل المعتقدات والمسائل التي ارتبطت بحياة المرأة في مختلف مراحلها العمرية .

Résume:

Les croyances populaires sont un sujet vaste, difficile à traiter dans tous ses types, donc nous avons essayé de limiter Le domaine de la recherche en un seul coté qui concerne La femme et Le traitement de L'infertilité dans La croyance populaire du coté thérapeutique, notre choix pour cet aspect a été à cause de son impact sur La vie de la femme en particulier, ce qui a posé les femmes au croyances

En répondant aux problèmes de L'étude, nous avons essayé d'éclairer le mystère au plus important des termes de l'étude, et il est devenu claire pour nous que Les croyances populaires sont des idées cachées dans Les esprits concernent Le monde des sacrés qui n'apparaissent seulement par Les mouvements et Les gestes que Les rituels représentent.

La femme en tant que pilier de La société, Les croyances ont précisé ses mouvements et sa mission dans La vie d'une manière qui ne devrai pas dévie sur même avec L'apparence de certains changements modernes, La femme a essayé parce qu'elle est devenue victime du genre de pratiquer des rituels magiques pour satisfaire La communauté, elle a essayé de réduire La production du sexe féminin par La pratique des rituels magiques pour obtenir un male, et elle a essayé de protéger sa chasteté par la pratique des rituels magiques pour qu'elle ne profane pas l'prôneur de la famille, et elle n'a pas ignorer de pratiquer des rituels pour obtenir un mari et la maternité.

L'infertilité est une des catastrophes qui touchent la femme d'une manière particulière, c'est pour cela , elle a cherché à l'évité et se débarrasser de tous moyens, donc la femme a battu l'infertilité en ayant recours au nature, plante et animale,…. Etc.et des pratiques manuelles, et ont eu recours a thérapie métaphysique quand elle a pensé que la raison de son infertilité est les mauvais esprits de magie, envie…etc.

La littérature populaire, telle que des exemples, des récits et des poèmes et les poèmes religieux ont été un réservoir pour tous les croyances et les questions qui sont reliés à la vie de la femme dans toutes ses déférentes périodes d'âge